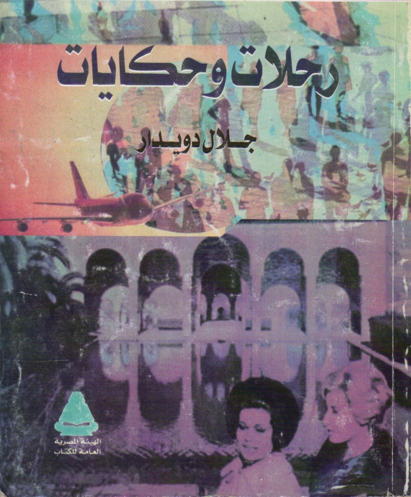
مكتبة الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

الأعمال الخاصة

رحلات وحكايات

جلال دويدار



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

رحلات وحكايات

رحلات وحكايات

جلال دويدار

مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

رحلات وحكايات

جلال دويدار

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان : **محمود الهندى**

المشرف العام :

د . سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جميعة الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلي للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

روعـــة الوضـــوح وجـــلال الصـــدق

قديما قالوا مـا يصدر عن القلب يصل ـ مباشـرة ـ إلى القلب، وهى مـقولة ترقى إلى مرتبة الحقيقة وأمر تؤكده التجارب والمشاهدات، وهذا هو عين ما يؤمن به الكاتب الصحفى الكبير جلال دويدار رئيس تحرير جريدة «الأخبار»، ويتـخـذه دليلاً وهادياً طوال رحلتـه الحـافلة فى بلاط صـاحـبـة الجـلالة، ففى جـمـيـع مراحلها وضع جلال دويدار هـذه المقولة نصب عينيه، وتدفقت كتاباته فى السياسة والإقتصاد والسياحة وشئون المجـتمع تضئ العقل المصرى مستقلة جواد البساطة مـغموسة فى مـداد الصدق، لتبـرز حـقيـقـة يلمسـهـا كل من يقرأ له: أن الكثيـر من الموضوعات التى يعالجها البعض ـ بتعال «وحذلقة» ـ وأحياناً ـ بغطرسة تنفر القراء، وتصدهم عن الفهم والتواصل، نفس هذه الموضوعات الشاقة فى طبيعتها يتناولها هو ببساطة وإصرار على التوضيح والبيان، فعلى سن قلمه تتنزل السياسة ـ بجلالة قدرها ـ من قممها الشماء، وتخرج القضايا الدولية المعقدة والأسرار السياسية والمسائل المتشعبة المرهقـة من حـصـونها إلى أرض المزارع والحـقول والأجـران فى القـرى والنجـوع.. وتنتشر فى الميادين والشوارع والحوارى فى الحواضر والمدن، لتصل ـ بلامشقة ـ إلى غايتها: الإنسان العادى.. أساس الرأى العام.. وإلى الأفراد والجماعات التى تكوّن ـ إذا اجتمعت ـ شعبنا الطيب، وبكلمات جلال دويدار البسيطة الصادرة عن قلب يتنفس الصدق تتهيأ القضايا العالمية والمشكلات القومية والحقائق السياسية لتنفذ إلى عقل ووجدان ملك الصحـافة المتـوج: القارئ العادى.. الإنسان البسيط أياً كـان مسـتـواه الثـقـافى، فـهـو صاحب الحق الأصيل فى المعرفـة.. وأساس كل تقدم.. وهدف كل سياسة.

وجلال دويدار نموذج مثالى لكُتاب مدرسة «أخبار اليوم» الصحفية.. وهو تلميذ نجيب تخرج فى هذا المعهد العريق الذى أمد الصحافة المصرية والعربية بعشرات الكتاب البارزين الذين منحوا للكتابة الصحفية العربية مذاقاً خاصاً رائعاً، وبعضهم قاد - ولايزال كثير منهم - يقود مسيرتها المكافحة، ومن منا يستطيع أن ينسى أو يتجاهل هذه الأقلام التى ترعرعت بين جدران مدرسة أخبار اليوم العريقة : على أمين، مصطفى أمين، محمد حسنين هيكل، إبراهيم سعده، موسى صبرى، أنيس منصور، سعيد سنبل، أحمد رجب، مها عبدالفتاح، محمد مصطفى غنيم، عبدالوارث الدسوقى، د. حسن رجب، جمال الغيطانى وآخرين لا تتسع المساحة لحصرهم، وفارسنا جلال دويدار صاحب تاريخ معروف وسجل مشرف فى بلاط صاحبة الجلالة، بدأ محرراً تحت التمرين فى دار أخبار اليوم.. أى أنه صعد السلم من أول درجة فيه بلا وساطة أو محسوبية، فقط أهله جهده ونشاطه، ويسر له قلمه التدرج فى مناصب صاحبة الجلالة، تخصص فى الشئون السياحية وأثبت كفاءة نادرة فى هذا المجال، ولكن حنينه إلى السياسة كان جارفاً، وأحس ميلاً شديداً إلى متابعة أخبارها، والقراءة المتخصصة فى دراساتها وبحوثها، والإطلاع الدائم على تطوراتها وقضاياها وأزماتها، ودرجة درجة ترقى جلال دويدار فى المناصب حتى وصل إلى منصب نائب رئيس تحرير «الأخبار»، ثم مديراً لتحرير هذه الجريدة العريقة التى تعد أوسع الصحف العربية انتشاراً، وفى عام ١٩٩١ تم اختياره رئيساً لتحريرها، وحتى الآن لايزال جلال دويدار يتحمل مسئوليات هذا المنصب المهم، ولا تزال كتاباته تمد القراء بمزيد من المعلومات وتبسط لهم أعقد القضايا والموضوعات.

تقديم

من منا لا يحب السفر والتجوال فى بلاد الله ليشاهد معالمها ويلتقى مع ثقافات شعوبها. إنها ولاجدال هواية جميلة مكلفة تلبى نزعة حب الاستطلاع التى هى جزء من التركيبة النفسية لأى إنسان. ولقد شاءت الظروف أن يكون حبى وارتباطى بهذه الهواية زائدا منذ طفولتى وظلت مسيطرة على مشاعرى وسلوكياتى حتى الآن.

إن حبى للسفر يقتصر على القيام بالرحلات السريعة التى لا تزيد فترة أطولها عن أسبوعين يدفعنى بعدها الحنين إلى مصر إلى ركوب الطائرة عائدا إليها.

لم أفكر فى يوم من الأيام فى الاستقرار خارج أرض الوطن وهو الأمر الذى تأكدت منه عندما أتيحت لى فرصة بعثة إلى ألمانيا عن طريق الدكتور عبدالقادر حاتم فى فترة توليه منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام عام ١٩٦٥ كانت مدة هذه البعثة ١٢ شهرا وتضمن برنامجها زيارة الصحف والمؤسسات الإعلامية الألمانية. لم أستطع الصبر على بعادى عن مصر لدرجة أننى كنت أحضر إليها كل شهر ونصف أو شهرين.

لقد ساعدنى وسهل لى ممارسة هذه الهواية عملى فى الصحافة.. كما أن إتاحة الفرصة لى مع بداية مشوارى فى بلاط صاحبة الجلالة للعمل كأول مندوب فى كل الصحف المصرية بالمطار قد ضاعف من تغلغل هذه الهواية فى كيانى. أدى ذلك إلى دفع الأستاذ المرحوم موسى صبرى رئيس تحرير «الأخبار» إلى أن يحذرنى دائما من تجاوزات حبى للسفر. وعلى مدى سنوات طويلة ومن خلال الرحلات الصحفية وتلبية

الدعوات التى كنت أتلقاها من شركات الطيران والأجهزة السياحية زرت العديد من بلاد الدنيا التى لم أكن أحلم بزيارتها.

وخلال هذه الجولات سواء لتغطية الأحداث الصحفية أو للقيام بزيارات عادية وسياحية توافرت لى المعلومات المجسمة حول العديد من الدول.

ومنذ سنتين تحدث معى الصديق الأستاذ سمير سرحان لإعداد بعض الكتب عن كتاباتى المتعددة فى كافة الموضوعات والقضايا لمكتبة الأسرة وهو المشروع الذى تبنته السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس حسنى مبارك وحقق نجاحا هائلا وإيمانا بهذا المشروع وبالدور الرائد الذى تقوم به هيئة الكتاب وافقت على الفكرة وأخترت أن أبدأ بهذا الكتاب عن جانب من الرحلات الصحفية التى قمت بها فى بلاد الله الواسعة.

كم أرجو أن يحظى مضمون هذا الكتاب والذى يجمع مجموعة متنوعة من المقالات تشمل كثيرا من الدول بإعجاب القراء الأعزاء وإلى لقاء جديد فى كتاب آخر بإذن الله.

جلال دويدار

الخطوة الأولى .. نحو حلم كبير

الأيام *تمضى وتتوالى لتضيف إلى العمر سنوات وسنوات... وتبقى الذكريات زادا نستمد منه دافعنا إلى الحياة والانطلاق فى طريق الآمال..*

وفى بعض الأحيان ينتابنى أحساس بأن الأيام والساعات تمضى بأسرع مما كانت عليه منذ سنوات.. لست أعرف سببا لهذا الإحساس.. ولكنى أجد نفسى أتساءل.. هل هو نتيجة للمتغيرات فى ظروف الحياة التى أصبحت تتميز بالتعقيدات أم أن الحضارة وطريقة ممارستنا لأعمالنا مع التقدم فى العمر قد أفقدتنا لذة الأحساس بمرور الزمن.

راودتنى كل هذه الأفكار وأنا فى طريقى إلى مكتب أستاذى وأستاذ أجيال وأجيال من زملاء مهنة الصحافة ينتشرون فى كل صحف مصر والعالم العربى.

لم يكن هدفى من زيارة العملاق مصطفى أمين فى مكتبه وكما تعودت دائما.. الحديث معه عن المشاكل أو الصحافة أو الأحداث الجارية.. ولكن كنت ساعيا إليه مهنئا بعيد ميلاده السبعين.

أول لقاء

وتذكرت فى هذه اللحظة أول لقاء لى معه والذى كان يمثل خطوتى الأولى نحو تحقيق حلم كبير لتتسم هوايتى للصحافة بصفة الاحتراف وهى مهنة أحببتها، عشت لها ومازلت أعيش لها. حدث هذا منذ ستة وعشرين عاما وكنت فى ذلك الوقت طالبا فى السنة الثانية بكلية الآداب قسم صحافة بجامعة القاهرة. ولقد تحدد لى موعد هذا

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٤/٢/٢٦

اللقاء بتوصية تليفونية من أستاذنا الراحل الكبير محمد التابعى والذى أوصاه بى أحد أقاربه الذى كانت تربطنا به علاقة عائلية.

مندوب صحفى

وأحسست بالرهبة عندما نادانى السكرتير إلى مكتبه فى الدور التاسع بمبنى أخبار اليوم. وعندما أغلق الباب ورائى فوجئت به أمامى والسيجارة فى فمه. وتفحصنى للحظات ثم طلب منى الجلوس، وعاد يرمقنى بنظراته الحادة التى كاد أن ينخلع لها كل قلبى، ثم سألنى عن دراستى، وقلت له أننى طالب بالسنة الثانية قسم صحافة وعاد يسألنى عن العمل الذى يمكننى أن أقوم به، وقلت له أننى أريد أن أكون مندوبا صحفيا فى أحد الأقسام الأخبارية بالجريدة.

حادث القطار

وقبل أن يبادرنى بسؤال أخير قدمت إليه عددا من صحيفة «الأخبار» صادرا فى بداية عام ١٩٥٣ أى قبل دخولى الجامعة بسنتين.. وأشرت إلى موضوع عن حادث لأحد قطارات الصعيد كان منشورا بصفحة الحوادث بالعناوين الكبيرة ومدعما بصور وكتب فى بدايته أنه لمراسل «الأخبار» فى كوم أمبو. وقلت له أننى صاحب هذا الموضوع. ولمحته بطرف عينى ينظر إلى فى دهشة. وانتهزت فرصة انشغاله فى قراءة الموضوع لأحكى له قصة نشره فى «الأخبار» .. لقد كنت فى ذلك الوقت طالبا بالسنة الثانية ثانوى، وفى إحدى الرحلات المدرسية إلى أسوان وأثناء عودتنا إلى القاهرة.. فوجئنا بحادث انقلاب أحد القطارات. وتعطلت حركة القطارات ومنها القطار الذى كنا نستقله عند كوم أمبو. ودفعتنى هوايتى للصحافة إلى أن أغادر القطار والتقط عدة صور لحطام القطار المقلوب كما أننى استطعت أن أحصل على ملابسات الحادث من المهندسين والفنيين الذين كانوا يشرفون على رفع بقايا القطار من فوق القضبان حتى يمكن أن تستأنف قطارات الصعيد رحلاتها.

فى أخبار اليوم

وفور وصولنا إلى القاهرة قررت أن أتخلف عن زملاء الرحلة مبررا ذلك بزيارة بعض أقاربى. وتوجهت من المحطة إلى دار أخبار اليوم ولم أكن أعرف أحدا بها،

وحكيت لموظف الاستعلامات كل ما حدث، واتصل على الفور بالمرحوم الأستاذ لطفى حسونة الذى كان يشغل منصب نائب رئيس التحرير والذى استدعانى على الفور إلى مكتبه فى صالة التحرير.. وجلست أمامه أقرأ له تفاصيل الحادث من الأوراق التى سجلت فيها كل المعلومات... بينما كان هو يقوم بإعادة كتابتها. وبعد أن انتهى من كتابة الحادث وأعده للنشر قدمنى إلى الأستاذ عثمان لطفى سكرتير عام التحرير حاليا والذى كان مسئولا عن توضيب الجريدة، وأخذ عثمان لطفى منى الفيلم الذى صورته للحادث وبعث به إلى قسم التصوير لتحميضه وطبعه.. وطلب منى الانتظار حتى يتم إعداد الصور.. ولحسن الحظ ظهرت الصور فى غاية الدقة والوضوح فاختاروا بعضها وأعطونى الفيلم وشكرونى.

وغادرت أخبار اليوم فى نفس الليلة إلى سمنود حيث مدرستى ومحل إقامة أسرتى فى ذلك الوقت وفى صباح اليوم التالى وقفت منذ الصباح الباكر أمام باب منزلنا انتظر بائع الصحف وأنا أكاد أسمع نبضات قلبى من فرط الانفعال. وخطفت صحيفة «الأخبار» من يد البائع وأسرعت اتصفحها وعيناى تجولان بين صفحاتها فى لهفة بحثا عن حادث قطار الصعيد أول عمل صحفى أقوم به. وكدت أطير فرحا عندما وجدت الحادث منشورا بالعناوين الكبيرة وبكل المعلومات والصور التى حصلت عليها.

محرر تحت التمرين:

وعندما بلغت نهاية قصتى من أول خبر تنشره لى «الأخبار» تعلقت عيناى بأستاذى مصطفى أمين انتظر رد فعله.. وجدته يبتسم فاستبشرت خيرا. وتركنى دون أن ينطق بكلمة ليتصل تليفونيا بالأستاذ لطفى حسونة ويطلب منه أن يقبلنى محررا تحت التمرين بقسم أخبار الجامعات، وقبل أن أغادر مكتبه قال لى أنه لن يكون لى مكان فى أخبار اليوم إذا لم أكمل دراستى فى الجامعة... ووافقته لأن هذا الشرط لم يكن سوى مطلب أساسى يتعلق بمستقبلى. وأسرعت إلى الكلية وأنا لا أكاد أصدق ما جرى لأقول لكل من يقابلنى من زملاء الدراسة أننى قد عينت محررا بجريدة «الأخبار».

مسيرة طويلة وشاقة:

ولم يكن قرار تعيينى سوى بداية مسيرة طويلة وشاقة تعرضنا فيها أنا وزملائى طلبة قسم الصحافة الذين ضمهم مصطفى أمين إلى أسرة أخبار اليوم إلى حرب شرسة استخدمت فيها كل أنواع الضغوط والاضطهاد من جانب أجيال سبقتنا فى العمل الصحفى واحتلت مراكز القيادة، ولقد كانت نظرتهم إلينا تتسم بالريبة وعدم الثقة فى قدرتنا على العمل الصحفى خاصة أننا كنا نمثل طلبة الدفعات الأولى بقسم الصحافة، ولم يكن من سند لنا - أمام سوء المعاملة والأحساس بأننا أشخاص غير مرغوب فينا - سوى مصطفى أمين الذى كانت حمايته ودفعه لنا السبب الرئيسى فى عدم تفاقم عمليات البطش بنا.

المسئولية والأمانة والصدق:

ولم يكن دور مصطفى أمين فى بداية حياتنا الصحفية وقفا على فرض حمايته علينا.. بل إنه أتاح لنا كل الفرص وكان حريصا على متابعة أعمالنا وجهدنا، وفى اجتماعاته الأسبوعية التى أصدر تعليماته بأن نحضرها تعلمنا منه كل فنون الصحافة الحديثة.. وغرس فينا الشعور بالمسئولية ومراعاة الأمانة والصدق فى كل ما نقدمه للنشر، حقا أن قصتى مع أخبار اليوم هى قصة كل زملاء جيلى من الصحفيين الذين أصبحوا يمثلون فى الوقت الحالى الجيل الثالث من الوقت الحالى اليوم. والذى شارك جانب كبير منهم فى حفل عيد ميلاد أستاذنا مصطفى أمين السبعين.

وتغيرت المعاملة:

والشىء الذى يجب أن أذكره هو أن معاملة الجيل الذى سبقنا والتى اتصفت بالعنف تجاهنا فى بداية عملنا قد تغيرت بمرور الوقت .. وتحول وجودنا فى أخبار اليوم من عناصر غريبة إلى جزء من كيانها يربطنا بها الحب والانتماء الذى لم يكن سوى الأساس الذى قام عليه نجاحها، وتحولت القيادات التى اضطهدتنا وعارضت اقتحامنا لقلعة نشاطها الصحفى إلى أساتذة لنا ينصحون ويوجهون ويضيئون لنا الطريق الصحيح لممارسة دورنا فى مهنة المتاعب.

مراسل للجريدة:

ولم تخل بداية قصة عملى فى أخبار اليوم من بعض الطرافة التى أصبحت ذكريات مشوقة يسعدنا دائما أستعادتها من وقت لآخر، وإذا ما رجعت إلى مقابلتى مع المرحوم الأستاذ لطفى حسونة عندما قدمت له موضوع حادث قطار الصعيد الذى كان سببا فى عملى وارتباطى بأخبار اليوم لابد أن أتذكر الخطاب الذى أرسلته إلى الأستاذ الزميل عثمان لطفى بعد عودتى إلى مدرستى فى سمنود الثانوية ولقد تصورت وأنا فى قمة انبهارى بعد أن نشروا الحادث أنه من الممكن أن يعينونى مراسلا «للأخبار» فى سمنود. وكتبت خطابا إلى الأستاذ عثمان لطفى أعرض عليه القيام بهذه المهمة دون مقابل، وحتى اضمن أن يرد على وفقا لتفكيرى فى ذلك الوقت لقد وضعت له داخل الخطاب طابع بريد حيث أجنبه مشقة شرائه، ومرت الأيام والسنون وبالطبع فلأننى لم أتلق أى رد منه.

هدية ومفاجأة:

وبعد سنوات طويلة من العمل فى أخبار اليوم وبعد أن توطدت صلتى وصداقتى بالزميل الأستاذ عثمان لطفى فاجأنى يوما وهو يضحك من كل قلبه بأن لى معه هدية لا أتوقعها وسألنى أن أخمن وأذكر له طبيعة هذه الهدية، وعندما عجزت تماما عن الوصول إلى سر هذه الهدية.. وجدته يبرز لى وبعد أكثر من ١٥ عاما نفس الخطاب الذى كنت قد أرسلته له وأنا طالب بمدرسة سمنود الثانوية مرفقا به طابع البريد أياه وكانت مفاجأة ضحكنا لها طويلاً.. وسألته كيف وجد الخطاب بعد هذه السنين الطويلة.

قال أنه وجده ضمن أوراق قديمة فى مكتبه. وعندما حاولت أن آخذه منه رفض وهو يقول أنه سيحتفظ به للذكرى.

بين نيودلهي .. وبومباي

في *كثير من الأحيان يمضي الصحفي عدة أيام في بلد من بلاد الدنيا.. ولكن لا تتاح له فرصة مشاهدة معالمها أو معايشة أنشطة الحياة فيها.*

وفى مثل هذه الظروف يكون الصحفى مرتبطا بحدث معين ذهب من أجله إلى هذا البلد لتغطيته صحفيا. وحتى بعد انتهاء هذا الحدث فإنه قد لا يتوافر الوقت لهذه المعايشة لأن الصحفى فى مثل هذه الحالات مطالب بسرعة العودة إلى مقر الصحيفة لتفريغ حصيلة الأخبار والتحقيقات حتى لا يموت الحدث أخباريا.

وفى زيارتى الأخيرة لنيودلهى عاصمة الهند والتى استغرقت ١٠ أيام.. أمضيت أسبوعا كاملا أتابع التطورات والإيقاع السريع لاجتماعات مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز.. ونتيجة لهذا فإننى لم أشاهد من هذه المدينة سوى الطريق الذى كنت أسلكه من فندق «أوبروى ميدنيز» وحتى مقر المؤتمر. ولقد كنت محظوظا أن أجد مكانا فى هذا الفندق رغم بعده عن مقر المؤتمر نظرا لأن جميع الفنادق الأخرى استولت عليها وزارة الخارجية الهندية لإقامة وفود الدول، وفندق «أوبروى ميدينز» يعتبر من أجمل الفنادق ذات الطابع الكلاسيكى القديم إلى جانب أنه موجود فى وسط منطقة دلهى القديمة.

وإذا كان ابتعاد الفندق من مقر المؤتمر قد أضاف عبئا جديدا على .. فإنه فى نفس الوقت قد وفر لى فرصة مشاهدة بعض جوانب الحياة فى شوارع المدينة.. خاصة أن الرحلة بالتاكسى فى الذهاب أو العودة كانت تستغرق ٤٠ دقيقة. ولعل من أهم ما

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٠/١١/١٥.

استرعى نظرى هو اتساع ونظافة شوارع العاصمة الهندية.. والهدوء الذى يسود معظم أحيائها. كما أن من أهم معالم هذه المدينة هو مسطحها الكبير مما جعل العنصر الغالب على مبانيها يميل إلى الفيلات والمبانى ذات الدور الواحد والدورين.

وفى مثل هذه الزيارات الخارجية. فإن أى إنسان غريب لابد أن يكون متأثرا ببعض جوانب الحياة فى وطنه.. مما يدفعه إلى المقارنة بما يشاهده .. وبسبب مشكلة التاكسيات فى القاهرة والتى يعانى منها الكثير من المواطنين.. فقد أثارنى أن التاكسيات فى نيودلهى متوافرة.. وتذكرنى بما كان فى القاهرة منذ عشر سنوات مضت. وقد ساهم فى حل هذه المشكلة فى نيودلهى استخدامهم «للحنطور البخارى» وهو عبارة عن موتوسيكل بثلاث عجلات يستخدم كتاكسى وبأجر أقل بنسبة النصف عن التاكسى العادى. وكما هو الحال فى لندن. فإن موديلات التاكسيات المستخدمة فى كل الهند هى من طراز إنجليزى قديم يعود إلى أكثر من ٢٠ سنة. ولكن مازالت مصانع الهند تقوم بإنتاجه مع بعض التطوير فى الموتور فقط.

وقبل الجلسة الختامية لمؤتمر وزراء خارجية عدم الانحياز كان مقررا أن أعود إلى القاهرة بعدها بيوم واحد. ولكن امتداد الاجتماعات ليوم آخر بسبب الأزمات التى سادت المؤتمر فيما يتعلق بقراراته حول أفغانستان أدت إلى «هرجلة» فى عمليات سفر الوفود.. بسبب تأجيلها لموعد مغادرتها لنيودلهى حتى يمكنها حضور الجلسة الختامية.. ونتيجة لهذا التطور غير المحسوب وقعت ضغوط غير عادية على كل شركات الطيران شاركت فيها أجهزة الخارجية الهندية من أجل حجز أماكن لسفر الوفود، وفقا للمواعيد الجديدة.

ولم يكن من سبيل أمامى للخروج من هذا المأزق الذى كان من الممكن أن يحجزنى فى الهند لأسبوع آخر سوى استخدام الرحلات الجوية التى تقلع من مدينة هندية أخرى غير نيودلهى.. إلى القاهرة عن طريق دولة أخرى فى خط السير. ونجحت فى أن أجد رحلة تقوم من بومباى العاصمة المالية والتجارية للهند مرورا بكراتشى عاصمة باكستان.. وقد أقتضى استخدام هذا الخط الجوى أن أمضى ليلة فى بومباى. وفيما يتعلق بمشكلة توصيل المقال الذى أعددته من نتائج أعمال المؤتمر وتحليلا لقراءته إلى الجريدة.. فقد أنقذنى السفير عمرو موسى عضو الوفد المصرى

من حيرتي عندما وافق على أن يأخذه معه إلى القاهرة. وكانت سفارتنا في نيودلهي قد نجحت في أن تحجز للوفد قبل موعد سفري بيوم على إحدى الطائرات المتجهة إلى القاهرة عن طريق إحدى عواصم دول الخليج. وقد أزاح عني قيام السفير عمرو موسى بهذه المهمة عبئاً ظل يقلقني لأكثر من ٢٤ ساعة.

وبعد سفر الوفد المصري بساعات قليلة .. غادرت نيودلهي بالطائرة إلى بومباي. إنها مدينة تختلف كلية عن عاصمة الهند. إنها عبارة عن شريط طويل في المحيط الهندي متصل بالأرض الهندية.. يعطيك الأحساس في أي مكان تكون فيه على أرضها بأنك فوق جزيرة. ومن أهم مظاهر اختلافها عن نيودلهي.. الزحام الكبير والضجيج في شوارعها واختفاء المباني المنخفضة الارتفاع حيث يغلب على مبانيها الضخامة والعلو الشاهق. ومن أهم أسباب زحامها أنها تعتبر أكبر مركز تجاري وصناعي في كل الهند.. أن تعدادها يصل إلى ١٠ ملايين نسمة أي مثل القاهرة.. وإن كان هذا الرقم لا يمثل سوى واحد على سبعين من تعداد الهند (٧٠٠ مليون نسمة) بينما يمثل تعداد القاهرة ربع تعداد مصر كلها.

وخلال الليلة التي أمضيتها في بومباي كانت أمامي فرصة معايشة الناس في الشوارع.. ومن أهم ما لاحظته هو حالات الفقر الشديد التي يعاني منها جزء كبير من الشعب الهندي إلى جانب وجود ثراء لا حدود له. وإذا حاولت أن أصف مظاهر هذا الفقر فإنني أقول أن الفقير في مصر.. يعتبر ثريا بالنسبة لفقراء الهند. ولكن لابد أن أقول أن الدولة استطاعت في الهند أن تتوسع في الإنتاج الزراعي والصناعي لتحقيق الاكتفاء الذاتي في معظم احتياجاتها.. بل أنها تقوم الآن بتصدير جانب كبير من إنتاجها الغذائي والصناعي ولم يكن هذا ميسرا للهند قبل خمس سنوات.

ومن أهم معالم بومباي.. الصناعات اليدوية التي يشمل الخشب والملابس. وأجود هذه المنتجات تقدمها منطقة كشمير المسلمة والتي تعتبر تبعيتها للهند أساس خلافها مع باكستان التي تعتبرها جزءا من أراضيها. وليس هناك نظام للبيع بأسعار محددة في المحلات.. فالمساومة عنصر أساسي في عملية الشراء ويمكن تخفيض سعر أي سلعة إلى النصف.. ويستثنى من ذلك المحلات الحكومية التي يطلقون عليها اسم «أمبوريوم».

إن اليوم الذى أمضيته فى بومباى كان فرصة لمشاهدة صورة سريعة لكل جوانب الحياة فى الهند.. حلوها ومرها.. وساهم فى متعة هذه الزيارة جو مناطق الساحل المنعش الذى كان يسود المدينة فى ذلك الوقت والذى جعلنى فى بعض الأحيان أشعر وكأننى فى الإسكندرية .. ولقد غادرت بومباى وأنا أردد.. كان الله فى عون حكومتها .. التى تتحمل مسئولية إطعام وتنظيم حياة ٧٠٠ مليون نسمة!!.

أحداث الهند الدامية العدو- رقم واحد للسياحة ؟

التقدم *الكبير في تكنولوجيا الاتصالات أدى إلى انتقال أنباء الأحداث من أقصى جنوب الكرة الأرضية إلى أقصى شمالها ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في ثوان معدودة وتأتي أجهزة الإعلام بصفة عامة على رأس القائمة التي أستفادت من هذه الثورة العلمية الضخمة والتي استخدمت فيها خلال السنوات القليلة الماضية الأقمار الصناعية لنقل الأحداث تليفزيونيا وإذاعيا وبرقيا. وأصبح لهذا التطور الكبير دور رئيسي في الأنشطة الاقتصادية خاصة بعد أن تشابكت مصالح الدول ولم يعد هناك مكان للسلوك الانعزالي في المجتمع الدولي.*

وقد حقق هذا التقدم المبهر في عالم الاتصالات مزايا وتسهيلات عديدة لصناعة السياحة باعتبار أنها واحدة من أهم الأنشطة ذات الصفة العالمية وشملت هذه المزايا والتسهيلات حجز الأماكن في الطائرات ووسائل النقل الأخرى والفنادق بحيث تتوافر كل سبل الراحة لانتقال السائح وإقامته وتحركاته.

وإذا كانت تكنولوجيا الاتصالات قد ساهمت بقدر كبير في تنمية الحركة السياحية العالمية.. فإنها أيضا وفي حالة تعرض أي بلد سياحي للقلاقل والأحداث تؤدي من خلال الانتشار السريع إلى الانكماش المفاجئ لعدد السياح وأصبح شيئا عاديا في مثل هذه الظروف أن تتدفق الغاءات الحجز على الفنادق ووسائل النقل المختلفة. ترتب على هذا الموقف خسائر فادحة للدولة والأفراد خاصة إذا كانت السياحة هي المورد الأساسي للدخل.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٤/١٢/٦.

وبالطبع فإنه ليس غريبا هذا التأثير السريع لإذاعة أو نشر الأحداث التى تقع فى الدولة السياحية.. لأن السياحة وكما هو معروف هدفها الثقافة والترويج لمعايشة شعوب العالم بعضها البعض.. فى إطار من ضمانات الأمن والأمان. ما أسهل أن يلجأ السائح إلى إلغاء رحلة إلى أى مكان فى العالم يسمع أو يقرأ أن أى ارتباط من بعيد أو قريب بأى حدث يمكن أن يعرضه للمغامرة بحياته أو راحته إذن فالسياحة هى الاستقرار والأمن ثم تأتى بعد ذلك مقومات الجذب السياحى الأخرى.

وقد شهدت خلال جولتى طوال الأسبوعين الماضيين فى الهند تطبيقا عمليا لهذه الظاهرة. لقد أصابت الرصاصات التى اغتالت رئيسة وزراء الهند فى اليوم الأخير من شهر أكتوبر الماضى حركة السياحة إلى الهند فى مقتل، وفى نفس اللحظة التى أعلن فيها الحادث على العالم.. انهالت الغاءات السياح أفرادا ومجموعات على الشركات السياحية الهندية والفنادق.. بينما أسرع السياح الذين كانوا موجودين فى الهند إلى الهرب بكل وسيلة انتقال إلى خارجها وهكذا وفى يوم وليلة تحولت الفنادق والمناطق السياحية فى ربوع الهند إلى كفور خالية من كل حياة.. وإذا كانت رصاصات الاغتيال قد انطلقت فى العاصمة نيودلهى فإن دويها قد وصل فى ثوان معدودة إلى كل أرجاء الهند الشاسعة ليؤدى إلى تطفيش السياح.ويقول لى المسئولون عن السياحة فى الهند والعاملون فى كل مؤسسات السياحة ان عام ٨٤ كان عام شهد أعلى حركة للسياحة إلى الهند منذ بدايته لقد سقط الموسم السياحى نتيجة القلاقل التى وقعت فى ولاية البنجاب حيث جرت عملية اقتحام المعبد الذهبى لطائفة السيخ.. وكذلك الاضطرابات وعمليات القتل التى تجرى فى ولاية آسام بين المواطنين الهنود والمهاجرين إليها من بنجلاديش. وقالوا أن خسائر الأفراد والشركات والدخل القومى قد بلغت ملايين الدولارات.. واضطرت الحكومة المركزية والحكومات المحلية فى الأقاليم إلى تقدم المساعدات والمعونات التى تمكن العاملين فى الأنشطة السياحية من توفير القوت اليومى لأسرهم. وتأثير هذا الوضع لا يشمل العاملين فقط فى المرافق السياحية.. بل يمتد أيضا إلى قطاعات واسعة من المواطنين الذين يحترفون الصناعات اليدوية التى تشتهر بها الهند ويقبل على شرائها السياح.

والسياحة فى الهند من الصناعات النامية التى تحولت إلى أمل يمكن أن يساهم فى مشروعات التنمية الاقتصادية وقد أدى الاهتمام بتطورها فى السنوات الأخيرة إلى تخصيص استثمارات كبيرة سواء من جانب الدولة أو القطاع الخاص لتنمية المناطق السياحية العديدة التى تزخر بها الأرض الهندية.

وتقول الاحصائيات أن عدد السياح الذين زاروا الهند قد بلغوا فى عام ١٩٨٢ مليونا و٣٠٥ آلاف سائح من بينهم حوالى ٤٢٥ ألف سائح من باكستان وبنجلاديش وهما البلدان اللذان كانا جزءا من الهند قبل الاستقلال عام ١٩٤٧ . ويأتى السياح البريطانيون على رأس قائمة الجنسيات السياحية التى تزور الهند إذ يبلغ عددهم ١٣٦ ألف سائح . ويرجع السبب فى هذا إلى ارتباط الهند بأذهان ومشاعر البريطانيين الذين استمر احتلالهم لها عشرات السنين.

وقد زادت حركة السياحة إلى الهند من أمريكا الشمالية بنسبة ١٣,٨ ٪ لتصل إلى ١١٧ ألف سائح وفى نفس الوقت زاد عدد السياح من كل الأسواق السياحية بنسب تتفاوت بين ٣ ٪ و١٠ ٪ خلال عام ٨٣.

إن هذه الأرقام المتواضعة لحركة السياحة الواردة إلى الهند عام ١٩٨٣ ليست سوى بداية. ويتوقع خبراء السياحة أن تقفز هذه الأرقام إلى عدة ملايين خلال السنوات القادمة إذا ما استقرت الأمور وهدأت الأحداث.

إننى من خلال جولتى فى عدد من الأقاليم الهندية أستطيع أن أقول أن صناعة السياحة تسير فى الطريق الصحيح تخطيطا وإنجازا وأدراكا لأهميتها الاقتصادية .

عندما شاركت قناة السويس في تحرير «جويا» الهندية

صدق الذى قال: إن رحلة واحدة إلى أى بلد تتاح للإنسان فيه فرصة المشاهدة والمعايشة على الطبيعة.. تساوى حصيلة قراءة ألف كتاب.

وبالتجربة فقد وجدت أن القراءة أو الاستماع لمعلومات تتعلق بأى حدث أو بلد لابد وأن تختلف تماماً عما أشاهده وأراه بعينى.

إن نظرة كل إنسان إلى ما يراه حقيقة أمامه تختلف وفقا للمعايير الحسية عما قد يراه إنسان آخر مهما كانت قدرته على الوصف وتجسيد الواقع كتابة أو حديثا وليس هذا القول نابعا من فلسفة أو تخيلات أو تجاوزات فى التعبير ولكنه حقيقة ملموسة تعبر عن تجربة شخصية لمستها بنفسى فى كل رحلاتى وسفرياتى سواء كانت صحفية أو سياحية.

وفى رحلتى الأخيرة للهند والتى تناولت بعض جوانبها السياسية والسياحية فى أكثر من مقال اكتشفت رغم زياراتى المتعددة لها أن معلوماتى كانت قاصرة فيما يتعلق بإمكانياتها الجغرافية والسياحية والحضارية، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن رحلاتى السابقة إلى الهند كانت تتركز على متابعة الأحداث الصحفية فى عاصمتها السياسية نيودلهى وفى عاصمتها الاقتصادية بومباى.

لقد شملت جولتى فى ربوع الهند الشاسعة الأرجاء والتى تسميها كتب الجغرافيا لموقعها وحجمها «شبه القارة الهندية» كثيرا من المدن شرقا وغربا وشمالا.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٤/١٢/١٣.

وكانت البداية من بومباى وهى أهم مركز للمواصلات الجوية والبحرية بين الهند وكل عواصم العالم.

لقد أمضينا فى هذه المدينة الغريبة التى تجمع كل مظاهر الحياة والغموض مثلها مثل الكثير من الموانى، ٢٤ ساعة بعد وصولنا. إنها تعد أكبر مدينة فى الهند تعدادا للسكان ١٠ ملايين نسمة، وهو بالطبع رقم عادى للغاية بالنسبة للتعداد العام للهند ٧٠٠ مليون نسمة. وهى أكبر مركز تجارى بين كل مدن الهند وسوق شامل لكل منتجات الولايات الهندية كما أن حركة الاستيراد والتصدير من مينائها يحتل ٨٠٪ من مجموع حركة التجارة الهندية مع العالم الخارجى.

وخلال الساعات التى أمضيناها فى بومباى والتى سبق لى زيارتها عدة مرات من قبل فى رحلاتى وصولا وسفرا إلى الهند.. نظم لنا مكتب السياحة الهندى زيارة لإحدى الجزر «جزيرة الفنتا» وتبعد حوالى ساعة بالقوارب البخارية التى تقوم برحلات سياحية دورية. وأهم معالم هذه الجزيرة.. معبد من معابد الهندوس القديمة أقيم داخل كهف ونحتت تماثيله التى تروى الأساطير الهندية القديمة فى صخوره الجرانيتية وقد أثار إنتباهى هذا الشبه فى استخدام التماثيل. والنحت لعرض الأنشطة والأعمال الخارقة لآلهة الهندوس وهو ما يشبه ما كان يقوم به الفراعنة منذ آلاف السنين. ويعتبر معبد الكهف فى «الفنتا» من أشهر وأقدس معابد الهندوس.

وفى اليوم التالى لوصولنا إلى بومباى سافرنا بالطائرة إلى «جويا» على الساحل الغربى للهند والمطل على بحر العرب. وإذا كانت جويا تتمتع بشهرة كبيرة كواحدة من أجمل مناطق الشواطئ فى الهند.. فإنها فى نفس الوقت لها قيمة تاريخية ترتبط بتاريخ مصر. لقد ظلت جويا مستعمرة برتغالية فى أرض الهند منذ عام ١٥١٠ . وبدأت الهند فى الستينات تطالب بجلاء البرتغال عن المستعمرة التى تم الاستيلاء عليها إبان موجة الاستعمار التى دفعت الدول البحرية إلى الإندفاع تجاه منطقة دول آسيا إثر الحملات الاستكشافية وبالطبع فقد كان الهدف من الاستيلاء على هذه المنطقة هو تأمين تحركات الأساطيل البرتغالية.

وفى عام ١٩٦١ وبعد أن ما طلت البرتغال فى التسليم بحق الهند فى جويا.. زحفت القوات الهندية إليها واستولت عليها بعد استسلام الحامية البرتغالية وأسرعت

البرتغال فى عهد دكتاتورها الراحل «سالازار» إلى إرسال أسطولها فى محاولة لنجدة الحامية. واقتربت سفن هذا الأسطول من بور سعيد استعدادا لعبور قناة السويس إلى البحر الأحمر ثم إلى بحر العرب الذى تطل عليه جويا، وفى ذلك الوقت وتجاوبا مع العلاقات القوية التى كانت تربط بين جمال عبدالناصر ونهرو زعيم الهند أصدرت مصر قرارها بإغلاق قناة السويس أمام السفن البرتغالية.

وانتهت الأزمة بإقرار البرتغال لإجراءات عودة جويا إلى الوطن الأم.. الهند بعد استعمار دام ٣٥٠ عاما.

إن جـويا أصـبـحت الآن واحـدة من ولايات الهند وهى من أجـمل المناطق على الإطلاق.. وتعتبر بشواطئها المتعددة التى تظللها أشجار جوز الهند التى تشبه النخيل عندنا من أهم عناصر الجـذب السـيـاحى.. إن تعـداد ولاية جـويا يصل إلى مليـون نسمة.. بينما يبلغ عدد زوارها من السياح ٥٠٠ ألف سائح سنويا من بينهم حوالى ٥٠ ألف سائح أجنبى معظمهم من الأوربيين..

ويبدو أن الهنود قد استشعروا الأهمية السياحية التى يمكن أن تكون لهذه المنطقة الفريدة من نوعها.. فأصدروا التشريعات اللازمة للمحافظة على طابعها البرتغالى. وجويا هى الولاية الوحيدة التى يقيم فيها أكبر تجمع من المواطنين الهنود الكاثوليك «٣٨٪ من تعداد السكان».

وقد أحسست وأنا أتجول فى شوارع مدن جويا.. أننى أسير فى حوارى مدينة لشبونة عاصمة البرتغال حتى الفنادق الحديثة وما أكثرها فإن معظمها أقيم بنفس طراز البناء البرتغالى. كما نجح الهنود أيضا فى جذب شركات الفنادق العالمية إلى جانب الشركات المحلية لإدارة مجموعة رائعة من القرى السياحية، فى المنطقة وإلى جانب وجود هذه القرى على الشواطئ فإن الغابات تحيط بها من كل جانب حيث الملاعب الرياضية المتعددة بالإضافة إلى الرحلات البحرية المنظمة لصيد السمك. والجو فى جويا شديد الحرارة فى الصيف ولايمكن تحمله للزيادة الكبيرة فى نسبة الرطوبة. ولكنه معتدل ورائع خلال شهور الشتاء.

ومن أهم عناصر الجذب فى جويا وجود مجموعة هائلة من الكنائس التى أقامها البرتغاليون وهى تعتبر من المزارات الرئيسية فى المدينة. وبعض هذه الكنائس كانت

فى الأصل مساجد أقامها الأمير عادل شاه المسلم والذى كان يحكم جويا قبل الغزو البرتغالى ورغم أن السياحة أصبحت ومنذ سنوات تحتل المكانة الأولى فى دخل جويا.. إلا أنها فى نفس الوقت تعتبر من أهم مناطق مناجم استخراج المنجنيز وخام الحديد الذى يجرى تصديرهما إلى اليابان.

إن جويا الهندية بكل التقدم الذى تشهده فى التنمية السياحية.. تمثل تجربة فريدة من نوعها.. وفى اعتقادى أن العلاقات بين مصر والهند تسمح بأن نستعير الإجراءات والخطوات التى تمت لتحقيق هذا النجاح.. لندرسها ونستفيد بها فى تنفيذ المشروعات السياحية على شواطئها والتى لا تقل جمالا وروعة مع تميزها بالجو المعتدل الذى يناسب السياحة معظم شهور العام.

حــــــــدث .. فـى بـومـــــــبــــــاى ؟!

السرقات *التى تتعرض لها الفنادق العملاقة أصبحت ظاهرة يعانى منها نزلاؤها.. ولا يمر يوم إلا وتطالعنا الصحف الأجنبية والمحلية ببعض هذه السرقات رغم وجود أجهزة الأمن المدربة التى تتولى مسئولية تأمين هذه الفنادق.*

ولعل ارتفاع عدد الغرف فى هذه الفنادق ليصل فى بعضها إلى ألفى غرفة من بين الأسباب التى تزيد من صعوبة مهمة أجهزة الأمن. وفى السنوات الأخيرة تحولت هذه السرقات إلى مشكلة حقيقية تؤرق راحة الإدارات الفندقية.

وفى الدول المتقدمة مثل أمريكا يحاولون مواجهة المشكلة باستخدام التكنولوجيا والعقول الألكترونية إن كل نزيل فى الفنادق التى استعانت بهذه الأنظمة يحصل على كارت مبرمج بالكمبيوتر مع مفتاح الحجرة التى سيقيم فيها. ولابد للنزيل أن يضع هذا الكارت فى «فتحة» خاصة بالباب قبل أن يستعمل المفتاح لفتحه. وتتغير الشفرة اللازمة لفتح الباب والمسجلة على كارت الكمبيوتر من نزيل إلى آخر.

ولقد ساهم هذا النظام فى التقليل من عمليات اقتحام غرف النزلاء من أجل السرقة. ونظرا لأن إقامة مثل هذه الأنظمة باهظة التكاليف.. فإن كثيرا من الفنادق لم تأخذ بها مفضلة الاعتماد على العنصر البشرى لتوفير الأمن.. مع التأكيد على النزلاء لوضع ما يحملون من أموال ومجوهرات داخل خزائن خاصة أعدت لهذا الغرض بالفندق. ورغم كل ضمانات الأمان المتوافرة لهذه الخزائن فإنها تتعرض أيضا للسرقة.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٤/١٢/١٦.

●●●

وأذكر للتأكيد على هذه الحقيقة ما تعرض له الزميل الصديق الدكتور حسن رجب رئيس قسم المراسلات الخارجية فى الأخبار أثناء زيارته لمدينة نيويورك فى العام الماضى. قال إنه وتحت تأثير الخوف من السرقة طلب من الفندق الذى كان يقيم فيه خزانة خاصة ليضع فيها الدولارات القليلة التى كانت معه والتى لم تكن تتعدى عدة مئات وكانت مفاجأة عندما فتح الخزانة ليأخذ دولاراته بعد انتهاء إقامته بالفندق ليكتشف أن شخصا ما قد عبث بها وأخذ ورقتين فئة المائة دولار. وعندما ذهب إلى موظف الاستقبال يخطره بما حدث.. أبدى دهشته وقال له: إن الخزانة لا يوجد لها سوى مفتاح واحد هو الذى معه.. وأنه من الصعب فتحها ثم إغلاقها بهذه السهولة.

ونصح الموظف الدكتور حسن بالتوجه إلى الشرطة للإبلاغ عن الحادث .. وبالفعل توجه إلى الشرطة وأحضر معه أحد الضباط الذى قام بمعاينة الخزانة ثم وجه إليه عدة أسئلة. كان من بينها الاستفسار عن موعد مغادرته نيويورك. وعندما قال له أنه سوف يغادرها فى نفس اليوم إلى واشنطن قال له وهو يحاول أن يخفى ارتياحه.. بأنه سيخطره بنتيجة التحقيق على عنوانه فى واشنطن.

وانتهت زيارة الدكتور حسن رجب لواشنطن وللولايات المتحدة دون أن يصله أى إخطار عن نتيجة هذا التحقيق!!

●●●

وإذا كانت سرقات الفنادق شيئا عاديا فى نيويورك فإن وقوعها فى مدينة مثل بومباى يعتبر شيئا غير عادى، ولايمكن لأحد من نزلاء الفنادق أن يشعر بهول مثل هذه السرقات إلا إذا تعرض لهذه التجربة ومر بأحاسيس الخوف والهلع التى تسببها.

لقد تعرض الزميل سامى الشاهد رئيس تحرير صحيفة «الأجبشيان جازيت» التى تصدر فى القاهرة باللغة الإنجليزية ورفيق رحلتى إلى الهند خلال الأسبوعين الماضيين لهذا المأزق.

بدأت أحداث هذه السرقة بعد وصولنا بومباى من مدينة أودايبور الهندية بساعة تقريبا. كنت أقيم فى الدور الثانى عشر من الفندق بينما كان زميلى الشاهد يقيم فى

الدور السابع عشر.. واتفقنا تليفونياً على اللقاء فى ردهة الفندق حيث كان موعدنا مع الصديق أحمد عطية مدير مصر للطيران فى الهند لتلبية دعوته لتناول الغذاء.. ونزلنا فى وقت واحد كل منا فى مصعد مختلف وأخذ سامى مفتاح حجرتى مع مفتاح حجرته وسلمهما إلى موظف الاستقبال.. وكان أحمد عطية فى انتظارنا. وأستأذنت فى التوجه لاستبدال بعض عملات أجنبية بالروبيات وجاء معى الزميل سامى لنفس الغرض. وفى طريق العودة إلى ردهة الفندق دخلت أحد المحلات لشراء بعض الهدايا بينما أخبرنى سامى بأنه سيصعد إلى حجرته لإحضار بعض الأوراق.

وعندما عدت إلى ردهة الفندق مرة أخرى أخبرنى أحمد عطية بأن صديقى سامى لم يجد مفتاح حجرته عند موظفة الاستقبال وقال أنه اضطر أن يصعد إلى حجرته بدون المفتاح بعد أن قامت الموظفة بإخطار الخادمة التى تقوم بتنظيف حجرات الدور الذى يقيم به لتفتح له حجرته بالمفتاح العام «الكى ماستر» إلى أن يتم العثور على المفتاح. ووقفت أمام المصاعد انتظر نزول سامى بينما توجه أحمد عطية إلى سيارته لانتظارنا هناك مع طفليه اللذين كانا بصحبته.

●●●

ومضت ربع ساعة ثم نصف ساعة دون أن يظهر أثر لسامى وأحسست بالغضب لهذا التأخير الذى لا معنى له واضعا فى اعتبارى مضيفنا الذى ينتظرنا فى سيارته أمام الفندق. وتحول الغضب إلى قلق تغذيه هواجس اللاشعور. واضطررت بعد مضى ٤٥ دقيقة من الانتظار أن أطلبه بالتليفون فى حجرته وأنا فى غاية الثورة لمعرفة سبب هذا التأخير.. وفوجئت بصوت أجنبى يرد على مستفسرا عن اسمى. وذكرت له اسمى بعد أن تأكدت أن رقم الحجرة صحيح. وأعطانى سامى لأجده مضطربا هلعاً يقول لى فى صوت متهدج متقطع لاهث.. الحقنى يا جلال.. كسروا الشنط وسرقونى وأحسست بجسدى كله ينتفض ووجدت نفسى مضطربا خائفا لا أدرى ما أقوله وتمالكت نفسى وأسرعت إلى استقبال الفندق أطلب مفتاح حجرتى، كان كل همى فى هذه اللحظة حقيبة أوراقى التى كان بها بقية ما أملكه من نقود وجواز سفرى وتنفست الصعداء عندما دخلت الحجرة حيث كانت الحقيبة سليمة قابعة فوق السرير. وأخذتها

بسرعة وأسرعت إلى حجرة سامى فى الدور السابع عشر. فوجدته مصفر الوجه زائغ العينين.. وقدم لى شخصا هنديا كان معه باعتباره مدير الأمن فى الفندق. وقال لى والكلمات لا تكاد تخرج من شفتيه.. يبدو أننا مستهدفون. المسألة فيها سر.. احنا فى خطر.

●●●

وعندما وجدنى لا أستطيع الرد بدأ يشير إلى حقيبة أوراقه التى استخدم اللص «مفكا» حديديا كان لايزال موجودا فوق السرير لكسرها. ونظرت فى أرجاء الحجرة فوجد كل شيء مبعثرا على أرضها وسألته إذا كان قد اكتشف ما سرق منه.. قال إنه لم يكن فى حقائبه أى نقود باستثناء بعض الجنيهات المصرية التى اختفت.. وقال أنه لا يستطيع أن يصدق ما حدث.. إن ما جرى لم يستغرق سوى ١٥ دقيقة فقط.. هى الوقت الفاصل بين مغادرته الغرفة ثم عودته إليها مرة أخرى. وتساءل وقد ارتسم الرعب على قسمات وجهه.. ماذا كان سيحدث لو أنه صعد إلى الحجرة ووجد اللص فى داخلها ورد على تساؤله قائلا.. إن حياته بالتأكيد كانت ستتعرض للخطر من جانب اللص الذى كان سيفاجئ به. وقال إن شيئا لم يكن سيمنعه من ضربه بسكين أو بسلاح نارى للإفلات من الحجرة!!.

وسألت مدير الأمن فى الفندق: كيف يحدث هذا فى فندق كبير له سمعته؟ وسكت قليلا ثم برر ما حدث بأن اللص انتهز الفرصة فى الزحام أمام موظفات الاستقبال ليسرق مفتاح الحجرة.

إن الظروف خدمته عندما لم يصادفه أحد من الأمن أو خادمات الدور وهو فى طريقه للحجرة.

وأثناء النقاش الذى كان يدور بينى وبين مدير الأمن دق جرس التليفون. وكان المتحدث أحمد عطية الذى قال لى أنه يبحث على منذ ساعة فى كل أرجاء الفندق وفى حجرتى حتى التقى بإحدى موظفات العلاقات العامة بالفندق فأخبرته بما حدث.. وقال إنه فى غاية الدهشة ويرجو ألا يكون اللص قد سرق شيئا له قيمة.

●●●

وتوجه الزميل سامى الشاهد بعد ذلك مع مدير أمن الفندق إلى أقرب مركز للشرطة الهندية حيث قدم بلاغا بالحادث.. وحضر أحد الضباط لمعاينة الحجرة وأثار اقتحامها وشاهد الحقائب التى تم فتحها عنوة. وبعد أن أعد تقريرا بما حدث سأله عن موعد سفره من الهند. وعندما قال له أننا سنغادر بومباى فجر اليوم التالى إلى القاهرة. قال إنهم سيتولون الكشف عن الجانى وسيخطرونه على عنوانه المسجل فى البلاغ.

وعندما لاحظ مدير أمن الفندق حالة الهلع والخوف التى سيطرت على سامى..طلب من مدير عام الفندق نقله إلى أحد الأجنحة وتعيين حراسة عليه حتى يشعر بالاطمئنان على حياته إلى أن يغادر بومباى.. ولم يسقطنى مدير الأمن من هذه الحماية والحراسة.. بعد أن نقل إلى سامى جانبا من خوفه واضطرابه.

●●●

وأمضينا ليلة سوداء فى فندق بومباى أنا وسامى الشاهد.. كل فى حجرته.. لم تنقطع بيننا الاتصالات التليفونية لأقل وأتفه حركات خارج حجرتنا ، وبالطبع فقد خاصمنا النوم تماما. وظللنا متيقظين متوترى الأعصاب حتى غادرنا الفندق فى الخامسة صباحا، ولم نفق من الصدمة التى كانت على صورة كابوس مرعب.. ولم نشعر بالأمان الحقيقى إلا عندما حلقت بنا الطائرة فى رحلة العودة إلى قاهرتنا الحبيبة.

سويسرا الشرق .. التى يسكنها ٥ ملايين مسلم ؟

قبل *وصولى إلى كشمير فى إطار زيارتى للهند تبادر إلى ذهنى على الفور الكثير من الأحداث السياسية التى ترتبط فصولها بهذه المنطقة. ورغم الهدوء الذى شعرته فى كل تحركاتى داخل كشمير مدنا وقرى.. إلا أنها مازالت وحتى الآن تمثل قمة التوتر فى العلاقات بين الهند وباكستان. والدليل على هذا الوضع الخاص.. ما لاحظته من وجود مكثف للجيش الهندى فى المناطق الجبلية التى تفصل بين كشمير الهندية وكشمير الباكستانية..*

وقد بدأت هذه المشكلة فى أعقاب استقلال شبه القارة الهندية وانهاء الاحتلاء الاحتلال البريطانى عام ١٩٤٧ .. وما صحب ذلك من تقسيم أدى إلى ظهور دولة الهند ذات الأغلبية الهندوسية ودولة باكستان الإسلامية، وكان من المقرر وفقا للاتفاقيات التى عقدتها بريطانيا قبل انسحابها.. أن تحتفظ كشمير ضمن بعض المناطق باستقلالها بعيدا عن الارتباط سواء بالهند أو باكستان .. ولكن ولأن هذه المنطقة من أهم مناطق التجمعات الإسلامية فقد تدخلت باكستان لضمها إلى أراضيها واضعة فى اعتبارها أهميتها الاستراتيجية حيث أنها تقع فى شمال الدولة الهندية خلف سلسلة جبال الهيمالايا التى تفصل بين البلدين.

وأسرعت الهند إلى التدخل العسكرى على الفور لينتهى الصدام المسلح بين الشعبين اللذين كانا شعبا واحداً قبل الاستقلال إلى تقسيم هذه المنطقة إلى كشمير الهندية وكشمير الباكستانية. وانتقل الصراع والخلاف إلى الأمم المتحدة التى أصدرت

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٤/١٢/٢٠.

قراراتها باستفتاء أبناء كشمير حول المستقبل الذى يرغبونه. ولكن بسبب استمرار التوتر والخلافات بين الهند وباكستان فإنه لم يكتب لهذا الاستفتاء أن يتم.. وتجمد الموقف طوال هذه السنوات.

ويمثل الوضع فى كشمير ترمومتر العلاقات الهندية الباكستانية صعودا وهبوطا.. فعندما تستقر هذه العلاقات وتهدأ فإن كشمير تكون هادئة ومستقرة.. أما إذا كانت هذه العلاقات حالات الصدام والتوتر.. فإن ذلك ينعكس بسرعة على كشمير وسكانها المسلمين.

ويقتصر دور الأمم المتحدة حاليا تجاه هذه المشكلة على تعيين عدد من المراقبين على الحدود الكشميرية بالهند وباكستان لمتابعة حالات التوتر وما أكثرها وأخطار المنظمة الدولية بتطوراتها، ولعل أهم ما يعانى منه مواطنو كل من كشمير الهندية وكشمير الباكستانية وفق ما أحسسته خلال زيارتى هو انقطاع الصلة بين الأسرة الواحدة التى أصبح جزء منها فى القطاع الهندى والجزء الآخر فى القطاع الباكستانى نتيجة الإغلاق الدائم للحدود بين البلدين منذ سنوات طويلة.

ويبلغ تعداد سكان وادى كشمير ٢,٦ مليون مسلم وتكون منطقة الوادى مع منطقة جامو واحدة من الولايات الهندية.. وهى الولاية الوحيدة التى يتجمع فيها خمسة ملايين مسلم من تعداد سكانها الذى يصل إلى ٦ ملايين نسمة.. ومصادر الثروة الزراعية فى كشمير محدودة بسبب عوامل الجو كما لا توجد بها ثروات معدنية ولهذا فإنها تعتمد فى معيشتها على إنتاج الولايات الهندية الأخرى من الغذاء.

وإذا كانت كشمير محرومة من الثروات المادية.. فإنها وإلى جانب أهميتها الاستراتيجية تعتبر ثروة سياحية هائلة. إن كل المطبوعات الهندية عن المنطقة تصفها بأنها جنة الله فى أرض الهند.. وهى حقيقة يستشعرها كل من يزور كشمير. إنها الولاية الوحيدة بالهند التى ينفرد سكانها بشكل خاص يختلف تماما عن الصفة العرقية الهندية .. فسكانها أقرب فى الشبه لسكان بعض الدول العربية خاصة دول الخليج العربى. حتى شوارع مدن وقرى كشمير فإنها تشبه إلى حد كبير ما نراه فى كثير من المدن والقرى العربية القديمة.

ورغم أن زيارتى لكشمير قد تمت مع بداية فصل الشتاء.. حيث تختلف الصورة تماما فى الربيع والصيف.. إلا أننى شاهدت بالفعل منطقة فريدة فى جمالها وروعتها. لم أتصور وأنا أتجول فى مدنها وقراها أننى فى الهند. أن درجة الحرارة التى تصل إلى ٥ تحت الصفر وجبال الثلج التى تمثل حدودا بين الهند والصين وباكستان ونيبال جعلتنى أتصور نفسى فى إحدى الدول الأوربية. ولا أتجاوز الحقيقة إذا قلت أنها قطعة من سويسرا.

إننى لم أستطع أن أصدق عينى عندما زرت منطقة «جلمارج» والتى تقع على ارتفاع ٣٦٣٣ مترا عن سطح البحر فى جبال الهيمالايا.. إنها لا تختلف أبدا عن مناطق جبال سويسرا. الثلوج تحيط بى من كل جانب وغابات الأشجار ترتفع شامخة على حافة الجبال. وفى الوديان لتضيف إحساسا بالرهبة والجمال.

وكما فى سويسرا فإن الشتاء والجبال والثلوج تروج لرياضة التزحلق على الجليد والتى يقبل عليها كثير من السياح القادمين.. من أوربا وآسيا.

وقد شاهدت أفلاما وصورا لكشمير فى الصيف.. فوجدتها عبارة عن حديقة زهور تحيط بها البحيرات الطبيعية. ويوجد بعض هذه البحيرات وسط قمم الجبال حيث يمارس السياح فيها هواية صيد السمك خاصة السالمون. كما تنتشر فى أحراش الجبال الثلجية الحيوانات البرية التى من أهمها الدببة بفرائها الذى يشتهر بتصنيعه أهالى كشمير.

وإذا كان الله قد حبا كشمير بهذه الثروة عن الجمال الطبيعى الذى جعل من السياحة حرفة أساسية. فإن مهارة سكانها فى الصناعات اليدوية حقق لها شهرة عالمية.. ومن أهم هذه الصناعات اليدوية .. نسج السجاد من الحرير والصوف..وخلال زيارتى شاهدت الأسر الكشميرية وهى تعمل على الأنوال لتصنع قطع السجاد الرائعة التى يتم تصديرها إلى جميع أنحاء العالم. وقال لى المسئول عن المصنع أن سجادة الحرير الخالص التى تبلغ مساحتها ١,٥ مترx٢ متر تحتاج إلى أسرة تضم أربعة أفراد يعملون بصفة مستمرة لمدة ٨ شهور. وإلى جانب السجاد فإن هناك «الشيلان» الكشميرى والصوف الكشميرى والحليات الذهبية والفضية ذات

الصناعة الدقيقة وكلها منتجات لها مكانتها وشهرتها العالمية.. خاصة فى مجتمع الأثرياء.. وأصحاب الملايين.

وبسبب هذه الطبيعة السياحية الساحرة التى تنفرد بها كشمير فقد انتشرت المشروعات الفندقية بكل المستويات سواء فى منطقة الوادى أو فى مناطق الجبال الثلجية.. ولعل أشهر هذه المشروعات والتى لا يوجد لها مثيل فى أى بلد فى العالم.. تلك الفنادق العائمة التى أقيمت فوق البحيرات. أنها عبارة عن عوامات تضم كل واحدة منها خمس أو ست غرف صنعت جميعها يدويا بالخشب المنقوش المحفور الذى يشتهر به سكان كشمير.. والإقامة ليوم واحد فى هذه الفنادق تتكلف حوالى ١٥٠ دولارا.. وهى أغلى كثيرا من الإقامة فى الفنادق العادية.

إننى وبعد هذه الزيارة الخاطفة التى استمرت يومين لكشمير.. أستطيع أن أقول أن من وصفها بأنها «جنة الهند» لم يخطئ أبدا.

مملكة «سيام» فى مقدمة الدول المصدرة للغذاء

***كل** الدراسات تشير إلى أن الشرق الأقصى مازال يحتفظ بجاذبيته وغموضه. وتقول التوقعات العلمية أن هذه المنطقة الشاسعة ذات الكثافة السكانية العالية جدا لم تفصح بعد عن إمكانياتها الهائلة فى دائرة التقدم الحضارى والاقتصادى.*

ويرى بعض خبراء التاريخ الإنسانى أن الشرق الأقصى سوف يستعيد فى المستقبل القريب مجده وسيطرته من جديد على مقدرات العالم سياسيا واقتصاديا. وتستمد هذه التوقعات مقوماتها الأساسية من تحليل القفزة التكنولوجية والاقتصادية الهائلة التى حققها الجنس الأصفر.. متمثلا فى الشعب اليابانى. ومن واقع نزعة التقليد التى تتصف بها معظم شعوب الشرق الأقصى.. فإنه من المنتظر أن تنتقل حركة التقدم اليابانى إلى كثير من دول هذه المنطقة خلال السنوات القادمة.

وقد تحدثت عن زيارتى التى استغرقت أسبوعا لمملكة تايلاند التى كانت تحمل اسم «سيام» من قبل.. ومن المؤكد أن اسم مملكة «سيام» قد علق بذهننا من خلال الشهرة المدوية التى حققها الفيلم الأمريكى القديم «الملك وأنا» بطولة يول برينر. وتدور أحداث هذا الفيلم فى بلاط ملك سيام منذ عشرات السنين.

وإذا انتقلنا إلى الجانب الاجتماعى فإن الديانة الأساسية فى تايلاند هى البوذية.. ولكن هناك مجتمعا تايلانديا إسلاميا كبيرا يتركز فى منطقة الجنوب.. ويبلغ عدد المسلمين التايلانديين حوالى خمسة ملايين مسلم. ويحتاج هذا المجتمع الإسلامى

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٦/١٢/١١.

الكبير فى المملكة التيلاندية إلى مزيد من الرعاية الثقافية والدينية. وتوفير المصاحف باللغات المحلية. ولابد من الاهتمام بإرسال البعثات الدينية من الدول الإسلامية لمساعدة هؤلاء المسلمين على مزيد من التفهم لدينهم. كما أن لأعضاء هذا المجتمع الإسلامى أسئلة واستفسارات كثيرة حول أحكام الدين فى العديد من القضايا خاصة عملية تنظيم النسل.

وتمثل الزراعة.. الثروة القومية الرئيسية لمملكة تايلاند التى يصل تعدادها إلى ٥٢ مليون نسمة. وقد أصبحت الدولة بفضل ثروتها الزراعية الهائلة فى مقدمة الدول المصدرة للمواد الغذائية بشكل عام على مستوى العالم.

ويمثل الأرز أهم المحاصيل الزراعية، سواء بالنسبة للاستهلاك المحلى أو للتصدير الخارجى.. ثم يأتى بعد ذلك محصول جوز الهند الذى يستخدم فى كثير من الأكلات التايلاندية بالإضافة إلى استخدامه فى تصنيع السكر. كما تعتبر الغابات وفواكهها البرية كالأناناس والموز من أهم المصادر الغذائية الأساسية فى البيت التايلاندى.. بالإضافة إلى أنها تدخل ضمن المحاصيل التصديرية للحصول على العملة الصعبة.

وبعد الزراعة تأتى الثروة السمكية وأسطول الصيد الهائل ضمن الموارد الرئيسية للدخل القومى التايلاندى.

ولهذا فإن معظم الأكلات الشعبية وغير الشعبية تعتمد على صيد البحر من أسماك وقواقع. ولم يكتف التايلانديون بالشواطئ الطويلة والتى تمتد إلى أكثر من ٢٥٠٠ كيلو متر على المحيط الهندى وخليج تايلاند للحصول على احتياجاتهم من خيرات البحر.. بل أنهم عمدوا إلى التوسع فى إقامة المزارع السمكية لتربية الأسماك والجمبرى والقواقع فى كل مكان، وبجانب زراعات الأرز التى تنمو وسط بحيرات من مياه الرى.

وتشتهر تايلاند بالصناعات النسيجية خاصة الحرير. وفى كل أنحاء العالم يشتهر الحرير التايلاندى بدقة نسجه وروعة تصميماته.. وجميع المصنوعات الحريرية فى تايلاند تدخل فى إطار الموارد التصديرية، سواء تم تصديرها إلى الخارج أو جرى بيعها لزوار تايلاند الذين يأتون إليها من كل أنحاء العالم، خاصة بعد الثروة الهائلة

التى هبطت على الدول البترولية فى الخليج العربى.. أضيفت عملية استثمار العمالة التايلاندية ضمن موارد الدخل القومى . إن مئات الآلاف من هذه العمالة تحركت إلى دول الخليج للمشاركة فى مشروعات التنمية الواسعة. ولم تقتصر هذه العمالة على الرجال فحسب بل شملت أيضا ألوف الفتيات التايلانديات اللاتى يجرى استخدامهن فى المستشفيات وفى بيوت أثرياء دول الخليج العربى. ولكن الأقبال على العمالة الأسيوية بشكل عام بما فيها العمالة التايلاندية بدأ ينخفض بشكل كبير نتيجة هبوط أسعار البترول فى السنوات الأخيرة واستنزاف الحرب العراقية الإيرانية لجانب كبير من موارد الدول البترولية.

وفى السنوات الأخيرة تعاظمت أهمية صناعة السياحة فى الاقتصاد القومى التايلاندى. وقد حقق التخطيط الذى وضع للنهوض بهذه الصناعة نجاحا كبيرا خلال السنوات الخمس الماضية وقد دفع هذا النجاح الذى استند إلى تحليل علمى واقعى إلى التنبؤ بأن السياحة سوف تحتل مركزا رئيسيا فى الاقتصاد القومى التايلاندى خلال السنوات القليلة المقبلة.

ممنوع دخـــول الهـــيـــبـــز !!

خـلال *زيارتى لجزيرة سنغافورة.. وجدت نفسى أتذكر حملات الانضباط التى قادها اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية لفرض احترام النظام على الشارع المصرى.. ولم أملك سوى أن أترحم على هذه الحملات التى انطفأت جذوتها وذابت معالمها حتى ضاع كل أثر لها.*

وسوف يتساءل البعض فور قراءته لهذه المقدمة القصيرة عن الأسباب التى تدعونى إلى استعراض شريط هذه الذكريات بينما كنت على بعد تسعة آلاف كيلو متر من مصر الحبيبة، والحقيقة أننا نعيش بمشاعرنا ووجداننا مع مصر مهما باعدت بيننا المسافات.. فهى فى دمنا وقلوبنا لأننا جزء من ترابها.

وقد تذكرت ما جرى للانضباط فى مصر وأنا أتابع نماذج متعددة للانضباط فى هذه الدولة الصغيرة «سنغافورة» حيث يلتزم به الجميع.

ولأن النظافة أحد مقومات الحياة العامة والسياحية فى هذه الجزيرة فإن قوانين الحفاظ عليها صارمة وحازمة. إن أى شخص سواء كان مواطنا أو سائحا أو زائرا يلتزم باحترام هذه القوانين. وإذا خرج على هذه القوانين وألقى فى الشارع مثلا بورقة أو عقب سيجارة.. فإنه يفاجأ بأحد رجال البوليس يظهر له فجأة مطالبا فى أدب جم بدفع غرامة قدرها خمسون جنيها مصريا. ولا مهرب من دفعها فورا وإلا تعرض لعقوبات تصل إلى الحبس. ومن بين القوانين.. تلك القوانين الخاصة بمنع التدخين فى الأماكن المغلقة ووسائل النقل من أوتوبيسات وتاكسيات ويتولى مهمة رجل

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٦/١/١٢.

الشرطة فى هذه الحالة سائق الأوتوبيس أو التاكسى.. إنه يطالب أى راكب تسول له نفسه أن يدخن.. بالتوقف فورا عن التدخين.. وإذا لم يستجب الراكب لهذ التعليمات فإنه يفاجأ بتوقف الأتوبيس أو التاكسى فجأة أمام أحد رجال الشرطة الذى يتولى استكمال مهمة احترام القانون.

●●●

ولا يقتصر الانضباط على الحزم فى تطبيق قوانين النظافة فى سنغافورة.. بل أنه يمتد أيضا إلى المظهر العام لأى إنسان يعيش على أرض الجزيرة وتمشيا مع هذا الاتجاه.. فإن هناك تعليمات مشددة لدى أجهزة الأمن فى المطار وفى الميناء بمنع دخول السياح الهيبز من أصحاب الشعور الطويلة والملابس الرثة إلى سنغافورة ولايسمح لاى شاب سنغافورى بأن يتشبه بالهيبز سواء بإطالة شعره أو ارتداء ملابسهم.

ونظرا لصغر حجم الجزيرة وعدم توافر إمكانيات أى زيادة غير منظمة فى عدد سكانها. ومن أجل المحافظة على مستوى الحياة والخدمات فإن هناك أيضا قوانين صارمة تحدد أقصى حد للإنجاب بطفلين فقط. وإذا قررت أى أسرة سنغافورية أن يكون لها طفل ثالث فإن عليها أن تتحمل عواقب هذا التجاوز. وتشمل عقوبات عدم الالتزام بتحديد النسل القانونى.. حرمان الطفل الثالث من أى تسهيلات فى التعليم أو العلاج أو التعيين فى أى وظيفة وعدم التمتع بالإعفاءات الضريبية المقررة لرب الأسرة بالإضافة إلى الحرمان من الحصول على أى مسكن من المساكن الحكومية.

●●●

وقد فرض ضيق مساحة أراضى جزيرة سنغافورة التى يعيش عليها مليونان ونصف مليون نسمة كثيرا من القيود. ولعل هذا أيضا من أسباب ارتفاع أسعار الأراضى إلى أسعار خيالية وهناك كثير من الاحتياجات المعيشية اليومية ومنها اللبن مثلا يجرى استيرادها من الخارج. وعندما سألت بعض المسئولين.. لماذا لا يقومون بإقامة مزارع لتربية الأبقار والجاموس والاستفادة من لحومها وألبانها بدلا من الاستيراد.. قالوا أنهم يفضلون استثمار الأراضى التى يمكن أن تقام عليها هذه المزارع

لإقامة مشروعات صناعية وسياحية تدر عليهم أضعاف أضعاف ما تحققه هذه المزارع. وقالوا أنهم يستخدمون جانبا من هذا الدخل الكبير لهذه المشروعات فى استيراد احتياجاتهم ومنها اللبن واللحوم من الدول التى تتوافر لديها الأرض اللازمة لإنشاء هذه المزارع.

وعندما تساءلت عن مصادر ثروة ودخل سنغافورة الكبير.. قال هذا المسئول أنهم عندما خططوا للتنمية الاقتصادية منذ ثمانية عشر عاما قرروا أن تقوم استراتيجيتهم من حيث انتهى العالم فى تقدمه الصناعى. وعلى هذا الأساس اختاروا التركيز على صناعة «الكمبيوتر» بكل أنواعه. ولتنفيذ هذه الاستراتيجية اتفقوا مع كبرى شركات إنتاج أجهزة «الكمبيوتر» فى اليابان وأمريكا على إقامة فروع لتصنيعها فى سنغافورة على أن تتحمل هذه الشركات مسئولية تسويق الجزء الأكبر من هذا الإنتاج وحققت هذه الصناعة نجاحا كبيرا نتيجة التركيز الكامل على ضمان جودتها ومسايرتها للتقدم العالمى..

وأصبحت سنغافورة الآن من أوائل مراكز إنتاج الكمبيوتر بكل مستوياته حيث بلغت مبيعاتها وأرباحها من هذه الصناعة ١٧ مليارا من الدولارات الأمريكية.

●●●

ومن الناحية التاريخية فقد اكتشفت سنغافورة عام ١٢٩٧ ضمن ثلاث ممالك غرب جزيرة سومطرة التابعة حاليا لأندونيسيا وقد بدأت عملية ضمها إلى المستعمرات البريطانية فى عام ١٨١٩ عندما وقع سير ستامفورد رافليز البريطانى اتفاقية مع سلطانها لإقامة ميناء بها لخدمة التجارة البريطانية وظلت تحت السيطرة البريطانيةإلى أن قامت الحرب العالمية الثانية وتمكنت القوات اليابانية من الاستيلاء عليها عام ١٩٤٢ .. وفى نهاية الحرب العالمية الثانية تحررت من الاحتلال اليابانى وعادت مرة أخرى إلى الاحتلال البريطانى. وفى عام ١٩٥٧ حصلت سنغافورة على الحكم الذاتى. وفى عام ١٩٦٢ أصبحت سنغافورة دولة فى أتحاد فيدرالى مع دولة ماليزيا.. وفى عام ١٩٦٥ انفصلت سنغافورة عن ماليزيا وأصبحت دولة قائمة بذاتها. إن ٧٦٪ من سكان سنغافورة حاليا من أصل صينى و ١٥٪ من أصل ماليزى و ٦٪ من أصل هندى والباقى بعد ذلك من أصول جنسيات مختلفة.

هذه صورة سريعة للدولة التى بهرت تجربتها الاقتصادية كل العالم فى السنوات الأخيرة.. ولعلى قد أوضحت بالأمثلة التى ذكرتها بعض الأسباب التى أدت إلى هذه الانطلاقة التى حققتها والتى كان أحد مقوماتها.. الانضباط واحترام القوانين والوضوح الكامل فى الاستراتيجية الاقتصادية.

دولة .. هوايتها الانضباط والنجاح !

عندما *هبطت الطائرة فى المطار بعد رحلة جوية استمرت ١١ ساعة طيران.. نسيت التعب والأرهاق والرغبة الشديدة فى النوم. اعتقدت عندما بلغت مبنى الركاب أننى فى صالون فخم فى قصر عظيم على أعلى مستوى من الذوق والديكور تأثيثا وتصميما...*

صالات واسعة وخضرة يانعة تبرز فيها زهور «الأوركيد» البنفسجية اللون.. ونباتات متسلقة تتدلى على الجدران والأعمدة المغطاة بالرخام.. بينما اكتست الأرضيات بمساحاتها الهائلة بالموكيت ذى اللون البنفسجى.

لم يكن هذا حلما.. أو صورة جميلة من وحى خيال فنان موهوب عريق فى استخدام الريشة والألوان الزاهية.. لقد كانت حقيقة.. شاهدتها وعايشتها فى هذا العمل الرائع.. المبنى رقم ٢ فى مطار سنغافورة الذى تم افتتاحه منذ سبعة شهور.

كانت هذه المفاجأة فى انتظارنا بعد هذه الرحلة الطويلة على الطائرة السنغافورية.. حيث المستوى العالى من الخدمة الذى جعل ساعات الطيران تمر بسرعة.. وبالطبع فإننى أكون عادلا عندما أصف الجهد الذى بذله طاقم الضيافة بأنه رفيع المستوى، يلقى الراكب من خلاله معاملة ترقى إلى التدليل المحبب إلى النفس.

ورغم أننى زرت سنغافورة أكثر من مرة قبل هذه الرحلة إلا أننى أحسست بأننى أراها لأول مرة بينما السيارة تشق بى الطريق إلى الفندق. إنها تزداد جمالا ورونقا.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩١/٦/٣.

أينما وجهت النظر يمينا أو يسارا لا أرى سوى الأشجار والزرع الأخضر والزهور الزاهية الألوان.. حتى الكبارى وأعمدة النور يغطيها الزرع والورود.

هذه المناظر الرائعة تجعلك تنسى درجة الرطوبة العالية التى تتراوح ما بين ٧٠٪ و ٩٠٪.. إن هذا الارتفاع فى نسبة الرطوبة يجعلك تشعر بشدة الحرارة رغم أنها لا تزيد عن ٣٥ درجة.. لهذا ولمواجهة هذا الجو فإن كل شىء مكيف فى سنغافورة.. الدولة التى وصلت إلى أعلى مراتب النجاح الاقتصادى والرقى والتقدم بفكر وجهد وعرق مواطنيها.

●●●

وليست الطبيعة والخضرة التى يجرى تنميتها بالاستزراع المستمر هى كل ما يثير الانتباه فى سنغافورة.. ولكن هناك أيضا النظافة التى تفوقت فيها على كل دول العالم المتقدم جدا سواء أمريكا أو أوربا .. استطاعوا أن يحققوا هذا المستوى الغريب جدا من النظافة بقوانين الانضباط التى تنفذ بكل حزم وحسم ودون أى استثناء. وهناك عقوبات مالية رادعة على كل من تسول له نفسه عدم الالتزام بقواعد النظافة.. ومن أمثلة هذه العقوبات أن يدفع من يضبط وهو يلقى «عقب» سيجارة فى الشارع ٥٠ دولارا سنغافوريا (١٠٠ جنيه مصرى).

بينما ترتفع العقوبة إلى ١٥٠دولارا أى (٣٠٠ جنيه مصرى) للتدخين داخل المصاعد

وإذا ضبط أحد رواد المطاعم أو المحلات العامة بعد استخدام دورة المياه دون أن يجذب «السيفون» فإنه يدفع غرامة فورية قدرها ١٥٠ دولارا سنغافوريا (٣٠٠ جنيه مصرى» وقد ذكروا لى فى السفارة المصرية أن أحد السائقين السنغافوريين أخطأ وبصق فى الشارع أثناء قيادته السيارة.. وكان نتيجة ذلك دفع غرامة ٢٠٠ دولار سنغافورى (٤٠٠ جنيه مصرى).

●●●

أما غرامات مخالفة المرور فإنها تجعل أى صاحب أو قائد سيارة يفكر مرة ومرتين وثلاثا قبل أن يتجرأ على خرق القواعد. أن أقل غرامة هى الوقوف فى أماكن

الانتظار دون دفع الرسوم تصل إلى ١٠٠ جنيه مصرى، ولعل ما يبرر للسلطات السنغافورية إجراءاتها الرادعة جدا أنها تقوم بتوفير أماكن الانتظار قبل أن تقرر فرض العقوبات.. والدليل على فاعلية إجراءات الانضباط عدم وجود عدادات انتظار للسيارات فى الشوارع وإنما يجرى بيع دفاتر طوابع خاصة فى مكاتب البريد يحدد فى كل طابع التاريخ والساعة والسنة.. يضعها صاحب السيارة فى مكان بارز بواجهة السيارة كلما دخل أى مكان انتظار. ويا ويل صاحب السيارة الذى لا يضع هذا الطابع أو من يدفعه سوء الحظ إلى التلاعب ويتم ضبطه. وبسبب إرهاب الانضباط فإن نسبة الذين يخالفون المرور قليلة جدا فى سنغافورة. ووجدت نفسى أقول وأنا أتابع كل هذه الأوضاع المرورية... يا عينى عليكى يا مصر.. حيث قواعد المرور التى لا تحترم.. والإهانات التى توجه لرجال المرور من الذى يسوى والذى لا يسوى.. دون التعرض لعقوبة أو ردع!!.

●●●

وفى سنغافورة تعتبر جريمة الرشوة من الكبائر يخضع لعقوبتها الصغير والكبير على السواء. ومن أجل الحفاظ على القدوة ومحاصرة الأسباب التى قد تؤدى إلى هذه الجريمة البشعة باعتبارها أحد عناصر انهيار المجتمع.. تعمل الحكومة على أن يحصل كل عامل منتج على الدخل الذى يوفر له الحياة الكريمة. وقد حددت الدولة مرتبا للوزير يفى بكل احتياجات حياته المعيشية والاجتماعية وهو فى حدود ٢١ ألف دولار سنغافورى شهريا أى حوالى ٤٢ ألف جنيه مصرى. ويا ويل أى وزير.. يتهم فى جريمة رشوة أو تدور حوله شبهة الرشوة.. إن الإعدام ينتظره فى هذه الحالة. وقبول المسئولين للهدايا ممنوع بالقانون ويسمح به فقط فى المناسبات فى احتفالات العام الجديد وأعياد الميلاد المجيدة وبحدود مقننة.

ولأن سنغافورة تميل إلى تطبيق القوانين البريطانية بحكم خضوعها للاستعمار البريطانى سنوات طويلة.. فإنها تأخذ بالتقليد البريطانى الذى يسمح لرجل القضاء بتحديد المرتب الذى يكفى معيشته بالمستوى الذى يرضاه ضميره ضمانا لاستقلاله وعدم خضوعه لأى إغراء فى إصدار أحكامه!!.

وتعتبر المخدرات وتهريبها العدو رقم واحد لقوانين سنغافورة.. ولهذا فإنها استطاعت بالعقوبات الأكثر من رادعة أن تحد من تعاطيها أو التجارة فيها داخل البلاد. وتقول التقارير أنه قد تم إعدام ١٢ من المهربين الذين حاولوا أدخال المخدرات إلى سنغافورة عام ١٩٩٠ . إن عقوبة الإعدام تطبق على المهرب فى حالة ضبط ما يفوق ٣٠ جراما معه.

●●●

ومن السلوكيات التى أثارت أعجابى تمسك كل مواطن سنغافورى بحقه سواء فى تعامله مع باقى المواطنين أو مع الدولة. وقد شاهدت كمثال على ذلك.. أحد هؤلاء المواطنين يصر على أنزال سيدة وأولادها من سيارة تاكسى لأنها خرقت النظام ولم تلتزم بالدور فى الطابور الخاص بالحصول على تاكسى.. واستجابت السيدة على الفور وغادرت التاكسى دون أن تعترض أو تتفوه بكلمة واحدة.

وبمناسبة الحديث عن المرور وفى إطار إجراءات القضاء على الاختناقات، فإن الحكومة تفرض رسوما جمركية مخفضة على السيارات التى يجرى استخدامها فى الأجازات فقط. وتوضع على هذه السيارات أرقام بألوان معينة تميزها عن باقى السيارات. كما يتم فرض رسوم خاصة للدخول إلى شوارع وسط المدينة المزدحمة.

ومن أجل الحفاظ على دخل البلاد من الضرائب والرسوم المفروضة على استخدام البنزين.. فقد اتخذت بعض الإجراءات التى تمنع لجوء أصحاب السيارات إلى عبور الحدود إلى ماليزيا للتزود بالوقود الرخيص الثمن والعودة. إن أى سيارة لا يسمح لها بعبور الحدود إلا إذا كان بخزان بنزينها ما يساوى ثلثى حجمه وكما هو معروف فإن المسافة بين قلب سنغافورة وحدود ماليزيا لا تتعدى ٤٠ كيلو مترا تقطعها السيارة فى نصف ساعة فقط.

ومن ناحية أخرى فإنه يسمح للمواطنين الذين يقومون بزيارة ماليزيا بشراء احتياجاتهم من الأغذية بأسعارها التى تقل بنسبة ٣٥٪ عن أسعار سنغافورة. وهناك علاقات قوية تربط بين ماليزيا وسنغافورة حيث أن سنغافورة كانت تابعة لماليزيا وكانت جزءا من اتحاد الملايو حتى عام ١٩٦٥ الذى أعلن فيه استقلالها . وتبلغ نسبة

السكان من أصل ماليزى فى سنغافورة حوالى ١٥٪ بينما يصل عدد سكانها من أصل صينى إلى ٧٥٪ ومن أصل هندى إلى ٦٪. وينتشر الجنس الصينى فى كل دول قارة آسيا ومن بينها ماليزيا حيث تبلغ نسبته ٣٥٪ من عدد السكان.

ونظراً لهذا الارتباط القوى بين ماليزيا وسنغافورة بالإضافة إلى الحدود المشتركة.. فإن التأثير الثقافى والاجتماع الماليزى يبدو واضحا على كل مظاهر الحياة. وقد فوجئت أثناء تجولى فى شوارع سنغافورة بصوت أذان العشاء .. واكتشفت أنه يذاع باستمرار من محطة تليفزيون ماليزيا التى يتم استقبالها بوضوح وقوة فى سنغافورة.

●●●

وكما أن الديمقراطية هى القاعدة التى يقوم عليها الحكم فى الدول المتقدمة صناعيا وحضاريا.. فإن نفس القاعدة مطبقة أيضا فى سنغافورة ولكن بمذاق سنغافورى خاص. ومن مظاهر هذا المذاق أن مجلس النواب يتم بالانتخاب.. ولكن على كل ناخب أن يكتب اسمه وعنوانه فى بطاقة الانتخاب!!.

وبسبب التقدم وارتفاع مستوى المعيشة ورضاء الناس عن حياتهم ودخولهم وانضباطهم فإنه لا توجد معارضة فى مجلس النواب باستثناء نائب واحد فقط نشط. ويقول المراقبون فى سنغافورة أن هذا النائب يقوم بدور كبير فى المعارضة وهو على أعلى مستوى فى ممارسة مهمته يدعمه فى ذلك فهمه للأوضاع وثقافته السياسية والاقتصادية.

ومن النوادر التى يرددها السنغافوريون والتى يتضمنها تسجيل أحداث بانوراما الحرب العالمية التى يشاهدها السياح فى جزيرة سامتوزا السياحية.. ما حدث عند احتلال اليابانيين للجزيرة فى نهاية الحرب العالمية الثانية، لقد استعد البريطانيون لاستقبال القوات اليابانية المهاجمة. نصبوا المدافع تجاه البحر توقعا للهجوم.. ولكن فوجئوا بالقوات اليابانية تأتيهم من ناحية البر يركب أفرادها الدراجات. «ويبدو أنه نفس ما حدث لنا فى نكسة ٦٧ حيث انتظرناهم من الشرق فجاءونا من الغرب» ومافيش حد أحسن من حد.

وقد استسلمت القوات البريطانية .. إلى أن تم تحرير سنغافورة عام ١٩٤٦ على أيدى القوات الأمريكية، ومعها القوات البريطانية.

وفى إطار جهود وقوانين الانضباط التى جعلت من هده الدولة الصغيرة أنظف دولة فى العالم.. أعلنت الحكومة السنغافورية أنها ستعلن ابتداء من العام القادم «سنغافورة دولة خالية من التلوث» ولتنفيذ هذه الخطة فإنه من المقرر أن تصدر قرارات وقوانين تمنع التدخين فى كل الأماكن المغلقة فى الدولة.

هذه «سنغافورة» الجزيرة الصغيرة التى وصلت اقتصاديا إلى مرتبة الدولة المتقدمة.. إنها دولة تهوى الانضباط والنظافة والنجاح!!.

دولة تتفوق فى صناعة العصر

منذ *الستينات وخبراء الاقتصاد فى العالم يؤكدون أن السياحة هى أمل الدول النامية للخروج من دائرة نقص العملات الصعبة.*

لقد بنوا موقفهم على أساس أنها منتج تصديرى يعتمد على ترويج الخدمات والإمكانيات الطبيعية المتوافرة التى لا تحتاج إلى إستثمارات ضخمة. وأضافوا إلى ذلك أنها من الأنشطة ذات العائد السريع التى تحتاج إليها هذه الدول لمواجهة احتياجاتها المتزايدة من العملات الصعبة.

ومع ازدياد أهمية السياحة وانضمام العديد من الدول المتقدمة إلى المنافسة للحصول على نصيبها من الحركة السياحية العالمية المتزايدة.. تحولت الأنشطة السياحية إلى صناعة اقتصادية هائلة تستند إلى العلم والخبرة.. ونتيجة لهذا التطور قفز الإيراد السياحى فى كثير من الدول ليحتل مقدمة الدخول القومية. ومع هذا التطور الكبير الذى شهدته صناعة السياحة فى السنوات الأخيرة فقد تحددت العوامل المؤثرة فى جذب السياح لتشمل السياحة الثقافية والترويحية والدينية والشرائية، والرياضية بالإضافة إلى سياحة المؤتمرات والحوافز، وتقوم كل دولة باختيار العوامل التى تتناسب وإمكانياتها وتخطيطها للتنمية السياحية.

وعند مناقشة التجربة السياحية فى تايلاند.. «مملكة سيام» نجد أنها تعتمد حسب الأهمية على السياحة الترفيهية ثم السياحة الشرائية.. ثم السياحة الثقافية، وسياحة المؤتمرات بالإضافة إلى استغلال موقعها الوسط فى نقطة اتصال للنقل الجوى فى قارة آسيا.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٦/١٢/١٨.

وقبل الحديث عن جوانب النشاط السياحى فى تايلاند فإنه لابد أن أشير إلى أن عدد السياح الذين زاروها فى العام الماضى بلغوا حوالى٢,٤ مليون سائح.. ومن المتوقع أن يرتفع العدد إلى ٢,٦ مليون سائح هذا العام.. وهو ما يعنى ضعف عدد السياح الذين تستقبلهم مصر التى تعتبر منطقة جذب سياحى متكاملة لكل أنواع السياحات المتعارف عليها! ومع بداية الثمانينات لم يكن عدد الذين يزورون تايلاند يتجاوز المليون سائح.

ورغم أن ديون تايلاند (٥٢ مليون نسمة) تصل إلى حوالى ١٣ مليار دولار.. إلا أن ظروفها الاقتصادية ساهمت فى أن تحافظ عملتها على قيمتها.. حيث لا توجد سوق سوداء لهذه العملة.. إن سعر الدولار فى البنوك هو نفس سعره فى أى منفذ لصرف العملات (٢٥ باط لكل دولار)، وهذه الميزة جعلت العملات الصعبة التى تتحقق من وراء الأنشطة السياحية تتدفق على خزانة الدولة ولا تتسرب إلى السوق السوداء كما يحدث فى مصر، ويقدر الخبراء الدخل السياحى التايلاندى بحوالى ١,٥ مليار دولار.. بينما لا يتجاوز هذا الدخل ٣٠٠ مليون دولار فى مصر وهو كل ما تستطيع القنوات الشرعية جمعه من مليون ونصف مليون سائح، ويتزايد الدخل السياحى التايلاندى بمتوسط ١٤,١ ٪ سنويا منذ عام ١٩٨١ .

وفى السنتين الأخيرتين واجهت صناعة السياحة فى تايلاند بعض الظواهر السلبية بسبب الهبوط الكبير فى عائدات دول الخليج من البترول بعد انخفاض أسعاره، ولما كان سياح الدول الخليجية يمثلون نسبة كبيرة من الانفاق السياحى فى تايلاند .. فقد أدى تأثير انخفاض العائدات البترولية إلى انكماش انفاقاتهم بل وهبوط أعدادهم بنسبة كبيرة.

وحتى تعوض أجهزة السياحة فى تايلاند هذا الفاقد فقد وجهت جهودها إلى الدولة الآسيوية الغنية (اليابان) ولتحقيق هذا الهدف تم التخطيط لمضاعفة عدد السياح اليابانيين الذين يزورون تايلاند من خلال برنامج يستمر أربع سنوات، وتساهم الشركة الوطنية للنقل الجوى «تاى» فى هذا البرنامج بالاتفاقات الثنائية مع الشركات العالمية للطيران ومن خلال العملات الدعائية وزيادة رحلاتها إلى مناطق تصدير السياح.

وقد استطاعت الطائرات التايلاندية من خلال الارتفاع الكبير فى مستوى الخدمة أن تصبح أحد عناصر الجذب لتنمية سياحة الترانزيت عبر العاصمة بانجوك.

ولاستكمال الحديث عن التجربة السياحية فى تايلاند فإننى أنتقل للحديث عن عوامل الجذب وفقاً لترتيبها وأهميتها:

أولا: السياحة الترويحية والترفيهية

وتعتمد أساسا على حياة الليل التى تشتهر بها عدد من العواصم الآسيوية مثل هونج كونج ومانيلا. وتتفوق تايلاند فى هذا النوع من السياحة الذى يقوم أساسا على الجنس ومراكز المساج المنتشرة فى كل مكان، وإلى جانب هذا النوع من السياحة الترويحية والترفيهية والذى لا يتفق وتقاليدنا وقيمنا.. بدأت تايلاند تتوسع فى استثمار شواطئها التى تمتد بطول ٢٥٠٠ كيلو متر على المحيط الهندى وخليج تايلاند. واستطاعت فى إطار تخطيط عام أن تحول كثيرا من الجزر إلى مناطق جذب للسياحة الخارجية والداخلية على السواء. ويعتبر مصيف «باتايا» الذى يبعد ساعتين ونصف الساعة عن بانجكوك واحد من أهم المصايف التايلاندية حيث يبلغ عدد السياح الذين زاروه فى العام الماضى حوالى نصف مليون سائح أجنبى.

ثانيا: السياحة الشرائية:

وسط الغلاء الذى يجتاح العالم مازالت تايلاند تشتهر بأنها «دولة الشراء الرخيص»، ويتدفق مئات الآلاف من السياح من جميع أنحاء العالم إلى تايلاند وأحد أهدافهم الرئيسية شراء احتياجاتهم خاصة من الملابس. واستطاعت الصناعة التايلاندية من خلال انخفاض أسعار منتجاتها والتقليد المتقن لكثير من الملابس الجاهزة والمصنوعات الجلدية ذات الماركات العالمية أن تحقق رواجا اقتصاديا يشمل قطاعات كبيرة من أبناء الشعب الذين يعملون فى المصانع وفى تجارة هذه المنتجات. وتدخل الصناعات اليدوية الشرقية سواء التى تستخدم فيها الأخشاب أو المعادن ضمن مشتريات السائح الذى يزور تايلاند. وفى كل مكان يمر فيه السائح لابد أن يجد سوقا تغريه على الشراء.

ثالثا: السياحة الثقافية

وتشمل التاريخ التايلاندى الذى يمتد لآلاف السنين وارتباطه بعبق الشرق القديم.. ويغلب على هذه السياحة الجانب الدينى الذى تمثله معابد المعبود بوذا المنتشرة فى كل مكان.والديانة البوذية يعتنقها ٨٥٪ من شعب تايلاند.. بينما يعتنق حوالى ١٠٪ منهم الديانة الإسلامية وهناك ديانات أخرى يعتنقها ٥٪ من التايلانديين.

رابعا: سياحة المؤتمرات

هذا النوع من السياحة يدخل ضمن التطورات الذى شهدته التنمية السياحية فى السنوات الأخيرة، وقد تعاظم شأن هذه النوعية من السياحة نظرا لارتفاع معدلات أنفاقها، وقد نجحت تايلاند فى تشجيع هذه السياحة بإقامة القاعات المجهزة للاجتماعات وتزويد الفنادق بكل التسهيلات اللازمة لعقد المؤتمرات. ولا شك أن توافر الجوانب الترفيهية والترويحية التى تشتهر بها تايلاند تدخل أيضا ضمن عوامل جذب هذه المؤتمرات.

وإلى جانب هذه العناصر الأربعة للجذب السياحى فى تايلاند، وأمام توقعات ازدياد معدلات السياحة الخارجية إليها خلال السنوات القادمة... تقوم الحكومة التايلاندية بتطوير خدمات البنية الأساسية فى جميع مناطق الجذب السياحى ، تشمل عملية التطوير إقامة الكبارى والطرق والتوسع فى عمليات التدريب الخاصة بالخدمات السياحية المختلفة.

وإذا كانت الأجهزة المسئولة تركز نشاطها على تنمية كل جوانب الجذب السياحى إلى تايلاند فإن هناك عنصرا أساسيا للنهضة السياحية هو الوعى السياحى الغريزى الذى يتميز به أبناء الشعب التايلاندى، فى كل مكان تستقبلك ابتسامة حلوة أو انحناءة ترحيب تسعدك، إن هذا السلوك الممتع تجاه السياح.. هو فى الحقيقة دعاية مجانية لجذب مزيد ومزيد من السياح .

يابان جديدة فى الشرق الأقصى

فــرق *شاسع بين القراءة والمعايشة بهدف تحصيل المعلومات وتكوين صورة واقعية عن أى بلد فى العالم ومهما كانت المعلومات المكتوبة دسمة ورائعة.. فإنها لاتعادل ابدا رؤية العين والتواجد اللاتى فى هذه البلد.*

وبالتجربة فإنه لامبالغة باى حال فيما كان يقال لنا بأن رحلة إلى أى بلد تساوى قراءة الف كتاب. أن الكتاب عندما ينقل إليك صورة أو معلومة فإنه يقدمها من خلال عين المؤلف وشخصيته وأسلوبه. وهذا المؤلف مهما كان صادقا ومتمتعا بكل مقومات التعبير فإنه لن ينقل إليك كل الحقيقة التى يمكن أن تراها بعينك نابضة بالحياة معايشا لها بالواقع.

لقد قرأت تحقيقات ومقالات عن تجربة التنمية والتقدم فى كوريا الجنوبية كتبها العديد من الزملاء والكتاب ورغم أن ما قرأته قد أثار أعجابى وانبهارى بهذه التجربة.. إلا أننى وبعد أن أمضيت عشرة أيام فى هذا البلد مشاركا فى اجتماعات المؤتمرالسياحى الدولى «الأستا».. أحسست بمدى عظمة وضخامة مايمكن ان يقدمه الجهد البشرى فكرا وخلقا وعملا فى دولة نامية لاتتوافر لها مقومات الثروة التى تستمتع بها بلدنا مصر!! وإذا كنا نشير فى أحاديثنا دائما إلى اليابان كنموذج للتقدم الاقتصادى والتكنولوجى والاجتماعى فإن ما شاهدته فى كوريا يجعلنى أقول أنها فى طريقها لان تكون «يابان» أخرى فى قارة آسيا.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٣/١/٢٧.

لقد استغرقت رحلة الطائرة من القاهرة وحتى سول عاصمة كوريا الجنوبية مايقرب من ٢٠ ساعة من الطيران المستمر باستثناء التوقف فى كل من بانجكوك ومانيلا لمدة ساعة ونصف للتزود بالوقود. ومنذ اللحظة التى هبطت فيها الطائرة أرض مطار سول اعتقدت أننى قد أخطأت طريقى. اعتقدت أننى فى امريكا أو اليابان أو فى أكثر الدول تقدما فى اوربا. مطار منظم حديث للغاية تكنولوجى التصميم والخدمات.. وشوارع واسعة ناعمة الرصف كالحرير، نظيفة لامعة.. ومبان وعمارات وناطحات سحاب.

وظهرت عقدتى كمصرى عندما ركبت سيارة تاكسى صناعة كورية كاملة يقودها سائق فى غاية الأناقة والأدب ليتنقلنى من المطار إلى الفندق وسط كل مظاهر التقدم هذه.. والتى جعلتنى أسيرا للدهشة والذهول.. وانشغلت بمساءلة نفسى والتاكسى يقطع الطريق الطويل فوق الكبارى العلوية ومن خلال الانفاق.. هل هذه هى البلد التى دمرتها الحرب الأهلية التى كنا نتابعها ونحن مازلنا طلبة بالمدارس الثانوية، لقد استمرت هذه الحرب ثلاث سنوات من عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٥٣ وانتهت بعد أن حولت كل شئ إلى انقاض. سبحان الله. أنها الإرادة ولا شئ غيرها. إنه الانتماء ولا شئ غيره.. وراء كل هذا الذى أراه تقدما حضاريا لم أكن وحدى الذى بهرنى وأذهلنى.. بل كان هذا شعور كل أعضاء وفود «الاستا» الذين يمثلون ٩٢ دولة.

وبعد رحلة استغرقت ساعة كاملة بالتاكسى وصلت إلى فندق «بلازا» وهو واحد من عشرات الفنادق العملاقة الحديثة التى تتناثر فى مدينة سول، وفاجأنى الصديق أحمد زكى العضو المنتدب لشركة الفنادق والسياحة العربية التى تملك فندق شيراتون هليوبوليس بالقاهرة مناصفة مع شركة ايجوث (قطاع عام). قال لى إنه زار مدينة سول منذ ثمانى سنوات ولم يكن بها سوى فندقين فقط من فنادق الدرجة الأولى. وعبر لى عن دهشته لهذا العدد الضخم من الفنادق اللوكس التى تم بناؤها فى هذا الوقت القصير.

وليست نواحى التقدم والنهضة فى كوريا الجنوبية ـ مقصورة على المظاهر العامة فحسب ـ ولكنها تشمل الصناعة والتجارة والزراعة والتشييد وتصدير العمالة المدربة

إلى الأسواق العالمية بل والسياحة أيضا. لقد حققت خطط التنمية فى كوريا والتى بدأتها عام ١٩٦٠ كل هذه الأنشطة واستطاعت ان تنجز فيها قفزات هائلة، ففى مجال الصناعة كانت البداية مثل ما كان عليه الحال عندنا منذ عشرات السنين حيث ارتكزت القاعدة الصناعية على انتاج المنسوجات باعتبارها من الصناعات الخفيفة ثم انتقلوا بسرعة إلى الصناعات الثقيلة والصناعات الكيميائية وفى العام الماضى احتلت كوريا الجنوبية المرتبة الـ ١٣ بين دول العالم المنتجة للصلب بما حققته من انتاج يقدر بـ ١٢ر٨ مليون طن سنويا. وبلغت صادراتها من الصلب عام ٨٢ ماقيمته ٢٣٥٠ مليون دولار. ومع توافر منتجات الصلب حققت كوريا تقدما كبيرا فى بناء السفن واستطاعت أن تصل بصادراتها من كل أنواع السفن إلى ١٤٢٠ مليون دولار. هناك عقود فى ترسانات بناء السفن لحساب العديد من الدول بما قيمته ٢٠٠٠ مليون دولار. وبذلك احتلت المركز الثانى دوليا فى هذه الصناعة.

وشملت الانطلاقة الصناعية الكورية انتاج الالات والمعدات الثقيلة ومنها معدات انتاج القوى. وقد بلغت الصادرات من هذه المعدات والالات حوالى البليون دولار فى العام الماضى.

وإلى جانب ذلك هناك نمو كبير فى انتاج المعدات الاليكترونية حيث وصلت قيمة ما تم انتاجه فى هذا الفرع من الصناعات إلى ٤٠٠٠ مليون دولار. وفى صناعة السيارات بجميع انواعها تم انتاج ١٥٠ألف وحدة مصنعة تصنيعا كاملا صدر منها إلى الخارج حوالى ٤٠ ألف وحدة. وفى مجال الصناعة الكيماوية بلغ الانتاج ملايين الاطنان.

وتعتمد هذه الصناعات الكيماوية على مجموعة كبيرة من مصانع تكرير البترول يدخلها يوميا ٧٩٠ ألف برميل من البترول الخام.

وكما ذكرت فإن صناعة النسيج تعتبر من أقدم الصناعات الكورية لذا فإنها من الصناعات المتقدمة. وقد بلغت الصادرات من المنتجات النسجية فى العام الماضى مايقرب ٦٥٠٠ مليون دولار. وهناك أيضا صناعات أخرى متقدمة مثل الاسمنت

والمنتجات الغذائية والجلود والاخشاب والورق والاسمدة وبالطبع فإن هذه الانطلاقة الصناعية الضخمة لايمكن أن تتحقق بدون قاعدة علمية وتكنولوجية متينة. ولهذا تضمن البرنامج العلمي والتكنولوجي الارتفاع بالاعتمادات الخاصة بالابحاث إلى ٢ ٪ من قيمة عائد الانتاج القومي كله.

ومع كل هذا الانتاج الصناعي المتقدم كان لابد من وجود علاقات تجارية خارجية ناجحة. وتحتل التجارة عنصرا هاما في مشروعات التنمية نظرا لافتقار كوريا إلى مصادر الثروة الطبيعية التي تتيح لها مصادر الدخل اللازم. وفي اطار التخطيط العلمي السليم المدعوم بالانتاج المتقدم ارتفع حجم الصادرات من ٥٥ مليون دولار عام ١٩٦٢ ليصل إلى أكثر من ٢١ مليار دولار عام ١٩٨٢ بأسعار السوق العالمي.

ورغم هذا الانتاج الصناعي الضخم وحجم الصادرات الهائل فإن الميزان التجاري مازال في غير صالح كوريا نتيجة زيادة الواردات خاصة بالنسبة للمواد الأولية للصناعة وعلى رأسها البترول. ولهذا فرضت قيود على السفر وتحويلات العملة الصعبة من أجل الاحتفاظ بأكبر قدر منها لمشروعات التنمية وخفض العجز في الميزان التجاري، وتساهم عملية تصدير العمالة في توفير مئات الملايين من العملة الصعبة. وفي السنوات الاخيرة أصبحت كوريا واحدة من خمس دول في العالم في صناعة التشييد خارج حدودها. وقد بلغ دخلها من هذا النشاط حوالي ١٤ مليار دولار في عام ١٩٨٢ وتشمل مشروعات التشييد التي تقوم بها الشركات الكورية في أكثر من ٣٠ دولة في جميع أنحاء العالم. ودعما لسياسة الانفتاح على العالم الخارجي ومن أجل فتح مجال جديد للدخل القومي اهتمت كوريا بتنمية صناعة السياحة. وتقول الاحصائيات أن عدد السياح الذين زاروا كوريا في العام الماضي بلغ مليونا و ٢٠٠ ألف سائح وهناك خطة للارتفاع بهذا العدد إلى خمسة ملايين سائح في السنوات القليلة القادمة.. وتقوم الدولة من أجل هذا الهدف بتشجيع الاستثمار المحلي والخارجي في بناء الفنادق والمطاعم ومنشآت الخدمات السياحية وفق خطة عملية مدروسة.

أليست التجربة الكورية مبهرة حقا. ان تعداد الشعب الكورى الجنوبى يقارب تعداد الشعب المصرى «حوالى ٤٤ مليون نسمة» ولكن حماس المواطنين الكوريين من أجل انجاح التجربة أدى إلى مضاعفة الانتاج عدة مرات فى كل المجالات. ونتيجة لهذا الجهد الذى يتسم بروح الانتماء الوطنى حقق الدخل القومى الكورى عام ١٩٨٢ حوالى ٦٥ بليون دولاربمعدل نمو ٦ ٪ وترتب على هذا ارتفاع دخل الفرد من ٨٢ دولارا عام ١٩٦١ إلى ١٧٠٠ دولار فى عام ٨٢.

ان دراسة علمية واعية لمقومات نجاح التجربة الكورية الجنوبية يمكن بل من المؤكد أن تساعدنا فى الانطلاق الصحيح بدعوة الانفتاح الانتاجى لنتحول من مرحلة التصريحات والكلام إلى مرحلة العمل الجاد الشاق الذى يتبلور فى مشروعات صناعية متقدمة وانتاج مصرى متطور يلبى احتياجات الاستهلاك الداخلى ويفيض من أجل التصدير الخارجى.

لاشمس .. فى بلاد الشمس المشرقة !!

هناك *دول فى العالم موزعة على كل قارات الدنيا.. شرقا وغربا.. جنوبا وشمالا.. حباها الله بجاذبية خاصة تثير فينا حلم مشاهدة معالمها ومعايشة اهلها.*

ومن المؤكد أن الخلاف الكبير فى العادات والتقاليد وغرائب الحياة فى هذه الدول بالاضافة إلى توافر الثروة الحضارية القديمة والحديثة.. كلها من عناصر الجذب التى تجعلنا جميعا نسعى إلى تحقيق أمنيات زيارتها.

وفى أقصى الطرف الشرقى «لآسيا» قارة الأساطير والحضارات القديمة.. تتربع اليابان على عرش اهتمامات كل شعوب العالم. إنهم يسمونها منذ قديم الزمان «بلاد الشمس المشرقة».

لم أهتم بالبحث وراء هذه التسمية عندما زرت اليابان لأول مرة اعتقدت أن السبب الرئيسى لهذه التسمية يرجع إلى اشراق الشمس الدائم فى سمائها. ولكن فى زيارتى الثانية التى اتيحت لى فى شهر فبراير الماضى بعد ٢٥ عاما من الزيارة الأولى اكتشفت ان هذه التسمية على غير مسمى. لقد وجدت نفسى طوال هذه الزيارة ـ التى استغرقت عشرة أيام ـ فريسة للبرد القارس الذى تراوحت درجاته مابين ٣ و ٥ تحت الصفر وبحثت عن الشمس المشرقة فى سماء اشهر المدن اليابانية.. كيوتو واوزاكا وكوبى وطوكيو.. ولكن لم أعثر لها على أثر طوال العشرة أيام.. كنت كلما نظرت إلى

نشرت هذه اليوميات فى جريدة الأخبار عدد ١٩٨٨/٤/٦.

السماء باحثا عن هذه الشمس المشرقة لا اجد سوى الغيوم والامطار والثلوج التى كانت تهطل بغزارة لتصبغ الشوارع والبيوت والاشجار باللون الابيض الناصع.

وعندما تساءلت فى عجب عن هذا التناقض بين التسمية الشهيرة وبين الحقيقة والواقع الذى المسه وأعايشه.. قال لى محدثى اليابانى أنه ليس هناك أى تناقض على الاطلاق بين تسمية اليابان ببلاد الشمس المشرقة وبين هذا الجو الثائر البارد. وقال أن هذه التسمية اطلقها الرحالة على اليابان تجاوزا ليس بسبب الاشراق المستمر والدائم للشمس.. ولكن لانها أول دولة فى العالم تلتقى بالشمس كل يوم فى رحلتها من الشرق إلى الغرب.

ونظرت إلى خريطة الكرة الأرضية فتبين لى أن اليابان تحتل أقصى بقعة فى شرق الكرة الأرضية.. ومن هنا جاءت تسميتها ببلاد الشمس المشرقة.. على أساس أنها أول من يتلقى اشراقة شمس كل نهار فى دنيانا وأرجو أن يكون هذا صحيحا.

●●●

اليابانى والطبيعة ..

والشخصية اليابانية التى حيرت العالم بتقدمها المذهل فى جميع المجالات الصناعية والاقتصادية.. لها مقوماتها الخاصة جدا. ومن الطبيعى ان تستمد هذه الشخصية الجانب الأكبر من مقوماتها من طبيعة ومناخ وجغرافية الأرض التى ترعرعت عليها ومن الظروف المعيشية التى تحيط بها ومكونات الثروة اذا وجدت. والدولة اليابانية تتشكل من ٣٦٠٠ جزيرة أى أن البحار تحيط بها من كل مكان وأكبر هذه الجزر هى كيوتو وهوكايدو وشيكوكو وهونشو.. وفوق هذه الجزر الاربع تعيش أكبر كثافة سكانية من التعداد السكانى لليابان ١٢٠، مليون نسمة، وتمثل الجبال والاراضى الوعرة ٧٥٪ من مجموع مساحة الجزر اليابانية، من ناحية أخرى فلا تتوافر على الأرض اليابانية أى ثروات طبيعية. كان لكل هذه الظروف بالأضافة إلى تغلغل المعتقدات الدينية انعكاساتها الايجابية على الشخصية اليابانية. وتقول الأساطير التى مازالت تسيطر على معتقدات الغالبية العظمى من الشعب اليابانى أن هناك إلهين

كانا وراء خلق اليابان هما آدم وحواء وأن هذين الالهين هما اللذان خلقا الكون وكل مظاهر الطبيعة ولذا فمن واجب الشعب الياباني تقديسهما. ولان اليابانيين من نسل الهي لادم وحواء فأنهم يؤمنون بأنهم شعب الله المختار.. وهي نظرة عنصرية كانت من بين الاسباب التى ادت الى خوض اليابان للحروب.

والدين الغالب فى اليابان هو «الشنتو» وتربط مبادئه بين سلوك الفرد والجماعة وكذلك خلق الكون ونشوء الامة اليابانية والعائلة الامبراطورية. وإلى جانب ديانة «الشنتو» فهناك ايضا البوذية التى دخلت اليابان فى القرن الثالث الميلادى وانتشرت بين الطبقات الارستقراطية ثم اصبحت بعد ذلك ديانة شعبية فى القرن السابع الميلادى. وقد عدلت فى تعاليم الديانة البوذية التى جاءت من الهند والصين وكوريا حتى تتواءم مع التقاليد والطبيعة اليابانية. وإلى جانب ديانتى «الشنتو» و «البوذية» فهناك ايضا المسيحية التى يعتنقها ٣ ملايين يابانى منهم ٢ مليون كاثوليكي... ومليون بروتستانتى.. بينما لايتجاوز عدد المسلمين اليابانيين ١٠ آلاف مسلم واللغة اليابانية هى خليط من اللغة الصينية واللغة الكورية كما أن جانبا كبيرا من الحضارة اليابانية مستمد من الحضارتين الصينية والكورية.

وكما ذكرت فقد كان لكل هذه الظروف بصماتها على بناء الشخصية اليابانية. وتتميز هذه الشخصية بالاحساس الشديد بالانتماء والتفانى فى خدمة الجماعة والكفاح من أجل الحياة والتقدم إلى جانب الولاء الكامل للقيادة والالتزام بالنظام والإنضباط والمسئولية المحددة كما اشتهر اليابانى بالتقليد الدقيق للانتاج الصناعى ثم الاستقلال والتجويد والابداع والتفوق.

كما يتميز اليابانيون بالصدق والامانة والثقة وأن كانت سلوكياتهم لاتخلو من الخبث والتشكك فى بعض التعاملات. ولعل من أهم ملامح الصدق والثقة المتبادلة بين اليابانيين.. ان كثيرا من العائلات تفتح حسابات مشتركة فى البنوك لكل افراد العائلة الواحدة أى أن الأب والام والابنة والابن يستخدمون هذا الحساب الواحد فى ايداع وسحب الاموال.

والتزاما بالولاء والطاعة للقيادة والجماعة.. فإن من الصعب على اليابانى اقناعه بالخروج عن النظام أو مخالفة القوانين. وقد ذكر لى بعض الدبلوماسيين أنه من النادر

جدا أن يهرب اليابانى من دفع الضرائب كما إنه لايمكن اقناع هذا الفرد اليابانى بشراء سلعة لاستخدامه عن طريق أى اجنبى من المحلات المنتشرة التى تبيع منتجات التصدير بسعر أقل بنسبة ٣٠٪ عن السعر الذى تباع به لليابانى. أن اليابانى يؤمن بأن الضريبة التى يدفعها سوف تعود عليه فى صورة خدمات مختلفة تقوم بها الدولة.

الرعب.. أربعة!

اليابانى بطبعه لايخشى الموت والدليل على هذا ممارستهم «الهاركيدو» وهو الانتحار عند ارتكاب أى عمل يثير العار. تشهد على هذه الحقيقة أيضا العمليات الانتحارية التى كان يقوم بها الطيارون ورجال البحرية اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية.. وكم من قائد يابانى لجأ للانتحار بديلا للاستسلام عندما بدأت الهزائم تلحق بالقوات اليابانية التى تمكنت من الاستيلاء على مساحات كبيرة من الدول الاسيوية المجاورة فى بداية الحرب.

ولكن ورغم شجاعة اليابانى فى مواجهة الموت فإن هناك محاذير أربعة يخشاها ويعمل حسابها هى:

- رب الأسرة ويشمل الوالد فى اطار الأسرة الصغيرة والحاكم فى اطار الأسرة الكبيرة وتمثلها الدولة.
- الزلزال.. وهو العدو الجبار الذى عجز اليابانى طوال تاريخه الطويل عن مواجهة اخطاره ومفاجآته والذى يعتبر جزءا من الطبيعة المحيطة به..
- النار.. وهى مرتبطة فى اعماقه باسطورة قديمة تقول أن أم الكون ماتت وهى فى حالة ولادة للنار وان زوجها زارها فى عالم الظلمات.. وعندما عاد ابتسم.. فظهر اله الشمس والأسرة المالكة والشعب اليابانى «شعب الله المختار» وترتبط النار فى اذهان اليابانيين بالقوة المهولة غير المحدودة.
- العواصف الرعدية.. وهى التى تحمل الموت والدمار.. كما أن اصواتها تشبه ماتحدثه الزلازل، التى ينظر إليها اليابانيون باعتبارها العدو رقم واحد لمسيرة الحياة والتقدم.

ولقد ادت الحروب التى خاضتها اليابان وبالاخص الحرب العالمية الثانية وهزيمتها التى ترتب عليها استسلامها للاحتلال الامريكي.. إلى تأثيرات سلبية على الشخصية اليابانية. شملت هذه التأثيرات التقاليد والعادات اليابانية القديمة التى كانت من أهم مقومات هذه الشخصية. واستطاعت العادات والتقاليد الغربية أن تتسلل إلى كثير من اوجه الحياة اليابانية. ويثير هذا الوضع قلق اليابانيين الذين مازالوا يلتزمون بالمبادئ التى حددت الاطار العام للشخصية اليابانية القديمة لمئات السنين ونتيجة لزحف العادات الغربية خاصة على المدن اليابانية فقد لاحظت خلال زيارتى اختفاء الزى الوطنى اليابانى «الكيمونو» وأصبحت معظم اليابانيات ترتدين الملابس الامريكية والاوربية. كما شاهدت الشباب اليابانى يرتدى الجينز الامريكى ويمارس السهر والتسكع فى الشوارع بالاضافة إلى التغيير الجذرى فى سلوكياته التى لاتتفق والتقاليد والعادات اليابانية.

ومع زحف الحضارة الغربية جاءت ايضا امراض لم تعرفها اليابان قديما.. ومنها امراض القلب وامراض السرطان. التى انتشرت وارتفعت نسبتها بين اليابانيين. ورغم كل هذه المشاكل الاجتماعية بالاضافة إلى المواجهات السياسية والاقتصادية فإن عجلة التقدم اليابانى مازالت تنطلق بأقصى سرعة لتحتل الدولة اليابانية عرش الصدارة فى العالم..

الزواج على الطريقة اليابانية !!

فـــى *مصر غرائب ومشاكل ذات نوعية فريدة تسمح لنا أن نطلق عليها بكل فخر واعتزاز. صنع فى مصر!!*

بعض هذه المشاكل والغرائب تحولت بفعل الزمن ونتيجة للسلبية والاهمال فى معالجتها وعدم مواجهتها بالحسم اللازم فى بداية ظهورها، إلى واقع وأوضاع وسلوكيات أضافت إلى حياتنا مزيدا من المعاناة وعجزا فى ايجاد الحلول المناسبة. والغريب فى أمر هذه المواجهة المستمرة مع المشاكل التى أصبحت تمثل جزءا هاما من حياتنا اليومية.. أنه كلما تمكنا من النجاح فى القضاء على واحدة منها.. ظهرت لنا مشكلة أخرى جديدة أكثر غرابة وتعقيدا وخطرا على بنياننا الاجتماعى والاقتصادى.. الصورة فى النهاية تبدو وكأننا نعيش فى دوامة بل فى دائرة مغلقة من هذه المشاكل التى لابد من اختراقها بشجاعة وقوة للخروج إلى بر الأمان.

بعض هذه المشاكل والظواهر تتمثل فى هذه الانماط الغريبة من الاستهلاك التى تكلف ميزانية الدولة ـ أى ميزانية الشعب ـ أعباء مالية استراتيجية نحن فى غنى عنها تماما إذا مارسنا الانضباط الاختيارى الملتزم لبعض عاداتنا.. وتجاوبنا مع متطلبات الصالح القومى. وتدخل فى اطار هذه المشاكل أيضا تلك المعدلات العالية فى الزيادة السكانية وعدم توافقها مع مواردنا وإمكانيات التنمية. وإلى جانب المشاكل التى تختص بها مصر وحدها.. هناك مشاكل أخرى تشاركنا فيها دول أخرى كثيرة.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة الأخبار عدد، ١٥/٥/١٩٨٨.

تتميز هذه المشاكل التى تمسك «بتلابيب» هذه الدول بأنها لاتفرق بين الغنى والفقير. كما أن لها بعدها الاجتماعى الخطير.. إنها مشكلة الاسكان.

●●●

وخلال زيارتى لليابان العملاق الاقتصادى الهائل اعتقدت أن لا وجود لهذه المشاكل التى تسبب المعاناة لنا فى مصر بعد كل هذا الثراء التى تتمتع به ولهذا فقد أدهشنى ماسمعته من الشاب اليابانى ـ الذى تخرج فى الجامعة من عدة سنوات ـ والذى تولى مهمة المرشد لنا طوال هذه الزيارة. أشار ومن خلال استعراضه لأوجه الحياة فى اليابان وردا على استفسارنا إلى أن امتلاك أو ايجار شقة أصبح يمثل مشكلة لأى يابانى خاصة فى المدن.. لقد أثار انتباهى فى استعراض المرشد لمشكلة الاسكان.. ضخامة الايجار المطلوب لأى شقة والذى قال أنه لايتناسب بأى حال مع الدخل الكبير الذى يحصل عليه المواطن اليابانى العادى والذى يبلغ متوسطه ألفى دولار شهريا. وقال الشاب اليابانى أن إيجار أى مسكن داخل مدينة طوكيو مثلا يتكون من حجرة واحدة لايقل عن ألف دولار فى الشهر ويصل سعر متر أرض البناء فى العاصمة اليابانية طوكيو إلى ٣٠ ألف دولار فى بعض المناطق. وأكد اليابانى أن ايجار مسكن مناسب لأسرة جديدة أصبح يمثل مشكلة اقتصادية واجتماعية فى اليابان... أغنى دولة فى العالم..

●●●

.. الزواج فى اليابان

ومشكلة الحصول على مسكن لأسرة ناشئة فى اليابان يجرنا إلى الحديث عن قضية الزواج فى دولة الشمس المشرقة. أن التوفيق فى عملية الزواج بين شاب وشابة فى اليابان يتم بثلاث طرق.. هى اليابانية والأمريكية وعن طريق الخاطبة.

وتقول الاحصائيات أن ٦٠ ٪ من الزواج فى اليابان يتم بالطريقة اليابانية. تعتمد هذه الطريقة على محيط الأسرة من أقارب وأصدقاء ومعارف.. حيث يتم ترشيح العريس أو العروسة للطرف الراغب فى الزواج. وعقب هذا الترشيح تبدأ كل أسرة فى

الاستعلام عن الطرف الآخر.. وفى الغالب يتم الاستعانة بالمخبرين السريين وهو نظام معمول به فى اليابان. وبعد توافر المعلومات عن العروس والعريس وأسرتيهما سواء من ناحية الامكانيات المادية أو السمعة يبدأ على الفور الاتصال المباشر بين الاسرتين. وتقضى التقاليد بأن ترتدى نساء وفتيات الأسرتين «الكيمونو» وهو الزى الوطنى اليابانى خلال حفل التعارف.

ويعد الاتفاق المبدئى على مشروع الزواج يسمح بلقاء العروسين لتوثيق الروابط بينهما لمدة ستة شهور.. وإذا انتهت هذه الفترة بنمو العلاقة بين الشاب والفتاة تحت رعاية الأسرة إلى درجة التحاب أو الاستلطاف يقام على الفور حفل الخطوبة فى منزل أسرة العروس.. أما فى حالة عدم التوافق فإن العروسين يصبحان فى حل من أى ارتباط.

وفى حالة الاتفاق على موعد الخطوبة تدعو أسرة العروس أسرة العريس فى المنزل إلى حفل لشرب «الساكى» وهو مشروب يابانى ثم تبدأ بعد هذا الحفل اجراءات اتمام الزواج. ومن بين هذه الاجراءات قيام العريس بدفع مرتب خمس شهور لأسرة العروس لمساعدتها فى تأثيث منزل الزوجية. وعندما يتم تحديد موعد الزواج فإن مصاريف الحفل يتحمله المدعوون وليس أهل العريس ولا أهل العروس. أن كل من تصله الدعوة لحفل الزواج عليه أن يقدم هدية عبارة عن مبلغ من المال يتم استخدامه فى تمويل حفل الزواج والباقى يحصل عليه العريس والعروس. وإذا حدث وغير العريس رأيه وقرر عدم اتمام الزواج بعد كل هذه الاجراءات فإن الهدايا والمبالغ التى دفعها تضيع عليه.. أما إذا غيرت العروس رأيها فإنها فى هذه الحالة مطالبة برد الهدايا ورد المبالغ التى دفعها العريس مضاعفة. هذا هو الزواج على الطريقة اليابانية.

●●●

أما الزواج على الطريقة الأمريكية بين اليابانيين فإن نسبته تصل إلى حوالى ٣٥٪.. ويقوم هذا الزواج على أساس التعارف بين الفتاة والشاب اليابانى ويتم الاتفاق على تعاونهما معا على اعداد عش الزوجية دون أى شروط أو تدخل من الأسرتين.

يأتى بعد ذلك الزواج على طريقة «الخاطبة» ورغم أنها تتمتع بعدم الثقة بشكل عام. إلا أن هناك ٥ ٪ من الزيجات فى اليابان يمكن أن تتم من خلال وساطتها.

ومن ناحية أخرى فإنه من الممكن أن يقوم الزوج فى اليابان بتغيير اسمه ليحمل اسم أسرة الزوجة. يحدث هذا فى حالة عدم انجاب أسرة الزوجة لأى ابن يحمل اسمها ويدير أعمالها لقد كانت هذه المشكلة شبه محلولة فى اليابان عندما كان يسمح النظام بالتبنى ولكن وبعد الحرب العالمية الثانية لم يعد القانون يسمح بهذا النظام.. وهو ما أدى إلى السماح لزوج الأبنة بالحصول على اسم عائلتها. ومن ناحية أخرى فإن توزيع الارث فى اليابان يتضمن حصول الزوجة على ٥٠٪ والأولاد على ٥٠٪ بالتساوى.

ورغم التقدم الكبير فى اليابان فان لا حقوق متساوية للمرأة مع الرجل ولا فرص متكافئة فى العمل ومعظم اليابانيات يعملن نصف الوقت حتى تتوافر لهن إمكانية رعاية الاطفال وأن ٦٠٪ من الزوجات يعملن للمساعدة فى مواجهة اعباء المعيشة وفى حالة عمل المرأة نصف وقت فإن الحكومة لاتحصل منها على أى ضرائب على الاطلاق.

●●●

القطارات الطائرة ..

ولايمكن أن تقوم بزيارة لليابان دون السفر بقطاراتها السريعة التى تجرى بسرعة ٢٤٠ كيلو مترا فى الساعة. ان هذه القطارات تطير فوق القضبان الحديدية ولا تجرى عليها.. ويقولون أنها تطير على مخدات مغناطيسية حتى لاتخرج عن مسارات القضبان التى تبدأ عليها رحلتها. استخدمنا هذا القطار فى رحلتنا من مدينة كيوتو العاصمة القديمة لليابان والعاصمة الحالية للثقافة والتقاليد. قطع القطار هذه الرحلة التى تمتد لـ ٦٠٠ كيلو متر فى أقل من ثلاث ساعات تخللتها خدمات لاتقل فى مستواها عن الخدمات التى تقدم فى الرحلات الجوية. وتذكرت بعد وصولى طوكيو رحلة أسرع قطار على خط الصعيد فى مصر. أنه يقطع المسافة بين القاهرة وأسوان

(٩٠٠ كيلو متر) فى حوالى ١٢ ساعة فى أحسن أحواله.. وهذا هو الفرق بين سرعة التنمية فى اليابان التى تقوم على جهد الشعب الانتاجى وقصور التنمية فى مصر نتيجة الكسل والتواكل وعدم المبالاة وهبوط معدلات انتاج العامل فى كثير من مواقع الانتاج إلى أدنى مستوى.

ان ماجرى ويجرى فى اليابان يؤكد أن عائد الانتاج المكثف هو التقدم والرخاء.

هيروشيما نكبة التقدم البشرى !

واستريحوا *في سلام.. فلن نسمح بتكرار هذه الغلطة مرة ثانية أبداً»..*

هزتنى هذه العبارة بعنف وأنا أقرأها مكتوبة على قاعدة النصب التذكارى الذى أقيم فى مدينة هيروشيما اليابانية تخليداً لذكرى ربع مليون مواطن يابانى قضت عليهم وشوهتهم أول قنبلة ذرية فى العالم.

لقد كانت هذه المدينة التى نكتب بالتقدم الضخم الذى احرزه العقل البشرى فى اختراع الطائرة فى مطار طوكيو.

وعندما حلقت بى الطائرة التى نقلتنى من العاصمة اليابانية فوق هيروشيما صدقت ماقاله لى بعض الاصدقاء اليابانيين.. إنه لا أثر لهيروشيما القديمة الان. قالوا لى لقد تغير كل شئ فى المدينة وزحف التقدم الهائل ومشروعات التعمير على كل آثار الكارثة.

ولكنى شاهدت صورة المأساة فى عيون الناس.. فى نظراتهم التى استقبلتنى فى المطار بعد ساعتين ونصف ساعة من الطيران. أحسست بالأحزان والآلام تعكسها النظرات وتحملها الوجوه التى لاتبتسم.

هياكل بشرية

صحيح أن المدينة تغيرت بعد ٢٠ عاما من الكارثة. تحولت الانقاض إلى شوارع واسعة حديثة تحيط بها العمارات الحديثة والمصانع. كل شئ فى المدينة تغير من

نشر هذا التحقيق المصور بمجلة .. آخر ساعة.

الناحية المادية.. ولكن شبح الكارثة مازال ماثلا فى أذهان كل الناس ليحتل الجانب الادبى والمعنوى من حياتهم. وإذا كان المظهر العام لهيروشيما الحديثة فى هذه الايام يخدع كل زائر لأول وهلة فإنه بعد مضى ساعات قليلة من الزيارة يجد نفسه فى مواجهة الكارثة التى وقعت فى ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ خاصة عندما يقترب من المستشفى الخاص بضحايا الاشعاع الذرى. إن هذا المستشفى مازال يضم حتى الآن عدة مئات من ضحايا اشعاع أول قنبلة ذرية فى العالم.. فبعضهم تغيرت معالم وجهه.. والبعض الآخرسرى الاشعاع فى دمائهم فتحولوا إلى هياكل بشرية تنتظر اللحظات التى يواريها فيها التراب.

مع مدير المستشفى

وعندما التقيت بمدير هذا المستشفى الدكتور فيوميو شبيجيتو نظر إلى فى أسى وهو يقول.. ان هناك آلافا من مرضى الاشعاع الذرى يجرى علاجهم خارج جدران المستشفى. وقال أن هؤلاء المرضى ينتظرون نهايتهم منذ وقوع الكارثة.. منذ ٢٠ سنة. وقال أن خطورة هذا الاشعاع ترجع إلى أن مفعوله فى كثير من الاحيان لايظهر عقب الانفجار وإنما يظهر بعد شهور من انتشار الاشعاع مما يؤدى إلى استحالة العلاج.

وأخذنى دكتور فيوميو مدير المستشفى لاتجول بين حجرات المرضى. ومن أفواه هؤلاء المرضى سمعت قصة الكارثة كما شاهدوها. قالوا أن الانفجار كان له دوى هائل يصم الأذان.. ثم تبع هذا الدوى سكون شامل استمر للحظات قصيرة. وبعد ذلك اشتعلت النيران.. اشتعلت فى كل شئ.. وتحولت هيروشيما إلى جهنم.. إلى انقاض تنبعث منها أنات الضحايا ورائحة الموت.. وانتهت هيروشيما ومعها حياة ربع مليون مواطن يابانى.. مابين قتيل ومشوه ينتظر الموت.

ضجة الحياة الجديدة

وفى خلال جولتى بالمستشفى.. ثم بشوارع المدينة المنكوبة كنت أفكر فيما يمكن أن يحس به ساسة العالم الذين يتسابقون فى إنتاج أسلحة الدمار الشامل إذا ماجاءوا

وشاهدوا بقايا الكارثة من هياكل بشرية متحركة عصف بها الاشعاع الذرى. ربما تحركت فيهم نوازع الخير.. خير البشرية فيتخلصون من نزعات الشر التى تدفعهم إلى استغلال العلم من أجل افناء البشرية ويوقفون هذا السباق من أجل الموت. وفى وسط تتابع الاحداث أمام عينى.. أحداث ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ كما سمعتها من أفواه الضحايا كنت احس بضجة الحياة الجديدة فى هيروشيما..

السيارات فى الشوارع.. الاقدام تسرع.. الأيدى تعمل فى المصانع.. كل شئ ظاهريا لايعطى فكرة عن المأساة التى شهدتها هيروشيما قالوا لى أن التقدم الصناعى نتج عنه كل مظاهر التقدم الجديد فى مدينة الانفجار رقم واحد لأول قنبلة ذرية فى العالم.

ان هيروشيما تنتج حاليا ١٥ الف سيارة شعبية سنويا.. وفى نفس الوقت تقوم بتصنيع السمك والجمبرى وتصدر منه سنويا ٢٠ ألف طن. وإلى جانب صناعة السيارات وحفظ الأسماك فإن صناعة السياحة تحتل أيضا مركزا هاما فى نشاط المدينة. ان عدد السياح الذين يزورونها سنويا يصل إلى أكثر من ١٠٠ ألف سائح أجنبى وحوالى ٢ مليون يابانى يحققون دخلا يصل إلى ٥ ملايين جنيه استرلينى رغم أن تعداد المدينة لايتعدى نصف مليون نسمة.

ورغم كل هذا التغيير الذى شهدته هيروشيما.. ورغم كل مظاهر المدنية الحديثة والتقدم الهائل.. فإن الناس هناك مازالوا يمرون من أمام النصب التذكارى ليقرأوا بصوت عال العبارة التى كتبت عليها «استريحوا فى سلام.. فلن نسمح بتكرار هذه الغلطة مرة ثانية» كم تمنيت ويتمنى العالم معى الا تتكرر هذه الغلطة مرة أخرى.

فى مدينة الأشباح

في *مثل هذا الأسبوع منذ ١٧ سنة «وفى يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥» بالضبط ألقيت أول قنبلة ذرية فى العالم لتنفجر فى قلب مدينة هيروشيما فى اليابان.. وأودت هذه القنبلة بحياة ربع مليون من البشر، ثم تركت بقية سكان المدينة وقد شوهتهم الاشعاعات الذرية..*

وطارت آخر ساعة، إلى هيروشيما المدينة التى يطلقون عليها فى اليابان اسم مدينة «الأشباح».. إنها قد أصبحت الآن بعد ١٧ سنة مدينة أخرى مبنية على أحدث طراز، وقد امتلأت شوارعها بعشرات الألوف من الذين شوهتهم الإشعاعات الذرية، ولايزالون يعيشون فى المدينة، وهم ينتظرون الموت فى كل لحظة.. شئ واحد.. تتمناه هذه الأشباح البشرية من سكان المدينة.. أنهم يقولون.. يكفى أن يزور كنيدى وخروشوف هيروشيما.. وبعدها لن يتردد أى واحد منهما فى الموافقة على وقف التجارب الذرية!

أحسست بالانقباض وأنا فى الطائرة فى طريقى إلى هيروشيما، أول مدينة فى العالم تذوق أهوال الحرب الذرية. كنت أشعر بالرغبة كلما تذكرت ما قرأته عن الاحداث الرهيبة التى وقعت فيها فى سنة ١٩٤٥. قالوا لى فى طوكيو عندما سألتهم عن هيروشيما.. إنها أصبحت مدينة أخرى لا أثر للقنبلة الذرية فيها..

ولكن عرفت عندما غادرت الطائرة فى المطار أن كل ماسمعته فى طوكيو غير صحيح. لمحت صورة المأساة التى عاشت فيها هذه المدينة البائسة فى نظرات كل

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار»

من قابلني في المطار. كانت هذه النظرات الحزينة تحكي صورة الرعب والاهوال التي تعرضت لها مدينتهم سنة ١٩٤٥، عندما ألقت عليها أحدى الطائرات الامريكية أول قنبلة ذرية في العالم.

وأحسست قبل أن أغادر المطار أن رأسي يزدحم بعشرات الاسئلة التي تبحث عن أجوبة كنت أريد أن أعرف ماحدث تماما وكيف استقبل الناس هذا الحدث؟ وما هو شعورهم بالنسبة للتجارب الذرية التي تجرى الآن؟..

وبينما كانت السيارة تشق طريقها بنا في شوارع هيروشيما تذكرت ماقالوه لي في طوكيو. إنني اعتقد انهم كانوا يقصدون بكلامهم أن هيروشيما تغيرت كمدينة بسبب مشروعات العمران. ولم يكونوا يقصدون أبدا أن نفسية الناس قد تغيرت بالنسبة لما حدث. أن الآثار التي خلفتها القنبلة الذرية في نفوس أبناء هيروشيما يحتاج محوها إلى عشرات السنين.

الوف من المرضى

وفي مكتب سياحة اليابان وقف المرشد المعين لمرافقتنا يذكر لنا الاماكن التي سنزورها. وعندما ذكر أن مستشفى ضحايا القنبلة الذرية ضمن البرنامج، طلبت منه على الفور أن نبدأ بزيارته. وفي بهو المستشفى استقبلنا أحد الموظفين تحدث إليه المرشد وأوضح له مهمتنا كصحفيين من القاهرة. اتصل هذا الموظف على الفور بمدير المستشفى فأعلن عن ترحيبه بهذه الزيارة..

وخلال هذه المحادثة التليفونية التي استغرقت ثواني معدودة أخذ المرشد يشير إلى مجموعات كبيرة من الناس متناثرة عند مدخل المستشفى. قال: أن هؤلاء فئة من المرضى الذين يترددون على المستشفى يوميا لفحصهم وعلاجهم من الاشعاعات الذرية. إن هناك آلافا غير هؤلاء يعيشون في بيوتهم ويحضرون إلى المستشفى من وقت لآخر للفحص لمعرفة نسبة الاشعاع الذرى في أجسادهم.

١٧ سنة في المستشفى

وأخذنا الموظف إلى حجرة دكتور فيوميوشيجيتو مدير المستشفى أحسست بمدى وحشية الحروب. بل وحشية الانسان، وأنا استمع إليه وهو يتحدث عن الضحايا الذين

مازالوا يعالجون فى المستشفى منذ القاء القنبلة الذرية حتى الآن، قال : أن هناك أكثر من ٢٠٥ مرضى امضوا فى المستشفى ١٧ سنة ولا أمل فى حياتهم !

والحالة النفسية التى يعيش فيها هؤلاء المرضى مفزعة ومحزنة. أن إدارة المستشفى تبذل جهودا جبارة لرفع روحهم المعنوية ولكن بدون جدوى. سكت مدير المستشفى ثم أخذ ينظر إلى أرض الحجرة وقد ظهر عليه التأثر الشديد عندما سألته عن امكانيات علاج هؤلاء المرضى بالنسبة للتقدم الضخم الذى أحرزه الطب. قال: إن كل ما استطاع أن يحققه الطب هو علاج الحالات البسيطة وتخفيف الآلام عن بعض الحالات الخطيرة بالنسبة لضحايا القنبلة الذرية. وقال: إن من أهم الأسباب التى تجعل الطب عاجزا أمام بعض الحالات أن اصابات الاشعاع الذرى لاتظهر فورا .. ولكنها تظهر فى كثير من الأحيان بعد عدة شهور.

امسك أعصابك !!

وعاد المدير ينظر إلى الأرض من جديد وهو يقول: أن المستشفى سيصبح خاليا تماما من المرضى خلال ٥ سنوات.

وعندما سألته: هل هذا يعنى نجاح علاج المرضى قبل هذا الموعد ظهرت علامات الأسف على وجهه .. وقال : أنه سيتم علاج عدد قليل منهم .. أما الباقى فسيلحقون بربع المليون الذين ذهبوا ضحية الانفجار الذرى منذ ١٧ سنة وقال: إن المستشفى سيتحول بعد ٥ سنوات إلى مركز للابحاث الخاصة بعلاج ضحايا الانفجارات الذرية.

وقبل أن أترك حجرة دكتور شيجتيو مدير المستشفى طلب من سكرتيره أن يصحبنا فى جولة داخل عنابر المرضى وابتسم ابتسامة باهتة وهو يقول لى. أمسك اعصابك فسترى صورة للانسانية المعذبة. ثم وجه الحديث إلى سكرتيره قائلا: لا تدعهم يزورون القسم الثانى. وفى الطريق إلى الدور الثانى حيث حجرات المرضى سألت السكرتير عن القسم الثانى. قال: إنه القسم الذى وضع فيه مرضى ساءت حالتهم.

قطعة من جهنم

كان المرضى فى الوقت الذى زرنا فيه المستشفى يتناولون طعام الغداء. قابلت عددا منهم فى الممرات فلم أصدق أنهم آدميون. اعتقدت لأول مرة أنهم أشباح. كانوا

عبارة عن هياكل مشوهة متحركة. آثار الأصابات والحروق لاتزال ظاهرة على أجسامهم وعلى وجوههم. وجدت نفسى أمام هذه المناظر، وكأننى أعيش فى حلم رهيب، وبعد انتهائهم من تناول طعام الغذاء أخذنا سكرتير المستشفى إلى أحدى الحجرات لنتحدث إلى المرضى. كنت أريد أن أعرف منهم ماحدث .. وأن يحكوا لى قصة المأساة كلما شاهدوها بأعينهم. كان أول لقاء لنا مع ميامونو (٣٨ سنة). قال: أنه كان جنديا فى القوات اليابانية المعسكرة فى هيروشيما. وقف يوم الحادث أمام أحد الأماكن التى عين لحراستها سمع الانفجار الهائل. انبطح على الأرض ثم أخذ يزحف حتى اختبأ فى أحد المخابئ معتقدا أن هناك هجوماً جوياً سيستمر فترة من الوقت. أحس بدرجة الحرارة ترتفع فجأة حتى شعر باختناق وعندما خرج من مخبئه بعد ١٥ دقيقة فوجئ بأن هيروشيما تحولت إلى قطعة من جهنم. النيران مشتعلة فى كل مكان وسحابة ضخمة ترتفع من الأرض إلى السماء.

يوم القيامة

قال ميامونو: إنه اعتقد على الفور أن يوم القيامة قد وقع فى هيروشيما .. ولم يكن الناس يعلمون ما حدث بالضبط اصيب مئات بالجنون والصرع عندما توقفت النيران وساروا بين حطام المدينة ليشهدوا آلاف الجثث. وقال: إنه كان على بعد كيلو متر من مركز الأنفجار، وأنه نقل بعد ساعات من الحادث إلى أحد المعسكرات. وقال: أن سوء الحظ دفع الامطار إلى السقوط فى نفس اليوم .. وبدلا من أن تتحرك الاشعاعات الذرية سقطت مع الأمطار لتقضى على البقية الباقية من الحياة فى المدينة. وقال الجندى اليابانى السابق: السنين مرت بعد ذلك واستطاع أن يجد عملا فى إدارة البريد. ومنذ ٧ سنوات احس بضعف فى جسمه. ذهب إلى عدد من الأطباء. ولكنهم لم يعرفوا مرضه نصحة بعض أصدقائه بالذهاب إلى المستشفى لفحص نفسه بالنسبة للاشعاعات الذرية. وفعلا وجد الطبيب دمه ملوثا بالاشعاعات الذرية، وحالته خطرة، فقرر على الفور حجزه بالمستشفى للعلاج، ومنذ ذلك الوقت هو طريح الفراش فى المستشفى. وانتابت المريض حالة نفسية فأخذ يبكى: لماذا لا يحضر خروشوف وكنيدى لمشاهدة المأساة التى نعيش فيها. وجذبنى السكرتير من يدى وخرج بى من الحجرة قائلا: من الأفضل الابتعاد عنه ليهدأ.

فقدت أسرتها وأقاربها

وفي حجرة أخرى شاهدنا سيدة مريضة مشوهة تماما . إن الحروق التي أصيبت بها عقب الانفجار جعلت لها شكلا غريبا. ولاتزال آثار هذه الحروق ظاهرة في وجهها وأجزاء من جسمها رغم مرور ١٧ سنة. قالت: إن اسمها يوسهيكو سيمرنو (٤٠ سنة). كانت تعمل في أحد المصانع الحربية الموجودة في هيروشيما أثناء الحرب. ثم دمعت عيناها اللتان لاجفون لهما ولا رموش وهي تقول: إنها تذكر هذا اليوم الرهيب الذي وقعت فيه الكارثة. وقالت أنها تذكره وكأنه وقع أمس فقط كانت في المطبخ تعد طعام الأفطار، وفجأة دوى الانفجار، وكان صوته هائلا اهتزت له كل هيروشيما - ساد السكون لمدة دقائق بعد الانفجار، وفجأة، وفجأة بدأت النيران تشتعل في كل شئ، وأخذت المنازل تتساقط كأوراق الشجر وأصوات النخلي والمصابين ترتفع في كل مكان.

وبعد عام فوجئت بضعف عام يشمل كل جسمها، بدأت تظهر على بشرتها آثار غريبة تشبه اثار الحروق. أسرعت إلى المستشفى وكانت هذه الآثار قد غطت كل جسمها. قالوا لها إنها مصابة بالاشعاع الذرى!

وفي حجرة ثالثة خلع شوزو أهتو (٦٤ سنة) كل ملابسه لنشاهد الآثار التي تركها يوم القيامة في جسمه .. كانت الحروق تغطى كل جسده ، بل إن العظام تحركت من مكانها في بعض أجزاء من جسمه نتيجة لاصاباته . قال أنه كان يعمل في أحد المصانع في هيروشيما خرج من المصنع في ذلك اليوم المشئوم صباح ٦ أغسطس ١٩٤٥ في طريقه إلى منزله بعد انتهاء عمله .. شاهد طائرتين تحلقان في السماء على ارتفاع كبير لم يهتم بهما لكثرة الطائرات التي كان يشاهدها يوميا في سماء هيروشيما منذ وقوع الحرب. وفجأة دوى الانفجار الرهيب فارتمى على الأرض وهو ينتفض من الخوف وفي لحظات قليلة تحولت هيروشيما إلى شعلة من النيران. وقال : إنه أسرع إلى منزله الذي يقع على بعد كيلو متر من مركز الانفجار فوجده كومة من التراب بعد أن انهال على أسرته!

وقال: إنه فوجئ بعد ساعة من وقوع الانفجار بجلده يتساقط محترقا. كان يحس بآلام فظيعة. نقل إلى أحد معسكرات الاسعاف على الفور ومنذ ذلك اليوم وهو يعيش

فى المستشفى. وسألت شوزو عن رأيه فى التجارب الذرية التى تجرى حاليا. قال: إنه يطالب بتنظيم رحلة لخروشوف وكنيدى لزيارتهم فى المستشفى. أكد أنهما سيصلان إلى اتفاق لنزع السلاح بعد هذه الزيارة.

حالة من القسم الثانى

وقبل أن أغادر عنبر المرضى قلت لسكرتير المستشفى: أننى أريد أن أشاهد مرضى القسم الثانى. قال: أنه لا يستطيع تحقيق رغبتى ولكن سيعطينى فرصة مشاهدة أحد هؤلاء المرضى دون أن أتحدث إليه. وفعلا قام بفتح باب احدى الحجرات. ووجدت نفسى، دون أن أدرى، أضع يدى على عينى لأخفى عنهما المنظر الفظيع الذى شاهدته، لقد شاهدت صورة مشوهة تماما لانسان حولته القنبلة الذرية إلى مومياء. عيناه كانتا عبارة عن ثقبين وسط وجه محترق، انتقلت عضلاته فلم يعد له شكل محدد. كان هذا المريض راقدا على السرير. قال سكرتير المستشفى أنه أمضى ١٧ سنة من حياته فى هذا الوضع، وأنه لا يستطيع أن يجلس أو أن يقف. كان على بعد ٥٠٠ متر من مركز الانفجار.!

لن تتكرر الغلطة ابدا

وتركنا المستشفى إلى المكان الذى سقطت فيه القنبلة الذرية. أنه يقع فى وسط المدينة القديمة تماما. ولهذا السبب وصل عدد الضحايا إلى ربع مليون. وعلى الرغم من أن نجازاكى ضربت هى الأخرى بقنبلة ذرية، فإنها لم تصب بخسائر جسيمة، بسبب انحراف القنبلة عن هدفها عند القائها. وقد وضعوا فى مكان سقوط قنبلة هيروشيما نصبا تذكاريا لتخليد ذكرى الضحايا، كتبوا عليه، استريحوا فى سلام، فلن نسمح بتكرار هذه الغلطة مرة ثانية أبدا

«كونصلتو» طيران لإعداد رحلة عمل إلى بكين

تعودنا *استخدام كلمة «كونصلتو» فى مواجهة الحالات المرضية الصعبة المستعصية. هذا «الكونصلتو» يعنى الاستعانة بمجموعة من الأطباء الاخصائيين للتشاور فى حالة المريض من أجل الاتفاق فى النهاية على برنامج للعلاج يكون فعالا ومناسبا.*

وقد اضطررت أن ألجأ إلى «كونصلتو» طيران فى بداية الأسبوع لتغطية عندما كلفت بالسفر إلى بكين لتغطية زيارة الرئيس حسنى مبارك .. كان الهدف المحدد .. اعداد خط سير الرحلة .. وبرزت أول مشكلة باصرارى على أن تتم الرحلة فى أقصر وقت ممكن مع ضمان تواجدى فى بكين قبل وصول الرئيس مبارك .. كانت كل المعلومات المتوافرة تشير إلى أن الرحلة تحتاج إلى ١٢٠ ساعة على الأقل بين الطائرات والمطارات فى الذهاب والعودة .. لم نجد شركة طيران واحدة تعمل على خط مباشر بين القاهرة وبكين كل الرحلات كانت تتوقف فى مطار أو مطارين بالشرق الأقصى مع استخدام طائرات أكثر من شركة طيران.

●●●

وبدأت «كونصلتو» التشاور والاتصالات للوصول إلى أنسب خط سير للرحلة بشركة طيران سنغافورة من خلال وكيلها فى مصر الصديق محمد كامل. وبعد عناء وحسابات معقدة ورغبة حقيقية فى التوفيق بين رغباتى وضمان أن تكون نسبة كبيرة

نشرت فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩١/٥/١٧.

من الرحلة على الطائرات السنغافورية توصلوا إلى خطين لسير الرحلة تضمن الخط الأول للسفر عن طريق القاهرة إلى ستغافورة للوصول إلى بكين بعد ٣٦ ساعة والثانى من القاهرة إلى دبى ثم إلى سنغافورة إلى بكين ويستغرق حوالى ٤٠ ساعة. وإعتذرت عن قبول العرض السنغافورى رغم كل الإغراءات والتسهيلات ومعرفتى بصنوف الحفاوة والدلع التى يلقاها الراكب وهو فى الجو .. اضطررت لذلك بعد أن تبين لى أننى لابد أن أغادر القاهرة يوم الأحد أو صباح الاثنين .. وهو موعد مبكر بالنسبة لى كما دفعنى إلى هذا الاعتذار أن العودة حدد لها يوم الخميس بعد مغادرة الرئيس لبكين بأربعة أيام وهى فترة طويلة لاتتفق وظروف العمل بالجريدة

●●●

وقررت اللجوء إلى شركة طيران أخرى من شركات الشرق الأقصى العاملة فى مصر .. ووقع اختيارى على الخطوط الجوية اليابانية .. ووجدت كل الترحيب والمساعدة من مدير مبيعاتها «جابى» الذى وعد بالعمل على حل المشكلة بما يحقق كل طلباتى فى السفر والعودة واستبشرت خيرا عندما أخبرنى أن طائراتهم التى سأبدا عليها رحلتى تغادر القاهرة بعد ظهر يوم الثلاثاء .. وهو موعد وجدته مناسبا جدا..

وعلى مدى ٣٦ ساعة استمرت المشاورات والاتصالات والمحاولات فى الطيران اليابانى دون الوصول إلى تحدى لخط السير .. وظهرت العقبة الأولى فى عدم امكانية الوصول إلى الصين فى اليوم المطلوب وهو يوم الأربعاء وقبل زيارة الرئيس بيومين .. قالوا لى ان تحقيق هذه الرغبة يتطلب أن أظل محلقا فى الجو دون أى راحة فى الطريق من القاهرة إلى بكين فى رحلة تستمر ٣٦ ساعة كاملة مع التوقف فى مطار بانجكوك لمدة ساعة ومطار طوكيو لمدة ثلاث ساعات وعندما اعترضت على هذه الرحلة الانتحارية عرضوا علىّ السفر إلى بانجكوك وبعد عدة ساعات اتوجه بطائرة الخطوط الصينية إلى بكين مباشرة .. ووافقت على هذا الخط ولكن وكما يقول المثل «الحلو ميكملش» فقد ذكروا لى بعد موافقتى أنه لايوجد تعامل مالى بين الطيران اليابانى والطيران الصينى .. وبناء على ذلك فإن التذكرة التى سيقومون باستخراجها

لن تتضمن تغطية الرحلة من نانجكوك إلى بكين وهو ما يعنى أن أقوم بدفع قيمة هذا الجزء من الرحلة نقدا وبالعملة الصعبة .. وبالطبع رفضت بعد أن قيل لى أن هذا الجزء يمكن أن يرفع قيمة التذكرة بنسبة ٣٠٪ .. وبسبب هذه المشكلة قلت للطيران اليابانى شكرا على جهودك وتعبك معى ..

●●●

وبعد أن فقدت الأمل فى اعداد خط سير لرحلتى عن طريق شركات طيران الشرق الأقصى اتصلت بالطيران الألمانى لوفتهانزا املا فى ايجاد حل أوروبى للمشكلة وبالفعل وجدت الحل عندهم .. مع توافر الوقت والراحة والانضباط .. كان مقررا أن أغادر القاهرة إلى فرانكفورت صباح الثلاثاء وأتوجه من هناك مباشرة إلى بكين بدون توقف عبر القطب الشمالى لأصلها يوم الأربعاء .. وجاء اعتذارى هذه المرة لأسباب مادية بعد أن تبين لى أن قيمة تذكرة سوف تزيد فى هذه الحالة عن تذكرة طريق الشرق الاقصى بنسبة الثلث على الأقل ..

●●●

وبينما كنت فى حيرة من أمر ايجاد خط سير الرحلة بكين .. جاءنى الفرج من عند الله .. ومن عند مصر للطيران .. كنت قد طلبت منهم فى بداية مشكلتى المشاركة فى ايجاد حل لها .. كانت المفاجأة أنهم نجحوا فى اعداد خط السير المطلوب للرحلة يتفق مع مواعيد السفر والوصول . واسعدنى جدا أن هذا العمل كان نتيجة جهد شابين من أبناء مصر للطيران بمكتبى عدلى وهيلتون هما بهاء العفيفى ويسرى البشبيشى. ولم يكن نجاح مصر للطيران مقصورا على اعداد خط السير. .. ولكن الأهم هو التوصل إلى سعر معقول جدا لهذه الرحلة الطويلة جدا.

وعلى كل حال فقد حسمت مصر للطيران «كونصلتو» الطيران لاعداد رحلة عمل إلى بكين .. وحصلت على تذكرة سفر بالطائرة .. وبدأت رحلتى على بركة الله..

٤ أيام فى الصين ولم أشاهد الصين !!

***إن** استخراج تذكرة سفر بالطائرة ليس عملية سهلة خاصة إذا كان الأمر يتعلق برحلة طويلة تصل فترة الطيران فيها ـ إلى ١٣ ساعة على أقل تقدير . وتزداد المشكلة تعقيدا فى حالة عدم وجود خطوط مباشرة بين النقطة التى تبدأ منها والنقطة التى تنتهى اليها هذه الرحلة . هذه الحقيقة أكدها «كونصلتو» الطيران الذى استعنت به لاعداد رحلتى إلى بكين لمتابعة زيارة الرئيس حسنى مبارك .. وهو ما كان موضوعا لمقالى الأسبوع الماضى .*

وإعداد تذكرة طيران بخط سير مثل هذه الرحلة لا يمثل مشكلة لأى موظف طيران .. ولكن المهم هو الفترة التى تستغرقها الرحلة والقيمة المادية المطلوب دفعها وتختلف «الحسبة» فى هذه الحالة من شركة طيران إلى أخرى ومن موظف إلى آخر وفقا لدرجة خبرته وكفاءته.

ويصل التفاوت فى قيمة التذكرة فى بعض هذه الحالات إلى ٣٠٪ بالزيادة أو الناقص، وكما ذكرت فى مقال بعنوان «كونصلتو» طيران لاعداد رحلة عمل إلى بكين .. فقد فازت مصر للطيران فى النهاية باعداد التذكرة طبقا للشروط والمواصفات المطلوبة التى كان أهمها أن تتم الرحلة فى أقصر وقت ممكن.

●●●

بدأنا الرحلة من القاهرة على احدى القلاع الطائرة التابعة للأسطول الوطنى للنقل الجوى وهى من طراز «جامبو» بوينج ٧٤٧ التى يمكنها أن تنقل ٤٠٠ راكب فى

نشرت فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩٠/٥/٢٤.

الرحلة الواحدة .. كانت الطائرة فى طريقها إلى طوكيو ولكن كان مقررا أن نغادرها فى مطار بانجكوك لنأخذ طائرة أخرى بعد عدة ساعات إلى بكين . سافر معى على نفس الطائرة بعثة التليفزيون والاذاعة والتى من أعضائها سمير التونى ومحمود شكرى وأحمد الرزاز ودرية شرف الدين وسهير ربيع. ونظرا للطبيعة المناخية الخاصة للمناطق التى تمر بها الطائرة فى رحلتها وبالذات ما بين بومباى فى الهند وبانجكوك .. فإن الطائرة تتعرض لبعض المطبات الهوائية، ولكن ورغم أننى قمت بعدة رحلات فوق هذه المنطقة طوال السنوات الماضية فإننى فوجئت ومعى كل ركاب الطائرة العملاقة وقبل الوصول إلى بانجكوك بحوالى ساعتين بالتعرض إلى مطب هوائى جعل الطائرة تهبط بسرعة البرق مسافة مائتى قدم ثم ترتفع نفس المسافة فى أقل من ثانية. وارتفعت صرخات الركاب «وهمهمة» الركاب وسمعت الأصوات من حولى تقرأ آيات القرآن الكريم، لم يكن على الطائرة مكان واحد خال. وهدأت الأصوات والنفوس عندما إنساب صوت رئيس طاقم الضيافة فى الطائرة سمير مصطفى اسماعيل يطمئن الركاب ويهدئ من روعهم .. مؤكدا أن لا خطر على الطائرة .. وإن ما حدث شئ عادى تتعرض له من وقت لآخر الطائرات التى تعمل على رحلات الشرق الأقصى. وساهم على تقبل الركاب لجرعة التهدئة التى قدمها سمير هدوء الطائرة وتوقف اهتزازها .. وعادت الابتسامة إلى الوجوه .. مع أكواب العصير التى قدمت للمساعدة على نسيان «الخضة».

●●●

وعند منتصف الليل وبعد ٩ ساعات من الطيران المستمر وأربع ساعات فرق توقيت بالزائد وصلنا العاصمة التايلاندية بانجكوك .. حيث كان فى انتظارنا فاروق هلال مدير محطة مصر للطيران، وبعد انهاء الاجراءات والاطمئنان على حجز الطائرة المتجهة إلى بكين أخذت تاكسى إلى الفندق .. لأصل إليه فى الثالثة صباحا من اليوم التالى لمغادرتنا القاهرة. وفى الساعة ١١ صباحا غادرت الفندق إلى مطار بانجكوك مرة أخرى، وأنهيت اجراءات رحلتى على طائرة الخطوط الجوية الصينية وهى طائرة أمريكية حديثة من طراز ٧٥٧، وحلقت الطائرة فى الجو وكان معى عليها

أيضا بعثة الإذاعة والتليفزيون وكما ذكرت فإن الطيران فى مناطق الشرق الأقصى يتم وسط أحوال مناخية غير مستقرة فى طبقات الجو العليا تؤدى إلى اختراق الطائرات لمناطق عواصف رعدية، ونتيجة لذلك فقد أمضينا أكثر من ساعتين ونصف من الوقت الذى استغرقته الرحلة بين بانجكوك إلى بكين وهو خمس ساعات .. والطائرة فى حالة اهتزاز مستمر .. ولكنه بدرجة متقبلة لا تثير الخوف بالنسبة للركاب الذين تعودوا على الرحلات الجوية وهبطت الطائرة فى مطار بكين فى الساعة التاسعة مساء بعد أن ارتفع فرق الوقت مع بانجكوك ساعتين وبالتالى أصبح مع القاهرة ٦ ساعات. ان الساعة التاسعة مساء فى بكين كانت تعنى بالنسبة لتوقيت القاهرة الثالثة بعد الظهر وهذا الفرق فى الوقت لصالح الصحافة المصرية حيث أنه يمكننى أن أعد رسالة صحفية للنشر فى الطبعة الأولى «بالأخبار» تكون كاملة وشاملة مستفيدا من هذا الفرق الكبير فى الوقت.

●●●

وأمضينا فى بكين ٢٤ ساعة فى اتصالات ومقابلات وجمع معلومات عن زيارة الرئيس مبارك التى كان مقررا أن تبدأ بعد وصولنا بـ ٣٦ ساعة، وبالطبع فلم تكن هناك أى فرصة لمشاهدة أى شئ فى الصين ولا حتى معالم العاصمة بكين. وبعدوصول الرئيس مبارك وبدء برنامج لقاءاته ومباحثاته وضحت الرؤية تماما .. وأصبح عملنا محصورا بين قصر الضيافة الذى ينزل فيه وقاعة الشعب الكبرى التى تجرى فيها المباحثات وهو كل ما شاهدته فى الصين.

●●●

لقد وصلت إلى بكين مساء الأربعاء .. بينما وصل الرئيس إليها ظهر الجمعة حيث بدأ على الفور برنامج الزيارة المكثف.

وفى الساعة ١٢ ظهر يوم الأحد انتهت زيارة الرئيس مبارك للصين وتمت مراسم الوداع الرسمى فى مطار بكين وفى صباح هذا اليوم كانت حقيبتى جاهزة .. وتوجهت بالسيارة إلى مبنى مطار كبار الزوار حيث كنت مع الصحفيين الذين تابعوا

تصريحات الرئيس وسفره إلى بيونج يانج عاصمة كوريا الشمالية. ومن مبنى مطار الزوار وبعد اقلاع طائرة الرئيس مبارك توجهت بالسيارة إلى مبنى المطار الدولى. ووفقا لخط سير الرحلة التى تضمنته تذكرة الطيران التى أحملها فقد غادرت مطار بكين بالطائرة الصينية إلى مطار هونج كونج.

وأمضيت فى المستعمرة البريطانية ٧ ساعات.. عدت بعدها المطار مرة أخرى لتقلنى طائرة تابعة لشركة خطوط «كاثى باسيفيك» التابعة للمستعمرة البريطانية إلى بانجكوك لأمضى ٥ ساعات ومن مطار بانجكوك أخذت الطائرة اليابانية عند منتصف الليل إلى القاهرة لأصلها فى الساعة السابعة صباح الثلاثاء.

●●●

وهكذا أمضيت ٤٣ ساعة فى الجو بين مطارات الشرق الأقصى .. حتى يمكننى أن أصل إلى القاهرة فى موعد مبكر . وعندما يسألنى أحد عما شاهدته فى الصين فسوف أقول له .. أننى شاهدت الشارع الذى يربط قصر الضيافة الذى نزل به الرئيس مبارك وقاعة الشعب والسفارة المصرية. وبالطبع فسوف يضحك صاحب السؤال من سذاجتى .. ولكننى أؤكد أننى سوف أخطط لزيارة الصين .. ولكن فى أجازة هذه المرة حتى أستطيع أن أقول أننى شاهدت شيئا فيها.

إلـــى بـــلاد الـــصـــين

الرحلات *الصحفية وغير الصحفية إلى البلاد البعيدة تحتاج دائما إلى ترتيبات خاصة فى السفر.*

يدخل ضمن هذه الترتيبات فى حالة عدم توافر رحلة مباشرة إلى هذه الجهة عملية انضباط المواعيد بين الرحلات الجوية عن طريق أكثر من عاصمة فى بعض الحالات يوضع فى الاعتبار دائماً حفاظاً على الوقت اختيار شركة ناقلة يكون لديها رحلات متعددة للربط بين هذه العواصم حتى الوصول إلى نهاية الرحلة.

واجهت هذا الأمر بعد أن تلقيت موافقة لى بنج رئيس الوزراء الصينى على استقبالى فى بكين لعمل أول حديث شامل لصحيفة عربية هى الأخبار. اكتشفت أن شركة الطيران الصينية قد أوقفت خطها المباشر بين القاهرة وبكين، اتصلت بالسيدة ليلى محمود مديرة مكتب مصر للطيران بسور نادى الزمالك اطلب منها اعداد خط الرحلة، وقع الاختيار على سنغافورة لتكون النقطة الوسيطة باعتبارها أكثر العواصم فى الشرق الأقصى اتصالات جويا بالعاصمة الصينية.

●●●

وبعد أن تم تجهيز كل شئ لاستخراج التذكرة اتصلت بى السفارة الصينية لتقترح علىّ أن أزور منطقة شنغهاى قبل الوصول إلى بكين لمتابعة مشروعات التنمية الاقتصادية بالقرب من هذه المدينة التى تعد أضخم وأهم مركز تجارى صينى على

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩٥/١٢/٢٨.

مدى عشرات السنين رحبت بالفكرة على أساس أن أغادر القاهرة إلى سنغافورة ثم إلى شنغهاى ثم بعد ذلك إلى بكين.

●●●

استغرقت المرحلة الأولى من الرحلة ١٣ ساعة بعد توقف لمدة ساعة فى مطار دبى امضيتها داخل الطائرة. وصلت فى الساعة السابعة صباحا إلى سنغافورة المدينة الدولة التى اعشقها وتحظى باعجابى الشديد منذ أول زيارة لها مع الرئيس حسنى مبارك عام ١٩٧٩ عندما كان نائبا لرئيس الجمهورية. ورغم زياراتى المتعددة لها بعد ذلك على فترات متباعدة إلا أننى أتابع ما يجرى فيها أولا بأول من خلال الصحف العالمية وما اتلقاه من نشرات ترسلها إلىّ السفارة السنغافورية بالقاهرة. آخر ما قرأته من معلومات عن هذه الدولة الصغيرة التى لاتتجاوز مساحتها ٦٢٤ كيلو مترا مربعا ارتفاع صادراتها إلى ١٠٠ مليار دولار وحجم النمو إلى متوسط قدره ٤٫٨٪ سنويا ووصل متوسط دخل الفرد فيها (تعدادها ٣ ملايين نسمة) إلى ٢٣ ألف دولار وهو أعلى من الدخل الذى يحصل عليه أى مواطن فى أعرق الدول الثرية المتقدمة.

●●●

امضيت عدة ساعات فى سنغافورة وهو الوقت الذى يتيح لى اللحاق بالرحلة المتوجهة إلى شنغهاى. كنت مستعدا لهذه الساعات القليلة بعد ان اتيحت لى فرصة النوم بالطائرة وهو أمر لم أكن متعودا عليه لولا أخذى بتجربة عمرو موسى وزير الخارجية والزميل الصديق ابراهيم سعده رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم اللذين اقترحا على تناول قرص مهدئ فى بداية كل رحلة طويلة ليساعدنى على النوم. لم يكتف ابراهيم سعده بمساعدتى فى هذا الأمر ولكنه بعث لى بعلبة من هذا المهدئ الذى يتناوله واثبت مفعوله الأكيد بالنسبة له ولى بعد ذلك.

إن من أهم فوائد النوم استثمار وقت الرحلات الطويلة إلى جانب المساعدة على تعديل فروق الوقت والتى تصل فى بعض الأحيان إلى ١٠ ساعات بالزائد أو الناقص بين القاهرة وعدد من الدول وفقا لموقعها على خطوط الطول بالكرة الأرضية.

وبعد الزيارة القصيرة لسنغافورة توجهت بالطائرة إلى شنغهاى عاصمة الصناعة والاقتصاد والمال فى الصين فى رحلة استغرقت خمس ساعات ونصف الساعة. لاحظت أنا فى السيارة من المطار إلى الفندق ارتفاع معدلات حركة السيارات على الطريق بالاضافة إلى آلاف الدراجات. فوجئت بناطحات سحاب وعملية بناء نشطة فى كل مكان.

اعجبنى جدا الفندق الذى تم الحجز لى به وهو من المبانى القديمة الضخمة فى المدينة واسمه فندق السلام.

وخلال اقامتى بالمدينة علمت أن تعدادها ١٣ مليون نسمة - تعداد الصين ١٢٠٠ مليون نسمة - يرتفعون كل صباح إلى ١٦ مليون نسمة بعد إضافة ٣ ملايين من الزوار القادمين من المناطق المجاورة.

●●●

أهم ما يميز هذه المدينة العملاقة أنه لا حركة النقل ولا حركة المشاه تهدأ فيها ليلا أو نهارا وأهم شارع بها يقع على نهر «يانسى» ويقابلها من الناحية الأخرى للنهر واحدة من أهم مناطق التنمية الجديدة وهى منطقة «جورنج» التى سنتحدث عنها فى اطار تحقيق صحفى عن تجربة الصين الاقتصادية.

كل شئ فى المدينة مزدحم .. الشوارع .. المحلات .. الفنادق .. المطاعم .. حيث يشكل الرواد الأجانب نسبة كبيرة من رواد هذه المناطق.

وتشتهر شنغهاى التى كانت أول المدن - كما سبق وأن ذكرت - التى شهدت انفتاحا وتقدما اقتصاديين منذ سنوات طويلة . بالمبانى الضخمة والمصانع الكبيرة وحركة البنوك إلى جانب بعض الأحياء والقصور والمبانى القديمة ذات الطابع الصينى ، ويوجد بالمدينة أكبر ميناء بحرى يستخدم عبر نهر (يانسى) أطول نهر فى الجنوب الصينى.

هذه انطباعات سريعة لبداية أول رحلة أرى فيها بعض معالم ومظاهر الحياة فى الصين .. ورغم أننى زرت هذه الدولة العملاقة أكثر من مرة لتغطية رحلات الرئيس مبارك والتى لاتتاح لنا فيها أى فرصة لمشاهدة أى شئ.

دودة الحرير سر حربى الصين

أنهيت *زيارتى لشنغهاى مدينة الاقتصاد والحياة الصاخبة والمطاعم والسهر حتى الصباح متوجها إلى العاصمة الصينية بكين . استغرقت الرحلة بالطائرة ساعة وأربعين دقيقة. وفى الطريق من المطار إلى المدينة لاحظت أن هناك أتوستراد رائعا لم يكن موجودا عند زيارتى للصين فى العام الماضى، وعندما سألت عن حكاية هذا الطريق قالوا لى إنه افتتح منذ شهرين وإن بناءه قد استغرق تسعة شهور فقط.*

امضيت يومين فى بكين إلى أن يحين موعد لقائى مع لى بنج رئيس الوزراء استثمرت هذه الفترة فى القيام بجولة بين بعض المعالم الشهيرة التى لم تتح لى فرصة مشاهدتها فى المرات الثلاثة السابقة التى زرت فيها الصين. كان على رأس هذه المعالم سور الصين العظيم الذى يعود تاريخ بنائه إلى آلاف السنين ويمتد حول عدة مناطق بالصين لمسافة ستة آلاف كيلو متر. يبعد سور الصين العظيم عن بكين ساعة ونصف الساعة بالسيارة. لقد فاجأتنى عند وصولى إليه رعشة برد عنيفة - رغم ارتدائى لبالطو من الوزن الثقيل تنفيذا لنصائح أعضاء السفارة الصينية بالقاهرة - لم استطع الصمود أمام هذا البرد القاسى والذى بلغ ١٠ تحت الصفر. اكتفيت بالمشى فوق السور لمدة نصف ساعة عدت بعده إلى السيارة حتى لا أتعرض للتجمد.

أحسست بالراحة النفسية بعد هذه الزيارة السريعة خاصة أننى كنت أشعر بدهشة الأصدقاء عندما يعلمون أننى أمضيت أياما بالصين فى المرات السابقة دون أن أقوم بزيارة سورها العظيم.

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩٦/١/٤.

ان سكان بكين العاصمة لا يتجاوز عددهم ١٢ مليون نسمة وهو مايساوى ١ ٪ من تعداد الصين كلها (١٢٠٠ مليون نسمة) بينما تعداد سكان القاهرة وهو نفس تعداد بكين يساوى ٢٠ ٪ من التعداد الأصلى لمصر.

أما مساحة الصين فتبلغ ٩ ملايين كيلو متر مربع يقيم عليها ١٢٠٠ مليون نسمة بينما تصل مساحة مصر إلى مليون كيلو متر مربع يعيش عليها ٦٠ مليون نسمة، وتشكل الجبال والصحراء نسبة كبيرة من الأراضى الصينية.

إن الصين تعتبر قارة قائمة بذاتها بتنوع المناخ بين أجزائها المختلفة حيث يسود الليل بعضها بينما يسود أجزاء أخرى منها النهار فى نفس الوقت. ورغم درجة البرودة التى تصل إلى ١٠ درجات و ٢٠ درجة تحت الصفر فى بعض المناطق إلا أن طقسها يميل إلى الحرارة والرطوبة فى كثير من هذه المناطق صيفا.

●●●

أن ما يثير الانتباه عند السير فى شوارع بكين الواسعة اختفاء الزى الصينى الذى فرضه زعيم الثورة الصينية ماوتسى تونج على الرجال والسيدات وظهور الملابس الأوروبية. وتزدحم الشوارع حاليا بالسيارات التى تجرى صناعة معظمها بالصين جنبا إلى جنب مع ملايين الدراجات . وبالاضافة إلى الشوارع الواسعة التى تشق بكين طولا وعرضا هناك أيضا الشوارع الجانبية الضيقة التى تئن من الزحام الشديد .. وتنتشر فى العاصمة بسرعة كبيرة حاليا المراكز التجارية الكبيرة على النظام الأمـــريكى (Mall) والتى يقيمها المستثمرون الصينيون المهاجرون إلى جانب المستثمرين الأجانب.

ولمواجهة هذه المراكز قامت الحكومة من جانبها بتطوير الأسواق الشعبية التى كانت تنتشر على أرصفة الشوارع باقامة مبان لتجميعها خاصة بها.

●●●

ورغم التطور الصناعى الهـائل الذى تشـهـده هذه الدولة العـمـلاقـة فى اطار المشروعات التنمية الشاملة إلا أنه مازال هناك اهتمام كبير بصناعة الحرير خاصة فى بعض الأقاليم التى تخصصت فى هذه الصناعة.

ويحظى الحرير الصينى بالاقبال على خلاف الحرير الذى ينتج فى البلاد الأخرى بسبب الجودة الفائقة. وعن هذا الفرق قالوا لى إن للصين توليفة خاصة بها تعتبر سرا حريريا يعتمد على نوعية دودة القز. ولهذا يقولون إن الصين ترفض دائما انتقال هذا السر إلى أى من أراضيها.

ومن أهم القضايا التى تحظى بالاهتمام فى الصين قضية استعادة مستعمرة هونج كونج وهى أرض صينية فى العام القادم أقاموا احتفاء بهذه المناسبة ساعة ضخمة فى ميدان قصر الشعب، تظهر بالعد التنازلى اليومى الأيام الباقية على عودة هذه المستعمرة إلى السيادة الصينية.

●●●

إن الصين حقا عالم آخر غريب ومثير ولكنه يسير على الطريق الصحيح ليصبح عملاقا اقتصاديا مهولا خلال السنوات القادمة. ولابد هنا من الإشارة إلى أن طبيعة المواطن الصينى ومتطلباته وعاداته وانضباطه من أهم مقومات هذه النهضة الهائلة.

ترانزيت فى هونج كونج بعد ٢٨ سنة !!

***فى** عام ١٩٦٢ أى منذ ٢٨ عاما كنت أحد المدعوين فى رحلة افتتاح أول خط جوى لمصر للطيران يربط القاهرة بالعاصمة اليابانية طوكيو.*

جرى افتتاح هذا الخط بعد استلام مصر للطيران لأربع طائرات من طراز كوميت النفاثة التى كانت تمثل حدثا هائلا فى عالم الطيران فى ذلك الوقت.

ونظرا لأن مدى هذه الطائرات فى الطيران كان قصيرا لايتعدى خمس ساعات.. فقد تضمن خط سير الرحلة التوقف فى احدى العواصم العربية .. ومنها إلى بومباى فى الهند ثم إلى بانجكوك عاصمة تايلاند ثم إلى مطار المستعمرة البريطانية هونج كونج ومنها إلى طوكيو.

ورغم مرات التوقف العديدة .. فقد استغرقت الرحلة ٢٨ ساعة فقط من القاهرة إلى طوكيو .. بينما كانت تستغرق بالطائرات المروحية التوربينية حوالى ٤٨ ساعة من قبل.

وبعد التطور الهائل الذى شهدته صناعة الطيران انخفضت ساعات الرحلة إلى طوكيو مع التوقف مرة واحدة فقط إلى حوالى ١٧ ساعة فقط باستخدام الطائرات الجامبو العملاقة من طراز بوينج ٧٤٧. ومع انطلاقة التطور وباستخدام طائرات الكونكورد الأسرع من الصوت. أصبحت الرحلة من القاهرة إلى طوكيو تستغرق ٨ ساعات فقط تقطع الطائرة خلالها ١٥ ألف كيلو متر.

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩١/٥/٣١.

ومـرت هذه السنوات الطويلة على هذه الرحلة إلا أن أحـداثهـا مـازالت عـالقـة بذاكرتي حتى الآن .. ولعل أحد أسباب ذلك إنها كانت من أولى رحلاتى الصحفية بعد أن أصبحت أحد أعضاء أسرة تحرير الأخبار بعد تخرجي فى الجامعة، وقد ثارت هذه الذكريات من جديد عندما توقفت فى هونج كونج ترانزيت لعدة ساعات لأول مرة منذ رحلتى الأولى إلى طوكيو. كان ذلك فى طريق عودتى من بكين إلى القاهرة بعد انتهاء مهمة التغطية الصحفية لرحلة الرئيس مبارك.

وكانت مفاجأة لى أن اكتشف والطائرة محلقة فى الجو أن كل شئ قد تغير فى المستعمرة التى أمضيت فيها اسبوعا كاملا عام ١٩٦٢ . ناطحات السحاب ترتفع فى كل أنحاء المستعمرة التى تحيط بها الجبال .. الشوارع تموج بالحياة والسيارات تبدو غريبة لى وأنا أتابعها من نافذة الطائرة التى أخذت تقترب من ممر الهبوط فى المطار. وقلت لنفسى وأنا أحاول أن أتذكر .. لا يمكن أن تكون هذه هونج كونج التى عرفتها وشاهدتها.

ولعل شئ الوحيد الذى وجدته لم يتغير هو طريقة اقتراب وهبوط الطائرات فى مطار هونج كونج ـ أن المطار يقع بين سلسلة من الجبال تحيط به من كل جانب باستثناء جانب واحد مفتوح على البحر .. ولهذا فإنك تشاهد الطائرة وهى تنساب من فتحة بين الجبال حتى تصبح فوق المستعمرة ومطارها ثم تبدأ فى خفض ارتفاعها إلى أن تصل إلى المستوى الذى يسمح لها بالاتجاه إلى ممر الهبوط الممتد حتى ساحل البحر .

●●●

وبعد هبوط الطائرة توجهت مع الركاب إلى مبنى المطار .. وتبين لى أنه شئ مختلف عن المطار الذى شاهدته من قبل .. بل أنه مطار جديد تماما لايمت بصلة للقديم . ولما كان مقررا لى أن أمضى فى مستعمرة هونج كونج ساعات قليلة ترانزيت حتى موعد الطائرة التى ستحملنى إلى بانجكوك إلى القاهرة .. فقد كان من الطبيعى

أن أبحث عن فندق أقضى فيه بعض هذه الساعات . وبعد انتهاء اجراءات الجوازات والجمارك .. سألت عن مركز حجز الفنادق .. فقالوا لى أنه فى داخل المنطقة الجمركية .. وعندما فشلت فى الوصول إلى هذا المركز تذكرت اسم الفندق الذى نزلت فيه عند زيارتى لهونج كونج أول مرة اسعدنى جدا أن أتذكر هذا الاسم وهو «امبريال هوتيل» لقد كان واحد من أشهر فنادق الخمس نجوم القليلة المشهورة فى المستعمرة فى ذلك الوقت .. بالإضافة إلى موقعه فى منطقة وسط المدينة.

•••

وتوجهت بكل اطمئنان إلى موقف التاكسى .. وطلبت من السائق أن يتوجه إلى امبريال هوتيل. واخترق التاكسى شوارع جديدة وسط عمارات وناطحات السحاب .. وعبر كبارى علوية وانفاق سفلية لم يكن لها وجود من قبل . وحاولت أن أتذكر أى شئ من معالم المدينة التى شاهدتها ولكن لم يكن هناك أثر لهذه المعالم على الاطلاق .. واعتقدت والتاكسى يقطع بى الشوارع اننى فى منطقة «منهاتن» الشهيرة فى نيويورك من واقع الحركة والمحلات التجارية والمبانى التى تحيط بى من كل جانب.

ووقف بى التاكسى بعد حوالى نصف ساعة فى أحد الشوارع التجارية المزدحمة بحركة السيارات والمارة وأشار السائق إلى مبنى عليه لافتة فندق امبريال. وظهر الفندق وسط الضخمة الفخمة من حوله وكأنه قزم. واعتقدت أنه ليس الفندق الذى نزلت فيه منذ ٢٨ سنة .. ولكن عندما نظرت إلى مدخله تعرفت عليه .. وأن الزمان قد جار عليه وجعله يبدو فى صورة مخالفة تماما لما كان عليه عندما نزلت فيه أول مرة .. وقلت لموظف الحجز أننى أريد أن أقيم فى الدور الـ ١٧ .. وهو نفس الدور الذى نزلت فيه من قبل .. وابتسمت الموظفة وهى تلبى طلبى ووجدت الحجرة نظيفة ومعقولة .. ولكننى اكتشفت أن الفندق قد أصبح من فنادق الثلاث نجوم رغم أن أجرة الحجرة تجاوز المائة دولار .. لم يكن أمامى خيار فقد حذرونى فى القاهرة وبكين من أسعار الفنادق التى وصلت إلى عنان السماء وحمدت الله أننى لم أتورط فى فندق آخر .. قد تصل الاقامة فيه لليلة واحدة إلى ٣٠٠ دولار كما قيل لى.

وبعد أن استرحت قليلا قمت بتغيير ملابسى وقررت القيام بجولة فى أنحاء جزيرة هونج كونج وضاحيتها كولون التى تعتبر امتدادا للأراضى الصينية. كان هدفى التعرف على هذه المستعمرة التى أصبحت من أكبر مراكز التجارة والمال فى العالم. ومن الأسباب التى أثارت شهيتى إلى ممارسة مهمتى الصحفية فى جمع المعلومات أن هونج كونج قد أصبحت حديث الاعلام العالمى منذ توقيع اتفاق تسليمها إلى الوطن الأم «الصين» عام ١٩٩٧ أى بعد ٧ سنوات. هذا الاهتمام العالمى بهذه المستعمرة يعود أساسا إلى أهميتها وشهرتها المستمدة من وضعها الاقتصادى. انهم يقدرون حجم الأموال والاستثمارات المتداولة فى هذه المستعمرة بآلاف المليارات من الدولارات. والحديث الذى يدور الآن هو التساؤل حول مصير هذه الاستثمارات والأموال بعد عودة المستعمرة إلى الصين.

أمـوال المسـتـعـمـرة تبـحث عن مـأوى

إلى

أين ستهرب أموال هونج كونج؟

ماهى الدول التى ستنجح فى اجتذاب أصحاب رؤوس الأموال الهائلة المستثمرة فى المستعمرة البريطانية الرأسمالية التى ستعود إلى الصين الشيوعية عام ١٩٩٧؟

هل من الممكن أن يكون لمصر نصيب أى نصيب من هذه الأموال التى تبحث لها عن مأوى؟

كل هذه التساؤلات كانت تتردد على لسانى تبحث عن إجابات منذ اللحظة الأولى التى تحركت بى الطائرة من مطار بكين فى طريقها إلى هونج كونج. ولعل اهتمام الصحافة العالمية بهذه القضية كان أحد الأسباب التى دفعتنى وشجعتنى على الاهتمام بجمع معلومات هذا المقال.

●●●

وفى الطائرة الصينية العملاقة الأمريكية الصنع طراز بوينج ٧٤٧ التى حملتنا إلى هونج كونج كان مستقبل هذه المستعمرة موضوع الدردشة التى دارت بينى وبين زميل الرحلة الراكب الجالس إلى جانبى. إنه رجل أعمال بريطانى يتنقل مرتين أو ثلاث مرات فى السنة بين عواصم الشرق الأقصى بحكم مسئوليته عن نشاط احدى شركات البترول البريطانية فى منطقة الباسفيك. وقال لى زميل الرحلة الذى اكتشفت

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩٥/٦/٧.

اهتمامه باخبار هونج كونج أن حكومة تاتشر وافقت على منح الجنسية البريطانية لـ ٥٠ ألفا من أبناء المستعمرة. وقال أن هذا القرار لم يتخذ حبا فى سواد عيون المستعمرة وسكانها .. ولكن من أجل جذب رؤوس الأموال التى من المتوقع هروبها من الحكم الشيوعى الصينى وأشار رجل الأعمال البريطانى أن اختيار الـ ٥٠ ألفا سيتم على أساس امكانياتهم الاستثمارية ووفقا لمراكزهم المالية مع الأخذ فى الاعتبار مدى ما سيقدمون للاقتصاد البريطانى.

كانت دردشتى خلال رحلة الطائرة التى استغرقت ساعتين من بكين إلى هونج كونج مع زميل السفر رجل الأعمال البريطانى مفيدة ومثيرة. لقد فتحت أمامى طريق الحصول على كثير من المعلومات حول المستعمرة البريطانية التى تحولت خلال الـ ٢٥ سنة الماضية إلى أكبر مركز لتجارة الترانزيت وصناعة المنسوجات والسفن بالاضافة إلى الصناعات الالكترونية المتطورة.

●●●

وخلال الساعات القليلة التى امضيتها فى هونج كونج كزائر ترانزيت فى انتظار الطائرة التى ستعود بى إلى القاهرة .. التقيت بالمستشار التجارى المصرى شوقى حمزة .. كما زرت مركز تنمية الصادرات وأطلعت على بعض انشطته التى تساهم فى زيادة الصادرات إلى كل أنحاء العالم . ورغم حالة الترقب التى تسود السوق إلى جانب استعداد كثير من المستثمرين للرحيل قبل وصول المد الشيوعى .. إلا أننى لاحظت أن النشاط التجارى مستمر وأن الانتاج والتصدير مازالا يحتفظان بأعلى المعدلات.

●●●

أن سكان المستعمرة البريطانية التى لا تتجاوز مساحتها ٣٩١ ميلا مربع يبلغون ستة ملايين ونصف المليون نسمة من بينهم حوالى ٧٥ ألف بريطانى. وتعتمد المستعمرة على مينائها لتنشيط حركة تجارة الترانزيت بين دول الشرق الأقصى وبين دول هذه المنطقة وكل من أوروبا وأمريكا وقد استطاعت هونج كونج أن تتحول خلال العشرين سنة الماضية إلى أحد المراكز الرئيسية لتصنيع وتصدير المنسوجات

إلى معظم الدول الأوروبية وإلى الولايات المتحدة. كما تمكنت أيضا من الدخول فى الصناعات الالكترونية الدقيقة والتى بدأتها بالتجميع ثم انتقلت إلى التصنيع الكامل، ويقدر حجم صادرات هذه المستعمرة التى تخضع للاحتلال البريطانى منذ منتصف القرن التاسع عشر بـ ١٦ مليار دولار أمريكى سنويا. وقد حصلت بريطانيا على هونج كونج من الصين بمقتضى عقد ايجار لمدة ٩٩ عاما ينتهى سريانه عام ١٩٩٧.

ويقول الخبراء فى شئون المستعمرة أن انطلاقتها الاقتصادية بدأت منذ أيام ثورة ماو فى الصين بتصدير الماكينات والأجهزة البريطانية إلى المدينة الصناعية الأولى فى الصين شنغهاى، وبعد توقف عمليات التصدير إلى الصين .. تخصصت هونج كونج فى تصنيع المنسوجات لحساب أوروبا وأمريكا. وكانت مهمتها تنفيذ موديلات المحلات الكبرى فى هذه الدول التى أقبلت عليها نتيجة رخص العمالة.

ونتيجة لضيق المساحة والاقبال على الاستثمار فى هونج كونج زادت أسعار الأراضى إلى أرقام خيالية .. كما ارتفعت تكاليف الحياة. وظهرت فى السنوات الأخيرة دول منافسة للمستعمرة مثل سنغافورة .. كما أن تايلاند بدأت أيضا تحتل مركزا مرموقا فى جذب الاستثمارات بسبب الانخفاض الكبير فى أجور العمالة وتوافر الأراضى اللازمة لاقامة المشروعات. ومن خلال هذه المعلومات تبين لى أن جانبا كبيرا من استثمارات هونج كونج سوف يتوجه إلى تايلاند قبل موعد العودة إلى الصين. كما تشير بعض تقارير الصحف والمجلات الاقتصادية المتخصصة أن رؤوس أموال المستعمرة البريطانية قد بدأت تستجيب لعوامل الجذب للاستقرار فى كندا وأمريكا واستراليا ونيوزيلنده والفلبين .. بل أن الصين نفسها قد أجرت اتصالات واسعة فى المستعمرة لتؤكد للمستثمرين إنها حريصة على بقائهم مع احتفاظهم بكل امتيازاتهم وتسهيلاتهم.

●●●

وهكذا رغم الامكانيات الكبيرة المتوافرة فى مصر فإننا لم نبذل أى جهد للمشاركة فى جذب رؤوس أموال واستثمارات هونج كونج التى تبحث لها عن مأوى. لقد كان من الواجب أن تهتم أجهزة الاستثمار والاقتصاد بالظروف الجديدة فى المستعمرة

البريطانية لاغراء المستثمرين على اقامة بعض مشروعاتهم فى مصر ورغم ذلك فإن الفرصة مازالت أمام رجال الأعمال المصريين لمشاركة استثمارات هونج كونج فى نقل بعض أنشطتهم المتقدمة إلى أرض مصر. ليس مطلوبا منا سوى التفكير بسرعة والتحرك لاغتنام فرصة عملية التصفية الاقتصادية التى قد تشهدها المستعمرة البريطانية.

جـــزيرة هوايتـــهـــا الانتــــاج والشـــراء

إننى *أسعد دائما عندما تتاح لى فرصة زيارة دولة استطاعت أن تحطم دائرة الفقر والتخلف وتنطلق إلى آفاق التقدم الاقتصادى والاجتماعى.*

أول شئ يتبادر إلى ذهنى فى هذه الحالة هو التساؤل عن الأسباب التى تعوق تقدم بلدى مصر «أم الحضارة» إلى نفس الطريق بالسرعة نفسها .

الغريب أن هذه الدول التى أصبحت ظاهرة تثير الاهتمام .. لا تملك امكانيات مصر .. ومن الثروة الطبيعية والفنية والبشرية بالاضافة إلى الموقع والمناخ المعتدل طوال العام.

ان تايوان الجزيرة الصعبة الصغيرة التى تعانى من العزلة السياسية نتيجة اصرار الصين الشعبية على أنها جزء من أراضيها وفقا للاتفاقيات الدولية التى تمت عام ١٩٤٢ خلال الحرب العالمية الثانية .. هى واحدة من هذه الدول التى أعنيها .. إنها أحد أعضاء نادى النمور الأسيوى الذى يضم كلا من سنغافورة وكوريا وهونج كونج .. وهى الدول التى أصبحت تجربتها الاقتصادية حديث كل العالم.

وكما سبق ذكرت فى مقال سابق فى اطار تعرض للكتابة عن المؤتمر السياحى الدولى «الاستاء الذى عقد فى تايبيه عاصمة تايوان .. إن هذه الجزيرة الصغيرة لاتتعدى مساحتها ٣٦ ألف كيلو متر مربع أى ٣٫٦٪ من مساحة مصر (مليون كيلو متر مربع) .. ويبلغ تعداد سكانها ٢٠ مليون نسمة.

●●●

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩١/١٠/٣١.

طبعا هذه المعلومات طبيعية وليس فيها ما يجذب الاهتمام .. ولكن المثير حقا أن هذه الدولة الصغيرة مساحة ومكانا .. استطاعت أن تصل باحتياطيات العملات الصعبة فى خزائنها من عائد نشاطها الاقتصادى والصناعى إلى ٨٠ مليار دولار أمريكى .. إنها بذلك تصل إلى مستوى أغنى دول العالم . إن الاحصائيات تقول أن صادراتها عام ١٩٩١ ستصل إلى ١٠٠ مليار دولار أمريكى بينما من المتوقع ألا تتجاوز وارداتها وجميعها من المواد الأولية ٩٣ مليار دولار أى أن هناك ٧ مليارات دولار فائض فى الميزان التجارى عام ٩١ وحده. وكما هو معروف فإنه لا توجد فى تايوان مصادر للثروة سواء كانت بترولا أو مواد معدنية .. وهو ما يغنى أنها تستورد كل احتياجاتها من الخارج وتعتمد تايوان فى تقدمها الاقتصادى على التصنيع باستخدام أحدث ما وصل إليه العالم من تكنولوجيا .. إنها لا تقوم بتصنيع الماكينات والأجهزة اللازمة لعملية التصنيع .. ولكنها تعتمد على استيرادها من كل الأسواق العالمية فى الدول المتقدمة جدا مثل امريكا وكندا وألمانيا.

●●●

ومن أهم الأنشطة التى تركز عليها تايوان صناعة أجهزة الاتصالات والكمبيوتر واستطاعت أن تصل بهذه الصناعة إلى القيمة وهو مايشهد به حجم صادراتها إلى الدول المتقدمة نفسها ولتنمية هذه الصناعات ذات العائد الاقتصادى المرتفع .. لقامت مدينة صناعية للتكنولوجيا المتقدمة وفرت لها كل الامكانيات والتسهيلات والمرافق .. وخططتها لاستيعاب أى توسعات خلال الخمسين عاما القادمة . قد قمت بزيارة هذه المدينة التى تبعد حوالى ثمانين كيلو مترا عن العاصمة تايبيه وشاهدت صور هذا التقدم الهائل الذى حققته تايوان.

●●●

وبالطبع فقد كان لهذا التقدم الاقتصادى انعكاساته الواضحة على مستوى المعيشة ودخل الفرد فى جزيرة تايوان وصل متوسط هذا الدخل بالنسبة للفرد عام ٩١ إلى حوالى ١١ ألف دولار أمريكى ومن المتوقع أن يصل إلى ٢٠ ألفا عام ٢٠٠٠ وحتى يمكن تقدير حجم القفزة الهائلة التى تحققت .. فلابد من الاشارة إلى أن متوسط الفرد سنويا عام ١٩٥٢ لم يكن يتجاوز ١٢٠ دولارا.

إن ما حدث من تقدم هائل فى تايوان الجزيرة الصغيرة التى لا تملك أى ثروة طبيعية .. يجعلنا نتساءل عن الأسباب التى تجعلنا لا نسير فى نفس الطريق . وقبل الحديث عن العوامل المختلفة التى ساهمت فى نجاح هذه التجربة .. فإنه يهمنى أن أشير إلى أهمية دور الدولة فى فرض الانضباط واقبال الشعب على الانتاج.

إن جزيرة تايوان هوايتها الانتاج والثراء.

الإرادة والإنتماء والعطاء طريق الوصول إلى القمة

مازلت *لا استطيع أن أنسى حالة الانبهار التى أصابتنى منذ زيارتى الأخيرة لجزيرة «تايوان» الصغيرة رغم مرور عدة أسابيع على عودتى إلى القاهرة.*

إن هذه الدولة الآسيوية التى أقامها كاى شيك بعد هزيمته وهروبه من الصين تعيش حاليا مأساة العزلة السياسية بعد بزوغ نجم الصين على الساحة الدولية. واحتلالها لمكانتها كدولة عظمى .. أدى هذا الوضع وممارسة الصين لضغوطها السياسية على دول العالم إلى أن عدد الدول التى تتبادل العلاقات الدبلوماسية مع تايوان قد تقلص إلى ٢٦ دولة فقط.

ورغم تأثير تلك العزلة نفسيا على تحركات تايوان وتطلعاتها إلى المستقبل .. إلا أنها لم تستسلم بل أنها تعمل باجتهاد لاستثمار ثرائها الهائل وعلاقاتها الاقتصادية غير المحدودة لتغطية قضية العلاقات الدبلوماسية مع دول العالم.

●●●

وقبل أن استعرض الاسباب التى ساهمت فى بناء هذا التقدم الصناعى والزراعى والاقتصادى فى جزيرة تايوان .. فإنه يهمنى أن أشير إلى أن جميع البيانات والاحصائيات والتحليلات تشير إلى أن اقبال الشعب التايوانى على الانتاج هو العامل رقم واحد وراء تلك الانطلاقة الهائلة . وعن سر التجربة التايوانية أحد النمور الأربعة

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٩١/١١/٧ .

للتقدم الاقتصادى فى آسيا والعالم .. يقول رئيس جمهورية تايوان فى أحد الأحاديث الصحفية أن بلاده التزمت بنظام الاقتصاد الحر منذ البداية وانهم اعتمدوا على آلية السوق التى تحدد العرض والطلب وقيمة الانتاج وأجر العمالة .. وأضاف بأن دخولهم حلبة منافسة عمالة الاقتصاد العالمى مثل اليابان وأمريكا وأوروبا الغربية دفعهم إلى رفع مستوى الانتاج التايوانى جودة ونوعية، وقال أنهم عملوا على توفير المزيد من العدالة الاجتماعية وأعطوا التعليم أولويات مما أتاح لهم أن يصلوا بنسبة الأطفال الذين التحقوا بالمدارس إلى ٩٩ ٪ .

ومن ناحية أخرى استفادت من انخفاض الانفاق العسكرى فى تايوان بسبب تحمل أمريكا لسنوات مسئولية الدفاع عن الجزيرة ضد التهديدات والغزو الصينى. اتاح لهم ذلك استثمار جانب كبير من الدخل فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتأتى عملية تدفق الاستثمارات الأجنبية كعامل ثان فى دفع التقدم الاقتصادى قدما والذى يعكسه الفائض والاحتياطى الضخم من العملات الأجنبية والذى بلغ ٨٠ مليار دولار.

●●●

وعن النصيحة أو الروشتة التى تقدمها تجربة تايوان الجزيرة المعجزة للدول النامية والفقيرة يقول الرئيس التايوانى فى حديثه الصحفى أن بناء أى بلد يتطلب أولا أن تجعل الشعب غنيا وأنه من خلال ثراء الأفراد يزدهر الوطن .. ولا يعنى هذا أن يصبح كل فرد مليونيرا .. ولكن يكفى أن يتمتع بمستوى معيشى كريم .. ويجد مسكنا مريحا محترما ورعاية صحية له ولأهله . ويضيف رئيس تايوان أنه إذا سعدت المؤسسات الخاصة بغير احتكار أو استغلال لحقوق الآخرين تقدمت البلاد. كما لا يجب انكار دور الاستقرار السياسى والاجتماعى باعتباره من أهم عوامل الابداع وبذل الجهد والنجاح.

ورغم أن العلاقات بين جزيرة تايوان والصين العملاقة التى يسمونها الوطن الأم ليست على ما يرام .. إلا أنه يمكن القول أن هناك تقدما قد حدث وحقق بعض التقارب، ومن مظاهر هذا التطور السماح لأبناء تايوان بزيارة الصين كسياح للاجتماع بأقاربهم وقد باعدت بينهما الخلافات السياسية والعقائدية لسنوات طويلة. كما تشير بعض التقارير إلى أن استثمارات الصينيين التايوانيين قد بلغت ٥٠ مليار

دولار بالصين فى السنوات الأخيرة. وإذا كانت الظروف لم تسمح حاليا بالعلاقات التجارية المباشرة فان التقارير المتوافرة تقول أن حجم التجارة بين الصين وتايوان عن طريق طرف ثالث قد بلغ فى عام ١٩٩٠ ٥ر٤ بليون دولار أمريكى ..

لقد حققت تايوان نموا اقتصاديا فى عام ١٩٩٠ بلغ ٢و٥٪ وهى من أعلى النسب إذا علمنا أن هذا النسبة لا تتجاوز ٣٪ فى ألمانيا الاتحادية. ومن ناحية أخرى بلغ حجم الناتج القومى فى العام الماضى ٥و١٦١ بليون دولار بالاضافة إلى انخفاض معدلات البطالة إلى ٧و١ ٪.

وقد أثار انتباهى أن أسعار المنتجات التايوانية التى تملأ المحلات فى كل العالم غالية جدا فى تايوان. وعندما سألت عن سر ذلك فهمت أن مستوى الأجور والمعيشة يسمح للتايوانيين بشرائها محملة بالضرائب المحلية المرتفعة .. أما الأسعار المنخفضة فى خارج تايوان فإنها خاصة بالتصدير الخارجى والمنافسة.

●●●

ومرة أخرى أقول أن متابعتى لتجربة كل من سنغافورة وتايوان وكوريا وهونج كونج وهى دول بدأت من الصفر اقتربت من القمة قد أحيت الآمال فى إمكانية تحقيق انطلاقة مماثلة فى مصر التى تتوافر لها امكانيات لم تتوافر لهذه الدول.

يبقى أن أقول أنه لا ينقصنا سوى الانضباط وبذل الجهد فى الانتاج .. وإن يكون كل هذا مغلفا بالارادة القوية والانتماء والعطاء وحب مصر.

تأملات فى التاريخ من فوق أرض المغرب

ليس *هناك أجمل من أن تغوص فى أعماق التاريخ العربى الإسلامى، وأن تشتم فى أرض الواقع والحقيقة أمجاده وانتصاراته.*

لقد تخيلت وعايشت هذه الفترة المجيدة من تاريخ أمتنا الإسلامية وأنا فوق الأرض التى انطلقت منها جيوش طارق بن زياد وموسى بن نصير لتعبر البحر إلى شواطئ أسبانيا حيث أقاموا الدولة الإسلامية الحضارية فى الأندلس .. والتى تمثل أزهى عصور الفتوحات الإسلامية..

وتذكرت فى هذه اللحظة وأنا أنظر إلى البحر من شرفة حجرتى بالفندق الذى أقيم فيه بمدينة الدار البيضاء بالمغرب الشقيق عبارة طارق بن زياد الخالدة لقواته بعد نجاح العبور وبعد أن أحرق سفنه : «العدو من أمامكم والبحر من خلفكم». وكان هدفه من اطلاق هذه العبارة اثارة حمية جنوده القتال من أجل نشر دين الحق .

وكان من الممكن أن تستمر دولة الأندلس الاسلامية حتى عصرنا هذا لولا الخلافات والنزاعات التى نشبت بين حكامها والتى أنهت وجود هذه الحضارة الإسلامية على أرض أوروبا بعد أن استمرت ٨٠٠ عام.

ورغم اضمحلال هذه الدول الإسلامية بعد أن وصلت سيطرتها إلى حدود فرنسا .. إلا أنها خلفت وراءها حضارة عريقة .. استخدمتها أوروبا فى تحقيق انطلاقتها الحضارية بعد عصور من الظلام والتخلف .. وما زال كثير من العلماء الأوروبيين غير المتعصبين يتناولون هذه الحقيقة فى مؤلفاتهم باعجاب وانبهار.

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٨٤/٢/٧ .

وخلال أكثر من زيارة قمت بها إلى منطقة الأندلس فى أسبانيا، شاهدت جانبا من مخلفات الحضارة العربية الإسلامية فى قرطبة واشبيلية وغرناطة وأهمها مسجد قرطبة فخر العمارة الإسلامية حتى الآن وقصر الحمراء ولم يكن هناك أسهل من اكتشاف العديد من الكلمات العربية التى يجرى استخدامها حتى الآن فى اطار اللغة الأسبانية. كما ترك العرب آثارهم فى العيون السود والشعر الأسود الفاحم والتقاطيع العربية، التى يتميز بها مواطنو هذه المنطقة.

إن زيارتى للمغرب لم تكن بحثا عن التاريخ الإسلامى أو مشاهدة آثار الأجداد من رواد هذه الدعوة الانسانية العظيمة .. ولكن رغم ضيق الوقت جريا وراء أحداث مؤتمر القمة الاسلامى فقد وجدت نفسى أعيش لحظات من التأمل فى الحال الذى وصل إليه المسلمون.

ودارت أمام عينى وأنا أتابع الخلافات التى مزقت العالم الإسلامى والعربى هذه الأيام .. صورة للماضى البعيد عندما تحولت خلافات حكام الأندلس المسلمين إلى مقاتل بالسلاح ليقضوا على بعضهم البعض. ولم يكن من نتيجة لهذا السقوط واهدار الدماء المسلمة سوى أن سهلوا لاعدائهم من امراء أسبانيا توجيه الضربة القاضية التى أنهت وجودهم تماما بعد سنين طويلة من المجد والفخار.

وقلت لنفسى وأنا أتابع فى اجتماعات القمة الاسلامية قضايا الخلاف والتقاتل بالسلاح بين الدول الاسلامية ،وكأن التاريخ يعيد نفسه، وتمنيت فى هذه اللحظة أن يتذكر الزعماء المسلمون وهم فى قمتهم بالدار البيضاء أن انطلاقة الدين الاسلامى وسطوة دولته لم تتحقق إلا حينما تدعمت وحدتهم وزاد تضامنهم وتناسوا خلافاتهم وحددوا هدفهم .. وعملوا على تحقيقه إيمانا وصدقا.

أليس غريبا بعد ما حدث فى الأندلس الاسلامية بحلوه ومره أن يتحول الانتصار إلى نكسة فيواجه المغرب العربى هجمة استعمارية شرسة افقدته استقلاله وسيادته على أرضه، هكذا وبعد أن كانت للمسلمين دولة وصولجان فى الأندلس بالجنوب الأسبانى تنقلب الآية لتصبح الأراضى التى انطلقت منها جيوش طارق بن زياد.. محتلة من جانب فرنسا وأسبانيا لفترة طويلة من الزمن.

حقا لقد أنهى الشعب المغربى بكفاحه البطولى وبقيادة الملك الراحل محمد الخامس والد الملك الحسن الثانى الاحتلال الفرنسى فى الخمسينيات .. كما خرجت اسبانيا من الصحراء المغربية فى بداية الثمانينات مخلفة وراءها نزاعات وخلافات بين الأخوة من أبناء المغرب.

ولكن الذى أدهشنى حقا ما عرفته من أن أسبانيا مازالت تحتل جزءا من الأراضى المغربية (منطقة سبتة)، وقد ذكر لى أحد الأصدقاء الذين يقيمون فى المغرب أن هذه المنطقة تعتبر أرضا أسبانية تخضع لكل القوانين الأسبانية وأن زيارتها تستدعى الحصول على تأشيرة دخول من سفارة أسبانيا بالرباط !!

اننى لست خبيرا فى التاريخ .. ولم يكن هدفى أن يكون لمقالى أى سمة سياسية .. ولكنى لم أستطع وأنا فى فترة تأملاتى تجاهل بعض المظاهر ذات الصبغة السياسية التاريخية.

ان هذه التأملات كانت ولا شك جزءا من حالة الانبهار التى تملكتنى وأنا أزور المغرب لأول مرة .. بلدا عربيا اسلاميا .. تستشعر فيه عبق التاريخ يفوح فى مدنه وقراه وشوارعه وحواريه .. وليس هناك أجمل من أن يغلف كل هذا بروعة الطبيعة ودفء الاستقبال بكل ما يمت بصلة إلى مصر .. الوطن أم الدنيا.

المغرب بلد السحر والحركة السياحية النامية

المغرب *بلد جميل له سحر خاص يغرى بزيارته. ورغم سفرياتى الكثيرة شرقا وغربا فلم تتح لى الظروف زيارة هذا البلد العربى الافريقى الإسلامى.*

لهذا كان حماسى وترحيبى عندما كلفت بالسفر إلى عاصمته الرباط من أجل التغطية الصحفية لاعمال مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ثم اجتماعات القمة التى عقدت فى العاصمة الاقتصادية «الدار البيضاء»

ومنذ اللحظة الأولى لوصولى إلى أرض المغرب ظللت أمنى نفسى أن يتوافر لى بعض الوقت لمشاهدة معالمه التاريخية خاصة مدنة التى كثيرا ما قرأت عنها مثل مراكش وفاس وطنجه .. ولكنى اكتشفت أن الامنيات شئ والواقع يمكن أن يكون شيئا آخر.

لقد امضيت فى هذه الزيارة أكثر من عشرة أيام إلا أن ارتفاع حرارة المناقشات فى اجتماعات القمة الإسلامية حول استعادة مصر لعضويتها .. استولت على كل اهتمامى واستغرقت كل الوقت .

ولكن رغم هذا فقد تيسرت لى بعض المعلومات التى كنت أسعى للحصول عليها من النشرات والكتيبات التى كانت توزع فى المركز الصحفى ومن خلال لقاءاتى مع بعض الأخوة الصحفيين المغاربة. كما اننى شاهدت بعض المعالم المغربية من خلال تنقلاتى بالسيارة بين مدينة المحمدية التى خصصت لاقامة الصحفيين فترة انعقاد القمة وكل من مدينتى الرباط والدار البيضاء.

نشر فى جريدة «الأخبار» عدد ١٩٨٤/٢/١٠ .

ومن واقع هذه المعلومات القليلة المتاحة استطيع أن أقول أن هناك رابطة قوية تربط بين الشعب المغربى ومصر. كل المغاربة وبلا استثناء تجذبهم وتشجيهم أخبار مصر .. ويتابعونها بشغف واهتمام وعندما بدأت اجتماعات وزراء الخارجية كان التليفزيون المغربى يعرض فى السهرة حلقات مسلسل تليفزيونى سبق عرضه فى القاهرة يقوم ببطولته حسن عابدين.

واكتشفت من تجمع المغاربة حول أجهزة التليفزيون كل ليلة لمتابعة هذا المسلسل مدى حبهم وحماستهم لكل ما يمت بصلة إلى مصر، وزاد يقينى بهذه الحقيقة بعد قرار القمة الاسلامية باستئناف مصر لعضويتها بالمؤتمر الاسلامى، فقد انهالت على التهانى من المغاربة على كل مستوى وكأن القرار يتعلق ببلدهم المغرب وليس بمصر.

والمغرب ورغم مرور السنين مازال بلدا مغلفا بالسحر والأسرار . وهناك قطاعات كبيرة من الشعب المغربى مازال يؤمن بأعمال السحر ويقبل على ممارستها فى سلوكياته وحياته اليومية. كما أنه إلى جانب هذا يملك مقومات البلد السياحى طبيعة وطقسا وشواطئ وفنادق وطرقا معبدة ومعالم تاريخية منتشرة فى كل أرجائه علاوة على ظاهرة النظافة التى يمكن ملاحظتها فى كل مكان وتقول الاحصائيات الرسمية أن عدد السياح الذين زاروا المغرب خلال عام ١٩٨٣ بلغ أكثر من مليون ونصف مليون سائح. وهذا العدد يمثل قفزة هائلة لهذه الصناعة خاصة إذا علمنا أن تعداد المغاربة حوالى العشرين مليون نسمة . ويمثل الدخل السياحى ١٠٪ من الدخل القومى بالعملات الصعبة و٢٢٪ من قيمة الصادرات.

وإذا ما اضفنا إلى المقومات السياحية .. أسعار الفنادق المعقولة المنتشرة فى كل مناطق المغرب .. يمكن القول أن امكانيات مضاعفة عدد السياح فى المستقبل متوافرة .. وهناك خطة سياحية للارتفاع بالقدرة الفندقية من ٧٠ ألف سرير إلى ٢٢٠ ألف سرير خلال السنوات الخمس القادمة.

وتدخل شبكة الطرق التى تصل إلى كل المدن المواقع ضمن الخدمات السياحية التى تسهل للسياح الانتقال داخل البلاد . كما أن معاملات الناس وترحيبهم بالغرباء واكرامهم تمثل عاملا هاما فى الجذب السياحى . ولا شك أن توفر المصنوعات اليدوية

الجلدية والمعدنية ذات الطابع الشرقى وتناسب أسعارها تمثل أيضا أحد موارد الدخل السياحى المتزايد.

ونظرا لقرب المغرب من أوروبا حيث لا يفصل بينها وبين فرنسا واسبانيا سوى البحر وهى مسافة تعبرها الطائرة أقل من ساعتين فان هذا يعنى توافر امكانيات تدفق السياح الأوروبيين. كما أن هناك عبارات بحرية تعمل بين الشواطئ الأوروبية والمغربية لنقل السياح بسياراتهم مما يتيح لهم فرصة التنقل داخل المغرب وكل أنحاء الشمال الأفريقى فى رحلة واحدة وبأقل تكاليف، ولا شك أن سياحة السيارات تعتبر من أهم وسائل زيادة الحركة السياحية .. والدليل على هذا أن ٧٥٪ من الحركة السياحية التى تذهب إلى أسبانيا (٤٠ مليون سائح سنويا) هى سياحة سيارات.

هذه صورة سريعة أرجو أن أكون قد وفقت فى نقلها عن طبيعة ومستقبل السياحة النامية فى المغرب الشقيق رغم ضيق الوقت .. وهى بالتأكيد تعطى مؤشرا متفائلا لما يمكن أن تحققه هذه الصناعة خلال السنوات القليلة القادمة.

أسبوع فى تركيا قبل الأزمة مع سوريا

***أدت** الأزمة المثارة حاليا بين تركيا وسوريا إلى تسليط الأضواء على هذه الدولة الإسلامية اسما بحكم غالبيتها المسلمة والعلمانية فعلا بحكم السياسة ودستور مصطفى كمال أتاتورك مؤسس الدولة التركية الحديثة «١٩٢٣ ـ ١٩٣٨» وهو الدستور الذى مازال ساريا بوصاية وحماية المؤسسة العسكرية صاحبة الأمر والنهى فى هذا البلد إن محور هذه الأزمة من وجهة النظر التركية يرجع إلى اتهام سوريا بمساندة ودعم حركة حزب العمال الكردى الانفصالية التى تسعى إلى اقامة وطن للأكراد الأتراك (١٥ مليون كردى). كما يشمل الاتهام ايضا قيام سوريا بفتح أراضيها لتكون مأوى لعبدالله أوجلان زعيم هذا الحزب.*

أما الجانب السورى الذى ينكر الاتهامات فإنه يعيش فى مرارة واحباط شديدين نتيجة ضم لواء الإسكندرونة الذى كان جزءا من الأرض السورية حتى قامت فرنسا إبان احتلالها لسوريا بالموافقة على اعطائه لتركيا وقد تكون هذه المشاعر سبب هذه العلاقات المتأزمة بين البلدين.

●●●

من ناحية أخرى كانت هناك مشكلة تتعلق بالمياه التى تجرى فى أنهار سوريا قادمة من جبال تركيا حيث اتهمت دمشق أنقرة بأنها اقامت سدودا أثرت على كميات المياه التى تحصل عليها ولكن وخلال زيارتى الأخيرة لدمشق ضمن الوفد الصحفى

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٥/١٠/١٩٩٨.

المصاحب للرئيس مبارك ذكرت لى المصادر السورية بإنه لاتوجد مشكلة على الإطلاق حاليا بين البلدين تتعلق بالمياه قالوا أن الاتفاق الموقع بموافقة الجانبين كان يتضمن تدفق ٥٠٠ ألف متر مكعب من المياه إلى سوريا ولكن ما تحصل عليه سوريا حاليا يصل إلى ٩٠٠ ألف متر مكعب إذن لا تبرير لعدم الاتفاق وعدم الانسجام بين تركيا وسوريا سوى البعد التاريخى المتعلق بعملية ضم لواء الإسكندرونة والذى يعتبر جغرافيا جيبا داخل الأرض السورية ورغم أن الدولتين الجارتين لاتشيران إلى هذه المشكلة فى أزمتهما الحالية إلا أنه لا تمر مناسبة إلا وجرت اثارتها سواء على المستوى الرسمى أو الشعبى فى سوريا.

ومن المؤكد ان هذا الخلاف الذى يثير الأشجان والأوجاع هو سبب تعاطف سوريا مع الانفصاليين الأتراك وردا على ذلك لجأت أنقرة إلى التعاون والتحالف مع إسرائيل نكاية فى سوريا.

ويقول بعض المراقبين أن التقارب التركى الإسرائيلى يعود أيضا إلى غضب تركيا من عدم تأييد العرب لدولة قبرص التركية بعد عملية التقسيم التى قام بها الجيش التركى للدولة القبرصية.

●●●

لقد كان السعى إلى نزع فتيل هذه الأزمة التى تهدد بنشوب حرب بين تركيا وسوريا هدف تلك الرحلات الثلاث التى قام بها الرئيس مبارك إلى كل من المملكة السعودية وسوريا وتركيا ثم سوريا مرة أخرى على مدى ثلاثة أيام منفصلة.

الشيء الغريب أننى زرت اسطنبول - أجمل مدن تركيا - لمدة أسبوع قبل حوالى ٢٠ يوما ولم يكن لهذه الأزمة أى وجود على الاطلاق كان هدف هذه الزيارة المشاركة فى مؤتمر اتحاد مجالس الصحافة فى العالم مع الزميل الكاتب الكبير صلاح منتصر ممثلين للمجلس الأعلى للصحافة فى مصر. وخلال الأيام السبعة التى أمضيناها فى اسطنبول أتيحت لنا من خلال المناسبات التى نظمها مجلس الصحافة التركى الالتقاء بالرئيس التركى ديميريل الذى افتتح أعمال المؤتمر ورئيس الوزراء

مسعود يلمظ الذى ألقى كلمة فى حفل العشاء الذى أقامه تكريما لأعضاء الوفود والتى كان من بينها وفد سورى بصفة مراقب.. وفى الخطابين لم تكن هناك أى أشارة من بعيد أو قريب إلى الأزمة السورية التركية.

●●●

ولأنها أول زيارة لى أقوم بها لمدينة اسطنبول الساحرة طبيعة وموقعا ومقومات تاريخية - وهى مدينة ينبعث منها عبق التاريخ - فقد أحسست بالانبهار وإلى أن أعود للحديث سياحيا عن اسطنبول ومعالمها التاريخية فى مقال مقبل فإننى أجد ضروريا أن أتناول فى عجالة ما دار فى مؤتمر اتحاد مجالس الصحافة العالمى والذى أتاح لى فرصة القيام بهذه الزيارة يضم هذا الاتحاد فى عضويته ٢٤ دولة فى كل قارات العالم تتواجد بها مجالس لرعاية الصحافة الحرة وقد دعيت مصر بصفة مراقب لأكثر من مرة لحضور الاجتماعات نصف السنوية والسنوية للجمعية العمومية لهذا الاتحاد والتى عقدت فى عواصم بعض الدول الأعضاء. وفى المؤتمر الذى عقد فى أبريل الماضى فى العاصمة الهندية نيودلهى قدمت مصر طلبا للانضمام إلى الاتحاد بناء على موافقة مكتب المجلس الأعلى للصحافة برئاسة الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس المجلس وفى اجتماع اسطنبول تم اقرار عضوية مصر كما تمت الموافقة بناء على رغبة أغلبية الأعضاء على عقد المؤتمر السنوى للاتحاد عام ٢٠٠٠ فى مصر.

●●●

فى اجتماعات الاتحاد تم مناقشة القضايا المتعلقة بالعمل الصحفى والاعلامى على مستوى العالم. وفى لقاء أسطنبول الذى شارك فيه ٧٢ عضوا من كل أنحاء العالم من بينهم أساتذة قانون متخصصون فى شئون الصحافة والإعلام جرت مناقشة واسعة حول موضوعين أساسيين هما احترام الخصوصية فى النشر على ألا تتعارض مع ضمانات حرية الصحافة وحرية التعبير. واتفق على عدم السماح بأن يؤدى النشر إلى التشهير والإساءة إلى أى فرد بما يتعارض وحقوق الإنسان أما الموضوع الثانى الذى تمت مناقشته فإنه يتعلق بحماية الصحفيين ورجال الاعلام من الأخطار خلال

ممارستهم لعملهم وأنتهى بحث هذا الموضوع إلى ضرورة أن يكون هناك اتفاقية دولية لتوفير هذه الحماية المفقودة.

●●●

إن انضمام مصر إلى اتحاد مجالس الصحافة العالمى هو خطوة أخرى لتأكيد الخط المصرى العام القائم على دعم حرية الصحافة والتعبير.. ووضع أسس أخلاقية وقانونية للممارسة الصحفية والإعلامية تضع فى اعتبارها صيانة الحرية الشخصية وحقوق الإنسان.

تركيا أتاتورك والبحث عن هوية

***لقد** وعدت عزيزى القارىء فى مقال أن آخذك فى رحلة من المعلومات حول تركيا صاحبة الأمبراطورية الإسلامية الواسعة التى امتدت سيطرتها شرقا وغربا وجنوبا فى آسيا وأوربا وأفريقيا إبان الحكم العثمانى الذى استمر لستة قرون متتالية.*

وبعد أنهيار هذه الأمبراطورية وتفككها فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهر الزعيم التركى مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩١٥ حيث تمكن من لم شمل الدولة المبعثرة المنهارة وتولى رئاسة أول جمهورية فى تركيا وخلال الفترة من عام ١٩٢٣ إلى نهاية ولايته بالوفاة عام ١٩٣٨ تمكن أتاتورك من وضع أسس تركيا الحديثة.

اعتمد هذا التحديث على الخلاص من كل آثار الدولة العثمانية فى الحكم والملبس واللغة والتعليم والثقافة بالاضافة إلى وضع البرامج الشاملة للنهوض بالبلاد اقتصاديا.

●●●

رغم الاسلوب الأوربى فى الحياة الذى تبنته الايديولوجية الأتاتوركية فقد ظلت تركيا وحتى الآن حائرة تبحث عن هوية. إنها مازالت تعانى وتشعر بالاحباط بسبب الرفض الأوربى للقبول بها دولة أوربية رغم عضويتها الكاملة فى حلف الأطلنطى .. وفى نفس الوقت ونتيجة لفقدان سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط التى كانت دولها

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩٨/١٠/٢٢.

جزءا من الأمبراطورية التركية المنهارة فقدت تركيا انتماءها للشرق أيضا وهو ما أدى إلى أن تصبح دولة بلا هوية.. لا أوربية ولا شرقية.. كان طبيعيا وسط هذه الحيرة أن تتطلع قطاعات كبيرة من الشعب التركى إلى الجذور التى وجدتها فى الانتماء الإسلامى .. أدى ذلك إلى ظهور تيار إسلامى قوى داخل البلاد وهو ما دفع بالمؤسسة العسكرية الأمينة على دستور أتاتورك العلمانى إلى أن تمارس ضغوطها مهددة بما تحت يديها من قوة لإخماد أنفاس أحزاب الحركة الإسلامية التى أتيح لها من خلال الانتخابات تولى السلطة فى البلاد وانتهى هذا التدخل لصالح المؤسسة العسكرية بعزل نجم الدين أربكان رئيس الوزراء وتقديمه إلى المحاكمة، ونتيجة لهشاشة التحالف الذى يشكل الوزراة الحالية فى تركيا برئاسة مسعود يلمظ فقد انعكس هذا على الوضع الداخلى الذى يتعرض للانقسامات والخلافات ومشاكل البحث عن هوية، وجاءت الأعمال الإرهابية التى تقوم بها حركة حزب العمال الكردستانى لتضيف عبئا جديدا على الوضع السياسى والاستقرار إلى جانب تحمل الخزانة حوالى ١٠ مليارات من الدولارات سنويا.

●●●

إن تركيا الحديثة تقع غالبيتها فى جنوب غرب آسيا بينما يقع جزء منها وهو غرب البسفور داخل القارة الأوربية وتمتد حدود تركيا على ساحل البحر الأسود بين بلغاريا وجورجيا وكذلك على ساحل كل من بحر ايجه والبحر المتوسط بين اليونان وسوريا وتبلغ مساحة تركيا ٧٨٠ ألفا و ٥٨٠ كيلو مترا مربعا ولها حدود مشتركة مع العديد من الدول بطول ٢٦٢٧ كيلو مترا منها ٢٦٨ كيلو مترا مع أرمينيا و ٩ كيلو مترات مع أذربيجان و ٢٥٢ كيلو مترا مع جورجيا ـ الدول الثلاث من دول الاتحاد السوفيتى السابق ـ و ٢٤٠ كيلو مترا مع بلغاريا و ٢٠٦ كيلو مترات مع اليونان و ٤٤٩ كيلو مترا مع إيران و ٣٣١ كيلو مترا مع العراق و ٨٢٢ كيلو مترا مع سوريا..

أما سواحلها على البحار فإنها تمتد بطول ٧٢٠٠ كيلو متر. وتشير آخر الاحصائيات إلى أن عدد سكان تركيا ٦٣ مليونا و ٥٠٠ ألف نسمة. بمعدل زيادة

سكانية ١,٩٧ ٪ سنويا ويشكل المسلمون السنة ٩٩,٨ ٪ من عدد السكان بينما لا يتجاوز عدد المسيحيين واليهود ٠,٢ ٪ ويتحدث غالبية السكان بالتركية وهى اللغة الرسمية بينما هناك ٢٠ ٪ يتحدثون الكردية كما توجد نسبة تصل إلى ٨ ٪ تتحدث العربية ويتجمع معظمهم على الحدود مع سوريا والعراق. ويصل عدد الطاقة العاملة ٢٠,٤ مليون عامل منهم ٤٤ ٪ يعملون فى الزراعة و ٤١ ٪ فى الخدمات و ١٥ ٪ فى الصناعة.

وعاصمة تركيا هى أنقرة منذ عام ١٩٢٣ وهى تعتبر اقليما من بين ٧٣ اقليما تضمها الدولة التركية.

●●●

رغم النهضة الاقتصادية والانتاجية التى شهدتها تركيا خلال حقبة الثمانينيات فإنها وعلى مدى خمسة عشر عاما وحتى عام ١٩٩٥ تعانى من أزمات اقتصادية بلغت ذروتها عام ١٩٩٤ بارتفاع العجز فى الميزانية وكذلك ارتفاع معدلات التضخم بنسبة كبيرة جدا. ورغم نجاح البرنامج الاقتصادى الذى قامت بتنفيذه رئيسة الوزراء فى ذلك الوقت تانسو شيللر إلا أن ذلك لم يستمر طويلا حيث ضربت معدلات التضخم رقما قياسيا (١٢٦ ٪) وانخفضت معدلات النمو بنسبة ٥ ٪ سنويا.

ومازال الاقتصاد التركى يواجه المشاكل حتى الآن خاصة بعد أن فشل فى الالتزام بالبرنامج الذى أعده صندوق النقد الدولى ويقول المراقبون إن الأوضاع السياسية غير المستقرة، علاوة على انتشار الفساد الاقتصادى وراء معظم المشاكل التى تعانى منها تركيا.

مدينة شرقية أوروبية

***لم** تستطع العلمانية التى تحكم تركيا البلد الذى يدين سكانه «٦٣ مليون نسمة» بالإسلام السنى أن تمحو من مدينة اسطنبول «الأستانة سابقا عاصمة العصر العثمانى» وجود مئات المآذن الشاهقة الارتفاع المنتشرة فى كل مكان يعتليها المؤذنون ٥ مرات على مدى الـ ٢٤ ساعة يدعون إلى أداء فريضة الصلاة.*

ان هذه المدينة الرائعة تتميز بأن نصفها يقع فى قارة آسيا بينما يقع نصف الآخر فى قارة أوروبا حيث تطل ضفتاها على مضيق البسفور الذى يربط بين البحر الأسود وبحر مرمرة.

وتعتبر أسطنبول أكبر المدن التركية من حيث عدد السكان «١٤ مليون نسمة» ولهذا فإن شوارعها تعانى من الازدحام خاصة فى المناطق القديمة التى تشتهر بشوارعها الضيقة ومبانيها التاريخية القديمة.. ونتيجة للزحام السكانى والمرورى فإن الضوضاء تعد واحدة من سمات المدينة الفريدة فى موقعها ومعالمها وأهم ما يشعر به أى زائر للمدينة أنه لا يشعر بالضيق مهما طالت مدة زيارته وهو ما واجهته بالفعل خلال فترة الأسبوع الذى أمضيته بها لحضور اجتماعات المؤتمر الدولى لمجالس الصحافة فى العالم فى شهر سبتمبر الماضى.

ان كثرة الأماكن والمعالم يمكن أن تشغل الوقت لأيام كثيرة ناهيك عن التنقل بين القرى والمواقع المحيطة بالمدينة على طول شواطىء مضيق البسفور الآسيوية والأوروبية.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩٨/١٠/٢٩.

وأهم مـا أثار انتبـاهى خـلال سلسلة الزيارات التى قـمت بهـا لمعـالم اسطنبـول التاريخية والأثرية قصر توب كابى مقر حكم سلاطين الحكم العثمانى الذى استمر من القرن الـ ١٥ حتى بداية القرن الـ ٢٠ لقد تحول هذا القصر الذى يحتل مساحات شاسعة ومقسم إلى عدة قصور وأجنحة إلى عدة متاحف للكنوز والآثار العثمانية والإسلامية، وتحيط بالقصر حديقة رائعة يطلقون عليها الحديقة الخشبية كما يحوى متحف العثمانيين مجموعات من الكريستال والفضيات والبورسلين الصينى الذى كانت عملية جمعه واحدة من هوايات سلاطين العثمانيين كما يضم مزارات منطقة توب كابى قصر الحريم وكذلك قاعة الاستقبال الكبرى وقاعة مكتب السلطان أحمد الثالث وملابس السلاطين وجواهر كنوزهم.. أما أهم المتاحف التى يضمها توب كابى فإنه قاعة العرض الخاصة ببعض المتعلقات الخاصة بالنبى محمد عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين والقادة الإسلاميين التى استولى عليها العثمانيون من الحجاز إبان حكمهم ومن بعض الدول الإسلامية.

●●●

ومن أهم وأجمل معالم اسطنبول يأتى قصر ضلمة باشا الذى اعتقدت أنه سمى بهذا الاسم على أساس أن صاحبه هو مخترع أطباق الضلمة التركية الشهيرة «المحشى».

وعندما سألت المرشد عن حكاية الضلمة والقصر فوجئت بأن معنى الكلمة غير ما دار بتفكيرى حيث أن الضلمة معناها كما قال.. حديقة. لقد أقيم هذا القصر فى منتصف القرن الـ ١٩ بواسطة السلطان عبدالحميد بواجهة تمتد ٦٠٠ متر على مضيق البسفور أن أجمل ما فى هذا القصر هو قاعة الاستقبال الواسعة المقامة على ٥٠ عمودا والتى ينتشر فيها ٧٥٠ قنديلا من الكريستال ومن ناحية أخرى غطيت أسوار السلالم داخل القصر بالكريستال أيضا. لقد اتخذ كمال أتاتورك مؤسس الدولة التركية الحديثة من قصر ضلمة باشا مقرا لاقامته وتوفى به فى نوفمبر عام ١٩٣٨.

●●●

وانطلاقا من اهتمام الأتراك بالمتاحف لاستغلالها سياحيا فإن عددها يصل إلى ما يقرب من عشرين متحفا تشمل كل المظاهر والأنشطة من عصر الدولة البيزنطية والعثمانية وفترة حكم أتاتورك بالاضافة إلى المتاحف العلمية كما تدخل ضمن هذه المتاحف أيضا المساجد والكنائس التاريخية. إن الصلوات مازالت تؤدى فى هذه المساجد وأشهرها مساجد السلطان أحمد «المسجد الأزرق» والسليمانية ورستم باشا ومسجد صوفيا الذى كان كنيسة تحولت إلى مسجد ثم إلى متحف كما تأتى الأسواق أيضا ضمن أهم معالم مدينة أسطنبول وأشهرها السوق المغطى الذى يشبه سوق الموسكى فى مصر والحميدية فى سوريا وأن كان قد تم تجديده وتحديثه. وهو مثل الأسواق المصرية القديمة فى الأزهر التى كانت تنتشر فيها الوكالات حسب نوعية كل نشاط.

●●●

إن أشهر معالم السوق المغطى فى اسطنبول وكالة الذهب التى تضم عشرات المحلات التى تبيع هذا المعدن النفيس والذى يجيد تصنيعه العمال الأتراك وهناك أيضا سوق المصريين وهو من أشهر أسواق اسطنبول ويقولون إنه اشتهر بهذا الاسم من زمن لأنه كانت تباع به المنتجات القادمة من مصر ومن أهم ما يشتهر به هذا السوق حاليا محلات العطارة والبقالة التى يملكها الأرمن هذه المحلات تستمد شهرتها من بيع البسطرمة التى يصل سعر الكيلو منها ٤٥ دولارا «ما يقرب من ١٥٠ جنيها» بينما لا يتجاوز سعره فى مصر الثلاثين جنيها فقط.

بهذه المناسبة قال بعض المقيمين فى اسطنبول أن معظم الأعمال الفنية التى تمتلأ بها قصور تركيا وكذلك بعض الصناعات الدقيقة قام بها العمال المصريون الذين نقلهم الولاة الأتراك من مصر إلى الاستانة ابان الحكم العثمانى وهو ما قرأناه فى كتب التاريخ خلال دراساتنا الابتدائية والثانوية.

●●●

ان الحديث قد يطول كثيرا عن مدينة اسطنبول التى رغم محاولات محو طابعها الشرقى بالجنوح إلى الأوربة والأمركة مازالت تحتفظ بطابعها العثمانى وبعبق الشرق بسحره وغموضه.

إلى مضيق «هرمز»

عندما *تلقيت دعوة زيارة عمان الشقيقة أبديت رغبتى فى مشاهدة منطقتين اساسيتين بالسلطنة بثيران اهتمامى وحب استطلاعى الصحفى.*

تحددت المنطقتان فى مضيق جبل هرمز الذى يتحكم فى مدخل الخليج العربى من المحيط الهندى ومدينة صلالة الفريدة فى جوها المعتدل خاصة فى الصيف حيث تتجاوز درجة الحرارة فى كل الجزيرة العربية الـ ٥٠ درجة مئوية.

كان هدفى أن أرى ماهو جديد بالنسبة لى فى عمان خاصة أننى قد سبق لى زيارتها من قبل حيث أتيحت لى فرصة مشاهدة معالم عاصمتها العصرية مسقط.

●●●

فور وصولى إلى مسقط ولقائى مع الصديق عبدالعزيز الرواس وزير الإعلام صدرت التعليمات بناء على طلبى ليشمل برنامج الزيارة التوجه إلى محافظة مسندم التى يقع فى إطار مسئوليتها الحدودية منطقة مضيق جبل هرمز الذى كثيرا ما سمعنا وقرأنا عنه باعتباره موقعا استراتيجيا يقع ضمن المياه الاقليمية لكل من سلطنة عمان ودولة إيران.

إن ٩٠٪ من بترول وبضائع الدول العربية الواقعة على شواطىء الخليج العربى وبحر عمان تمر بهذا المضيق وهو ما يربط بين أهميته الاستراتيجية وأهميته الاقتصادية ليس بالنسبة للدول الخليجية فحسب ولكن بالنسبة لكل دول العالم انطلاقا من هذه الحقائق الجغرافية واستنادا إلى المصالح الدولية التى تضمنتها الاتفاقات

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩٨/٧/٢.

الدولية فإن حرية المرور بمياه المضيق مكفولة لجميع السفن وأن مسئولية تأمين هذا الحق منوطة بالدولتين الواقعتين على ضفتيه.

●●●

وبسبب الوضع الاستراتيجي والأمني لمنطقة مضيق هرمز فإن زيارته تتطلب الحصول على تصريح خاص من الاجهزة الأمنية التابعة لوزارة الدفاع العمانية. ومن خلال اتصال تليفوني أجراه وزير الإعلام تم اعداد الترتيبات الخاصة بالزيارة فى ساعات قليلة، وشملت الاتصالات محافظ مسندم الشيخ سباع بن حمدان السعدى وهو شاب لا يتجاوز عمره الأربعين عاما واتفق على أن يصاحبنى فى هذه الرحلة الأخ سالم الحضرمى من وزارة الاعلام.

لقد كان أمامنا وسيلتان للوصول إلى محافظة مسندم أولاهما طريق الجو والثانية بالسيارة عبر الأراضى العمانية وإمارة رأس الخيمة الإماراتية لقد حصلت محافظة مسندم على اسمها من اسم أكبر جزيرة عمانية تقع فى مدخل المياه الاقليمية العمانية بمضيق هرمز.

ولضيق الوقت تقرر ضمانا للراحة أن تتم الرحلة بطريق الجو إلى مدينة خصب عاصمة مسندم، تبين أن هناك رحلة جوية يومية بالطيران العمانى تغادر مسقط فى السادسة صباحا على أساس العودة بعد ظهر اليوم التالى.

●●●

الحقيقة أننى أحسست بسعادة غامرة لاستجابة وزارة الاعلام العمانية وأجهزة وزارة الدفاع لطلب زيارة مضيق هرمز باعتباره من المناطق الذى يتردد اسمه كثيرا فى الأحداث والنشرات الاخبارية أن تفكيرى فى نجاح مسعاى للقيام بهذه الزيارة أعاد لى شبابى وحيويتى الصحفية وجعلنى انتظر على أحر من الجمر اتمامها.

جولة ٣ ساعات وسط المضيق الاستراتيجي

***بعد** اتمام الاتصالات وإعداد الترتيبات الخاصة بزيارة مضيق هرمز الاستراتيجي الذى يتحكم فى مدخل الخليج العربى وبالتالى حركة نقل البترول وكل البضائع .. أخطرت بأن الطائرة سوف تغادر العاصمة العمانية مسقط فى الساعة السادسة صباحا إلى مدينة خصب عاصمة محافظة مسندم التى يقع المضيق ضمن حدودها.*

إن اختيار هذا الموعد المبكر لاقلاع الطائرة لم يأت اعتباطا وإنما كان أمرا ضروريا لتفادى السفر فى درجة حرارة تتجاوز الـ ٥٠ درجة فى هذا الوقت من السنة وأقلعت الطائرة الصغيرة التى لايتجاوز عدد مقاعدها ١٩ مقعدا وعليها خمسة ركاب تشكل أنا ومرافقى سالم الحضرمى اثنين منهم كان مقررا أن تهبط الطائرة خلال رحلتها فى مطار دباء ولكن ولعدم وجود ركاب تقرر التوجه مباشرة إلى خصب.

استغرقت الرحلة الساعة والنصف ساعة وكان الاكثر اثارة فيها عملية الهبوط فى مطار خصب الذى تحيط به الجبال من كل جانب والتى يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من ألفى متر لقد دخل الطيار بين سلسلة الجبال التى يقع المطار فى واد يقع بينها بعد أن قام بخفض ارتفاع الطائرة قبل الدخول إلى الفتحة الطبيعية الواقعة بين هذه الجبال حتى هبط بسلامة الله عندما نظرت حولى تبين لى أن الجانب الآخر لهذه الفتحة الجبلية التى عبرتها الطائرة إلى مهبط المطار كانت فى اتجاه مياه الخليج العربى داخل مبنى المطار وجدنا فى انتظارنا مدير مكتب محافظ مسندم الذى رحب بنا.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩٨/٧/٩.

لقد بدأ برنامج الزيارة بالتوجه إلى الفندق الصغير الذى يضم ٢٥ غرفة لوضع حقيبتينا الصغيرتين. لاحظت والسيارة تخترق شوارع خصب بسرعة.. انتشار المبانى الجميلة الحديثة المخصصة للادارات الحكومية المختلفة وللاسكان.. قال لى مرافقى أن بناءها قد بدأ منذ سنوات قليلة فى عهد السلطان قابوس حينما بدأ الاهتمام بهذه المنطقة الاستراتيجية التى لايتجاوز عدد سكانها ٢٨ ألف نسمة ومن الفندق توجهنا إلى مكتب محافظ مسندم الشيخ سباع السعدى (٤٠ عاما على الأكثر) لنجد مجموعات من أهالى المنطقة يتحدثون معه حول مطالبهم ومشاكلهم وعقب انتهاء احدى لقاءاته قال لى أن الطبيعة الجغرافية الجبلية تنعكس فى خشونتها وقوتها على أحاديث هؤلاء المواطنين وعلمت من المحافظ أنه قد زار مصر عدة مرات وأنه من عشاق مدينة الإسكندرية كما وجدت أنه ملم ببعض المشاكل التى يتعرض لها المصريون والعرب والتى من بينها ممارسات عصابات الاستيلاء على الأملاك من أراض ومساكن.

●●●

بعد انتهاء زيارتنا الودية لمحافظ مسندم أخذنا مدير مكتبه إلى الميناء الذى مازال فى طور الانشاء حيث كان فى انتظارنا لنش حديث جاهز للابحار بنا فى مياه مضيق هرمز بشهرته العالمية والإعلامية ومع بداية انطلاق اللنش بسرعته العالية جدا والتى جعلته يطير فوق الماء والأمواج قال لى قائده أن عرض المضيق فى بعض أجزائه فى حدود ٦٠ كيلو مترا وأن عمقه لا يتجاوز الستين مترا وأن الجزء الصالح للملاحة منه يقع داخل المياه الاقليمية العمانية بينما الجزء الواقع فى المياه الايرانية على الجانب الآخر غير صالح تماما لمرور السفن على هذا الأساس فإن سلطنة عمان تتحمل مسئولية تنظيم حركة النقل البحرى فى المضيق وفقا للاتفاقيات الدولية التى تؤمن المرور السالم دون المساس بالسيادة على المياه الإقليمية ورغم شدة حرارة الهواء الذى تعرضنا له بينما يشق اللنش طريقه بسرعته الهائلة وسط المياه المحيطة بالجبال

الشامخة من كل جانب إلا أننا لم نكن نشعر بشيء انبهارا بالمناطق التى حولنا وكلها مثيرة للرهبة والقوة كنا وحدنا وسط مياه المضيق إلا من بعض قوارب الصيد.. كما كانت تقابلنا من وقت لآخر مجموعة من القوارب البخارية الصغيرة السريعة فى طريقها من شاطئ عمان إلى الشاطىء الايرانى. عندما سألت عنها قالوا لى أنها تحمل بضائع من عمان وجارتها امارة رأس الخيمة بدولة الامارات العربية المتحدة التى تتداخل حدودها مع حدود محافظة مسندم إن معظم هذه البضائع من الأجهزة الالكترونية التى يعانى السوق الايرانى من النقص فيها طبعا لاتوجد أى قيود على انتقال التجارة بين عمان ودبى ورأس الخيمة وبين إيران سواء بطرق مشروعة أو غير مشروعة.

الحلم يتحول إلى حقيقة

تبقى *٤ أيام فقط على بدء مهرجان السياحة والتسوق لأول مرة فى مصر. وهكذا تحول الحلم إلى حقيقة حيث تضافرت الجهود المخلصة فى الاعداد لهذا العمل الكبير الذى سيكون فتحا للدخول فى مجال المهرجانات السياحية ذات العائد الاقتصادى الواسع.*

كان الاجتماع الأخير قبل الموعد المحدد للافتتاح للجنة العليا للاعداد لهذا المهرجان بحضور الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة والدكتور محيى الدين الغريب وزير المالية والدكتور أحمد جويلى وزير التجارة ومحافظى الجيزة والبحر الاحمر المستشار ماهر الجندى واللواء سعد أبو ريده تمت مراجعة كل الخطوات والاجراءات والتأكد من أن كل شيء على ما يرام وبصراحته المعهودة قال الدكتور جويلى: إن الإعلام عن المهرجان فى التليفزيون - وهو مناسبة قومية هامة - ليس كافيا وأشار إلى أنه يرجو من المسئولين عن هذا الجهاز الإعلامى الخطير بما له من دور ومسئولية وطنية أن يكثف من دعمه ومساندته للمهرجان بما يضمن نجاحه.

●●●

اعمالا للمثل الذى يقول: «اللى تخاف منه مفيش أحسن منه» فقد استقبلت تصريحات الدكتور محيى الغريب وزير المالية حول اتخاذ اجراءات الاعفاء الضريبى لمشتريات السياح وللحفلات التى ستقام خلال المهرجان بكل الترحيب من جانب

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٦/٧/١٩٩٨.

أعضاء اللجنة العليا أن هذه الخطوات من جانب وزارة المالية لا يمكن أن يتحقق نجاح مهرجان التسوق بدونها ولضمان حل المشاكل المتوقعة أثناء المهرجان فقد تقرر أيضا اقامة غرفة عمليات فى وزارة المالية بالاضافة إلى غرفة عمليات عامة فى مركز المؤتمرات بمدينة نصر ومنسق عام للمهرجان اختير له اللواء فتحى طايل مساعد وزير الداخلية.

●●●

وخلال الاجتماع أعلن الدكتور عبدالمنعم سعودى رئيس جهاز تنفيذ مهرجان التسوق أن فرص نجاح مهرجان التسوق فى أول تجربة له أصبحت كبيرة خاصة أن عدد المشتركين من المحلات التى تبيع المنتجات المصرية قد ارتفع إلى ٩٠٠ مشترك فى كل من القاهرة والغردقة وهما المدينتان اللتان ستشهدان أحداث المهرجان أشار إلى أن معظم المحلات قد بدأت تعلق شعار المهرجان كما ذكر الوزير أحمد جويلى أن أجهزة وزارة التجارة ستمارس مسئولياتها فى فرض رقابة شديدة على المحال المشاركة فى المهرجان وقد اتفق وزراء السياحة والمالية والتجارة على أن المصداقية فى كل ما أعلن عنه سوف تكون أساس التعامل خلال شهر المهرجان.

●●●

وخلال الأيام القليلة القادمة من المفروض أن تتغير صورة القاهرة والغردقة لترتديا ثوبا جديدا يعطى صورة مبهجة لزوارهما بالزينات والاضواء. كما أعلن محمد عثمان نائب رئيس غرفة السياحة أن مجموعات الاستقبال جاهزة للترحيب بسياح مهرجان التسوق فى مطارى القاهرة والغردقة وفى السلوم ونويبع كما وافق المهندس محمد فهيم ريان رئيس مصر للطيران على أن تقوم مكاتب مصر للطيران بتوزيع شعار المهرجان على ركابها لوضعه على الحقائب من أجل ضمان المعاملة المميزة من الجمارك وكل أجهزة المنافذ.

إن كل أملنا أن ينجح مهرجان التسوق الذى بدأ بفكرة «بالأخبار» تبناها وزير السياحة ليصدر قرار تنفيذها من مجلس الوزراء برئاسة الدكتور الجنزورى.

إنشاء أول طريق برى لربط هرمز بمدن السلطنة

خلال رحلتى إلى مضيق هرمز اكتشفت على الطبيعة كما كبيرا من المعلومات عن هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة من بين ما سمعته أن السفن والقوارب كانت وسيلة الاتصال الوحيدة بين مدن سلطنة عمان ومنطقة مسندم الاستراتيجية على مدى مئات السنين بل آلاف السنين حتى قرر السلطان قابوس مد يد الاصلاح إليها ضمن خطة التطوير الشامل للبلاد وبعد انشاء مطار خصب ودباء تم اعداد طريق حديث جدا ـ ٢٨ كيلو مترا وسط الجبال ـ لربط مسندم بباقى السلطنة عبورا بامارة رأس الخيمة فى دولة الامارات، إن هذا الطريق الاستراتيجى سوف تكون له آثار اقتصادية هائلة فى تنمية وتطوير هذه المنطقة وهو ما بدأت بوادرها بارتفاع ايجارات المحلات من ٣٠ ريالا (الريال حوالى ٣ دولارات) إلى ٣٠٠ ريال وفقا لما ذكره لى المحافظ إن كل الامكانيات متوافرة فى ميناء خصب لتحول إلى ميناء حر واقامة صناعات وخدمات السفن وتجارة الترانزيت.

وإذا كان عرض مضيق هرمز فى معظم أجزائه ستين كيلو مترا حيث تحده الجبال الصخرية من جانبه العمانى الذى شاهدته فقد ذكر لى قائد اللنش وهو أحد العاملين العمانيين فى ميناء خصب أن طوله فى حدود ٤٠ كيلو مترا داخل المياه الاقليمية العمانية والايرانية بالاضافة إلى بعض الأجزاء فى امارة رأس الخيمة الاماراتية.

●●●

استغرقت جولتى داخل مياه مضيق هرمز حوالى ثلاث ساعات قطعنا خلالها ما يقرب من الثمانين كيلو مترا. إن بعض المياه التى أبحرنا فيها كانت هادئة بلا أمواج خاصة الدافقة داخل الخلجان الجميلة المنتشرة فى المنطقة بينما كنا نشعر بارتفاع الأمواج وشدتها فى مناطق أخرى نتيجة ارتطام القارب بسرعته العالية بها نزولا وهبوطا. الشىء الذى أستطيع أن أقوله أننى لم أشعر خلال ابحارى فى هذا المضيق ذى الشهرة العالمية بأى شىء غير عادى حولى سوى الرهبة والمناظر الخلابة والهواء الساخن المصطدم بوجوهنا والذى كان له أثر الشمس على بشرتنا أننا ورغم الساعات

الثلاث التى أمضيناها فى الخليج لم تتح لنا فرصة مشاهدة أى سفينة من السفن التجارية الكبيرة وعدنا إلى الميناء سعداء بجولتنا البحرية ومنه إلى الفندق حيث كانت حاجتنا ماسة لراحة وفى المساء دعانا المحافظ إلى منزله حيث كانت جلسة جامعة لتناول الشاى والقهوة والفواكه الطازجة والأحاديث الشائقة عن كل شىء.

وفى اليوم التالى قمنا بجولة فى السيارة داخل مدينة خصب التى تموج بالحياة رغم قلة عدد سكانها وعند الظهر كان موعد اقلاع طائرة الطيران العمانى الصغيرة إلى العاصمة مسقط. نعم لقد أحسست بالنشوة والانبهار بعد الزيارة التى قمت بها لمضيق هرمز حيث أتيحت لى الفرصة لتلبية نزعة حب الاستطلاع التى هى من أهم ركائز مهنة صاحبة الجلالة الصحافة.

ووجدنا الفيل فى سفارى كينيا !!

***رغم** ظروف الحياة الصعبة التى تعانى منها معظم الدول الافريقية باعتبارها من دول العالم الثالث.. فإنها تملك كل مقومات النهوض والانطلاق نحو الرخاء ان الأراضى الافريقية هى مصدر معظم المواد الأولية للغذاء والصناعات فى كثير من الدول المتقدمة.*

وخلال سنوات الاستعمار الطويلة استنزفت دول الاحتلال موارد افريقيا لصالح رفاهية شعوبها الأوربية.

وبعد الاستقلال عقدت هذه الدول المتقدمة حلفا غير معلن يضمن لها الحصول على كل احتياجاتها من المواد الأولية بأبخس الأسعار.. لتقوم بتصنيعها بعد ذلك واعادة تصديرها للشعوب الافريقية بأعلى الأسعار.

ونتيجة لهذا السلوك الانانى غير العادل من الدول المتقدمة فإن الكثير من شعوب أفريقيا تعانى من انخفاض مستوى المعيشة ومعدلات التنمية. وخلال السنوات الماضية أضافت الطبيعة مزيدا من الأعباء والمعاناة على الإنسان الأفريقى حيث توقف هطول الأمطار.. فاحترقت الغابات، وماتت قطعان البقر والأغنام وقد عايشنا نحن فى مصر باعتبارنا دولة أفريقية بعضا من هذه المعاناة عندما تأثرت موارد نهر النيل العظيم وانخفض المخزون المائى خلف السد العالى.

●●●

نشرت بجريدة «الأخبار» ٥/١٠/١٩٨٩.

ومع كل هذه الظروف فإن مشاهدة وزيارة بعض الدول الأفريقية مازالت تمثل متعة بالنسبة لنا كأفريقيين من الشمال وقمة المتعة بالنسبة للزوار من كل دول العالم الأخرى وتعد كينيا مركز سياحة السفارى رقم واحد فى العالم وتقوم هذه السياحة على تنظيم رحلات لزيارة الغابات ومشاهدة الحياة البرية فيها وإذا كانت كينيا تشتهر بزراعة البن والشاى والسيزار الذى يستخدم فى صناعة الحبال ويدخل فى بعض الصناعات .. إلا أنه وكما ذكرت فإن أسعار هذه المواد مازالت تحت رحمة الدول المتقدمة التى تحدد سعرها، بما يحقق مصالحها، ولعل الدليل على هذه الحقيقة ما حدث لأسعار البن فى الأسواق العالمية حيث هبطت هذه الأسعار مما أدى إلى انخفاض كبير فى عائدات الكثير من دول أفريقيا ودول أمريكا اللاتينية وجميعها من الدول النامية، لهذا السبب كان لابد أن تحظى السياحة بأكبر اهتمام فى دولة مثل كينيا لمواجهة الاحتياجات الاقتصادية خاصة بعد أن أصبحت سوقا سياحيا يجذب نوعية جديدة من السياحة هى سياحة السفارى.. أى التجول فى الغابات الطبيعية لمشاهدة الحيوانات التى تعيش فيها.

●●●

وخلال السنوات العشر الماضية حققت صناعة السياحة فى كينيا خطوات رائعة حتى احتلت المكانة الأولى فى الدخل القومى. وتقول الاحصائيات أن السياح الذين زاروا كينيا عام ١٩٨٨ قد بلغ عددهم ٧٥٠ ألف سائح حققوا دخلا يقدر بحوالى ٥٠٠ مليون دولار وفقا لمعدلات الانفاق السياحى المتعارف عليه وتشير هذه الاحصائيات أن الألمان يحتلون المرتبة الأولى فى عدد السياح (١٢٠ ألف سائح) يليهم البريطانيون (٨٠ ألف سائح) ثم الأمريكيون (٦٠ ألف سائح) ويقول المسئولون عن التخطيط السياحى فى كينيا أنهم يعملون حاليا للوصول بعدد السياح إلى مليون سائح خلال السنوات الثلاث القادمة.

وحتى يحققوا هدف المليون سائح فإن المسئولين عن السياحة الكينية يتحركون لفتح الأسواق الجديدة وتنمية الأسواق الحالية. وتشمل خطتهم حاليا غزو السوق اليابانية.. بعد أن قامت بعض الشركات السياحية بتنظيم رحلات لعدد من الافواج السياحية اليابانية ولاقت برامجها نجاحا كبيرا وتفكر أجهزة السياحة الكينية فى ارسال

عدد من الوفود إلى السوق اليابانية لاجراء الاتصالات اللازمة بالاضافة إلى المشاركة فى المعارض السياحية اليابانية «الجاتا» التى سوف تقام فى نهاية هذا العام، ويقول الكينيون أن السائح اليابانى يقبل بفهم على شراء المنتجات الأفريقية وأنه ينفق مبالغ كبيرة جدا على مشترياته مما يمثل عائدا اضافيا للسياحة.

●●●

وهناك فى كينيا مناطق كثيرة لرحلات السفارى .. ولكن أهمها وأمتعها تلك التى تقع فى الجنوب على الحدود المشتركة مع تنزانيا وتسمى بمنطقة «سفارى أمبوسيلى» ثم «سفارى نجورو نجورو» وكلاهما قرب جبال كليمنجارو أعلى جبال أفريقيا وتتميز هذه المنطقة بالخضرة لوفرة الأمطار بعكس مناطق الشمال التى تعانى أحراشها من الجفاف ولذلك ذهب عنها اللون الأخضر الذى يضيف جمالا وجاذبية لما حوله.

وقد شاءت ظروف رحلتنا ألا نتمكن من زيارة منطقة الجنوب الغنية بالحياة البرية وبالخضرة اليانعة.. تضمن البرنامج زيارة منطقة «سفارى سمبارو» فى الشمال ورغم الجفاف الذى أدى إلى تحول الغابات إلى أحراش «السافانا» التى كنا نقرأ عنها فى كتب الجغرافيا فقد أتيحت لنا مشاهدة مجموعات من الحيوانات، منها.. الفيلة والزرافة والنعامة والغزلان والقرود والحمار الوحشى والأسود ونوعيات كثيرة من الطيور.

ولكن إلى جانب متعة مشاهدة الحيوانات فى سفارى كينيا فإن هناك متعة أخرى تتعلق بالاقامة فى الفنادق التى أقيمت على نظام البنجلوز «الشاليهات» وتتفق عمارتها مع البيئة المحيطة بها.. حيث يتم بناؤها من الخشب وجذوع الشجر بطريقة جميلة ومنسقة للغاية كما أحيطت هذه الفنادق بغابات من الأشجار وبالبحيرات الطبيعية والصناعية التى جعلت منها مكانا مريحا للأعصاب وقضاء الاجازات. والشىء المثير فى هذه الفنادق أن كل شىء ميسر تماما بالنسبة للأطعمة.

ان أغلبية هذه المشروعات الفندقية أقامها البريطانيون والأجانب أثناء فترة الاحتلال.. ولكن هناك أيضا العديد من المشروعات الجديدة تمت اقامتها فى السنوات الأخيرة ولا تقل روعة عن القديمة.

لقد كان الخبير السياحي محمد عثمان منظم برنامج الزيارة الإعلامية أسعد أعضاء الرحلة.. بعد أن أتيحت للجميع مشاهدة الحيوانات. لقد كان فى كل مرة يظهر لنا فيها حيوان فى الغابة يأتى إلى سعيدا ليطمئن إذا كنت قد شاهدته أم لا اننى أعتقد أن دافعه إلى ذلك راجع إلى أحداث ذكرى رحلة مماثلة نظمها لنا عام ١٩٧٩ أى منذ ١٠ سنوات إلى كينيا ولم تتح لنا أى فرصة خلالها لمشاهدة أى حيوان.. ويومها كتبت مقالا ساخرا بعنوان «البحث عن فيل فى سفارى كينيا» وحتى أكون عادلا قررت أن أجعل عنوان مقال رحلة هذا الأسبوع.. «ووجدنا الفيل فى سفارى كينيا»!!

ومازلت أحلم بشجرة .. أمس واليوم وغدا !!

***خلال** الرحلات الخارجية قد لايسمح الوقت بالبحث والاستقصاء عن الأحوال الاجتماعية بغرض المعرفة أو الكتابة الصحفية ولكن فى بعض فترات التواجد بالفندق سواء بين مواعيد اللقاءات أو الزيارات التى يتضمنها البرنامج قد تتاح فرصة الحصول على كثير من المعلومات من خلال التليفزيون المحلى.*

وإذا كنت من هواة التعمق فى القراءة والمعرفة فإنه يمكنك أن تقوم بجولة فى المكتبة الموجودة بالفندق لاختيار بعض الكتب الغنية بالمعلومات المطلوبة لاستخدامها بجانب المشاهدة الميدانية فى توسيع مجالات الكتابة ولاشك أن أدب الرحلات أصبح من أجمل الهوايات والمتع التى يمارسها أى كاتب.. بالاضافة إلى أن الكتابة عن الرحلات تلقى اهتماما ورواجا بين قطاعات كبيرة من القراء المتعطشين إلى السفر.. الباحثين عن الاثارة والمعرفة.

●●●

ورغم أن الاجازة التى أمضيناها فى كينيا فى الرحلة الإعلامية التى نظمها الخبير السياحى محمد عثمان بمشاركة ومساهمة مصر للطيران لم تتجاوز مدتها أربعة أيام.. إلا أننى استطعت أن أحصل من خلال برامج التليفزيون فى الفترات القصيرة التى كنت أتواجد فيها بحجرتى بالفندق على رءوس موضوعات هامة مثيرة، وقد فتحت هذه المعلومات شهيتى إلى ممارسة مهنتى الصحفية فى التحقيق وطرح الأسئلة للالمام بالجوانب المختلفة لبعض هذه الموضوعات.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٩/١٠/٢٢.

كان من بين ما أثار انتباهى فى التليفزيون الكينى الإعلانات المتكررة المتضمنة الدعوة إلى اقامة الأسرة تحت شعار «استقرار المجتمع»، وشملت هذه الدعوة تشجيع أبناء كينيا على الزواج مع تنظيم الأسرة بعدم التجاوز فى عدد الأبناء. وعندما سألت عن حكاية هذا الإعلان.. علمت أن هناك عزوفا من الشباب عن الزواج الرسمى فى كينيا.. وأن معظم الشباب يفضلون الزواج بصورة غير رسمية إلى أن تقوم الزوجة بالانجاب فيتم الزواج الرسمى وبالطبع فقد أدى هذا الوضع غير السليم أخلاقيا ودينيا إلى أن عددا كبيرا من الشباب لا يقوم باتمام الزواج حتى بعد أنجاب زوجته غير الرسمية.. ترتب على ذلك وجود عدد كبير من الأبناء الذين لاتوجد لهم شهادات ميلاد أو أى صفة رسمية. وهذه المشكلة الخطيرة التى تعانى منها كينيا والتى تحولت إلى نداءات فى التليفزيون لا وجود لها فى مناطق تجمعات المسلمين فى أقليم «ممباسا» على المحيط الهندى بجنوب شرق كينيا.

●●●

وأثناء جولتنا فى سفارى «سمبارو» لمشاهدة الحيوانات البرية حرة وبلا أى قيود.. لاحظنا وجود بعض السكان المحليين يعيشون داخل هذه الغابات وعندما تساءلت عن كيفية ممارستهم لحياتهم دون أخطار.. قالوا لى أنهم تعودوا على هذه الحياة وتكيفوا مع أخطارها، وذكر لى بعض المرافقين الكينيين أنه لا يمر شهر إلا ويقع حادث يتعرض فيه بعض هؤلاء السكان للهجوم من الحيوانات المتوحشة التى تلتهمه فى دقائق قليلة.. ولكنهم قالوا لى أن الكثير من الحيوانات التى تعيش حولهم.. قد تعودت عليهم أيضا ولا تهاجمهم إلا فى حالة الجوع وعدم توافر ما تأكله من حيوانات الغابة.

ومعظم الحيوانات البرية تتجمع حول مياه البحيرات والأنهار من أجل الحصول على حاجتهم من الماء وهى نفس مناطق الجذب للإنسان أيضا وفى مناطق الشمال ونتيجة لحالة الجفاف التى مازالت مستمرة حتى الآن .. فإن اللون الأخضر لا يتوافر إلا فى مناطق البحيرات والأنهار.. أما باقى الغابات والتى تعتمد على الأمطار الشحيحة جدا هذه الأيام.. فإنها تحولت إلى أحراش جافة تعانى من هجرة الحيوان

والإنسان وبالطبع فإنه شيء غريب فى بلد استوائية مثل كينيا أن يختفى اللون الأخضر من بعض مناطقها ولكن إذا كانت مناطق الشمال تعانى من الجفاف واختفاء الخضرة.. فإن الجنوب مازال ينعم باللون الأخضر الذى جعله أكثر ثراء بالمواد الغذائية وبالحيوانات أيضا سواء كانت غير المتوحشة أو المتوحشة.

وقالوا لى أن السبب هطول الأمطار.. وسبحان الله الذى يمنع المطر فى مكان ويسمح به فى مكان آخر فى نفس البلد.. انها حكمة الله.

●●●

وبمناسبة الحديث عن اللون الأخضر الذى أعشقه والذى أصبحنا لا نجده فى مصر إلا فى ريفنا الجميل.. فإنه يتواجد فى كينيا أنواع عديدة من النباتات والأشجار والأزهار المتنوعة إلى جانب المحاصيل التى تتميز بها المناطق الاستوائية. وقد أثارت اعجابنا أثناء تلبيتنا لدعوة السفير المصرى محمود عثمان للغداء فى منزله الذى تحيط به حديقة رائعة.. شجرة جميلة تحمل ثلاثة ألوان من الزهور ذات الرائحة القريبة من رائحة الفل المصرى، وسألت أحد المدعوين الكينيين عن اسم هذه الشجرة.. فقال لى أن اسمها «أمس واليوم وغدا» كان معنا فى هذه اللحظة الصديق رمزى زقلمه رئيس غرفة شركات السياحة وأحد عتاة هواية زراعة الزهور والخضرة فى مصر واتفقنا أن نتوجه أثناء عودتنا من رحلة «السفارى» لزيارة أحد المشاتل التى وصفها لنا الضيف الكينى لشراء بعض شتلات هذه الشجرة التى أكد لنا امكانية زراعتها فى مصر.

●●●

وأمضينا يومين فى رحلة السفارى وفى طريق العودة وقرب نيروبى توقفت السيارة الميكروباس التى كانت تقلنى مع الصديق رمزى زقلمه والصديق حمدى الشامى وكيل أول وزارة السياحة أمام المشاتل. ونزل خبير الزراعة رمزى زقلمه وسأل عن «شتلة» شجرة «أمس واليوم وغدا» وأخبرنا صاحب المشتل أنها غير متوافرة عنده.. ووصف لنا «مشتلا» بعيدا لنحصل منه على بغيتنا وبعد أن اشترى زقلمة بعض الشتلات الأخرى وكان لابد من التوجه إلى الفندق حيث كنا على موعد للغداء

بدعوة من احدى الهيئات الكينية واضطررنا ألا نذهب إلى المشتل ولم نحصل على شتلة الشجرة الجميلة ذات الثلاث زهور والثلاثة ألوان «أمس واليوم وغدا» ولم تتح لنا أى فرصة أخرى للذهاب إلى هذا المشتل حيث كان مقررا أن نغادر نيروبى فجر اليوم التالى إلى القاهرة، وظللت طوال رحلة العودة وحتى الآن أحلم بشجرة «أمس واليوم وغدا».

●●●

وليس الجفاف هو مشكلة أفريقيا بشكل عام وكينيا بشكل خاص.. وأنما هناك مشكلة الأمن الداخلى ورغم أن كينياتعتبر بالنسبة لكثير من دول أفريقيا أكثر حظا بالنسبة للأمن إلا أن هذه المسألة تعتبر نسبية وقد سمعت عن السرقات التى تجرى فى الشوارع للسياح وللأجانب المقيمين.. كما تتعرض منازل الدبلوماسيين لعمليات سطو منتظمة وقد تعرضت بعض البنوك لعمليات سرقة مسلحة وقد حكى لى بعض الدبلوماسيين المقيمين ما تعرضوا له خلال رحلة «سفارى» خارج نيروبى كانوا مجموعة من السيارات وفقا للتعليمات الصادرة لتوفير الحماية لبعضها البعض وقد تعطلت السيارة الأخيرة فى مجموعة هذه السيارات نتيجة انفجار اطارها مما أدى إلى توقفها دون أن تلحظ ذلك باقى السيارات.

وعندما نزل ركابها وهم اثنان من الدبلوماسيين ومعهما أولادهما لتغيير «الاطار» .. فوجئوا بثلاثة من الكينيين يهددونهم بالخناجر والسكاكين طالبين منهم ما معهم من أموال وحلى وتعلل أحد الدبلوماسيين بأنه سيحضر لهم محفظته من السيارة .. ولكنه فى الحقيقة أحضر سيفا كان يضعه تحت الكرسى الأمامى.. وهرب اللصوص الثلاثة عندما شاهدوا السيف.. ولكنهم كانوا قد حصلوا من الدبلوماسى الآخر على كل ما معه بما فى ذلك ساعته ووقف الدبلوماسى شاهرا سيفه متحفزا ينظر يمينا ويسارا بينما زميله يكمل تغيير «اطار» السيارة حيث أسرعوا للحاق بباقى السيارات التى كانت قد توقفت عن السير عندما شعر من فيها بتخلفهم ويقول الدبلوماسى أنه قام بهذه المخاطرة وهو لا يعرف نتائجها.. وأنه إذا لم يكن قد فعل ما فعل.. لكان قد عاد هو وزميله وباقى أسرته مجردين من كل ما يملكون بما فى ذلك ملابسهم.

وحمدت الله على أننى لا أعيش فى كينيا وأننى أعيش فى مصر حيث يستطيع أى مواطن أو سائح أن يسير فى شوارع القاهرة أو أى شارع فى أى مدينة أو قرية.. طوال الليل وحتى الصباح وهو يشعر بالأمن والأمان.. انها ولاشك ميزة فريدة تستحق منا كل الشكر والتقدير لجهاز الأمن فى مصر.

صراع مع الوقت فى رحلة إلى القارة السادسة !!

شاءت *الظروف طوال السنوات الماضية أن تتاح لى فرصة زيارة قارات الدنيا باستثناء قارة استراليا الواقعة فى الجانب الجنوبى من الكرة الأرضية. لقد زرت معظم الدول بالقارة الأوروبية وعدة دول فى قارة آسيا وكذلك فى أفريقيا بالإضافة إلى الولايات المتحدة فى قارة أمريكا الشمالية وكل من المكسيك والبرازيل فى أمريكا اللاتينية.*

على مدى هذه السنوات دعيت أكثر من مرة لزيارة استراليا لحضور بعض المؤتمرات ولكن دائما وفى آخر لحظة كانت تظهر عقبة ما تدفعنى إلى عدم السفر وفى العام الماضى وخلال تواجدنا فى اسطنبول بتركيا للمشاركة فى المؤتمر السنوى لمؤتمر اتحاد مجالس الصحافة فى العالم دعا الوفد الاسترالى لعقد مؤتمر هذا العام فى مدينة برسبين على بعد ساعة ونصف الساعة بالطائرة من مدينة سيدنى التى تمتد شهرتها بين المدن الاسترالية من أهميتها الاقتصادية.. وللمعلومات العامة فإن عاصمة استراليا كانبيرا وليست سيدنى.

●●●

وعندما اقترب موعد المؤتمر الذى حدد له أيام ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من شهر يونيو الماضى بدأت تظهر فى الأفق بعض العقبات التى كانت توحى بأن الله لايريد تحقيق أمنيتى بزيارة القارة السادسة.. جاءت البداية مع تداخل موعد المؤتمر مع موعد زيارة الرئيس مبارك لواشنطن وضرورة مشاركتى فى تغطيتها صحفيا.

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩٩/٧/١.

لحل هذه المشكلة ولكسب الوقت بما يحقق الجمع بين حضور المؤتمر ومهمة تغطية زيارة الرئيس قمت بضم تذكرة السفر الخاصة باستراليا إلى تذكرة رحلة الولايات المتحدة على أساس التوجه مباشرة من سيدنى بعد انتهاء المؤتمر إلى لوس أنجلوس عبر المحيط الباسفيكى ومنها إلى واشنطن. كان مقدرا لهذه الرحلة أن تستغرق ٢١ ساعة من الطيران المستمر باستثناء ساعتين توقف فى لوس أنجلوس، وبحكم خبرتى الطويلة فى شئون السفر والطيران فقد وجدت أن هذا الطريق يوفر ما يقرب من ١٤ ساعة وهى زمن الرحلة من مصر إلى واشنطن عن طريق نيويورك إذا ما قررت العودة من سيدنى إلى القاهرة.

●●●

ولأن كل ما يتمناه المرء لايلقاه كما يقال وكما يحدث فى كثير من الأحيان فقد ظهرت وقبل السفر بـ ٢٤ ساعة عقبة جديدة هددت بإلغاء رحلة استراليا تجسدت هذه العقبة فى ضرورة وجودى فى القاهرة لحضور انتخابات نقابة الصحفيين المقرر إجراؤها فى نفس موعد السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأمام هذا الموقف اضطررت لإلغاء موعد سفرى الذى كان يتيح لى فرصة للراحة بالتوقف فى بانجكوك ليوم واحد وفى سنغافورة ليوم آخر قبل التوجه إلى سيدنى ثم برسبين كان خط الرحلة بهذا الشكل أمرا ضروريا لتعويد الجسم وساعته البيولوجية على فرق التوقيت الذى كان يتزايد على مدى الرحلة ليصل إلى ٧ ساعات بالزائد بعد الوصول إلى استراليا.

ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولاختصار أيام الرحلة قررت أن أتوجه مباشرة من القاهرة إلى سيدنى بطائرة مصر للطيران فى رحلة استغرقت ١٩ ساعة من الطيران المستمر مع التوقف لمدة ساعة واحدة فى سنغافورة.

كان معى على الطائرة الزميل الصديق صلاح منتصر وكيل المجلس الأعلى للصحافة الذى يشاركنى حضور مؤتمر برسبين.

وللتغلب على هذه الساعات الطويلة محبوسا داخل الطائرة أعطانى صلاح نصف حبة لمساعدتى على النوم وهو ما حدث بالفعل حيث نمت ولأول مرة خمس ساعات

متتالية فى المسافة بين سنغافورة وسيدنى لقد كنت أتناول فى مثل هذه الرحلات الطويلة نوعا من الأدوية المهدئة ولكن تأثيرها لم يكن يسمح لى بالنوم لأكثر من ساعتين على الأكثر وهو الأمر الذى جعلنى أنبهر بسحر حبوب منتصر.

●●●

ووصلنا سيدنى فى الساعة السابعة صباحا ـ الثانية عشرة من منتصف ليل اليوم السابق فى القاهرة ـ لنجد فى انتظارنا قنصلنا العام فى سيدنى السفير عاصم رمضان ومحمد منير المدير الإقليمى لمصر للطيران وكمال الفخرانى مدير المحطة، توجهنا إلى الفندق وكلنا أمل فى التمدد على السرير حيث لم أكن قادرا على صلب طولى بعد تلك الساعات الطويلة من القبوع داخل كرسى الطائرة وبعد يوم ونصف اليوم فى هذا الميناء التجارى الرئيسى لاستراليا أخذنا الطائرة إلى برسبين وهى ميناء آخر على الباسفيك وبعد انتهاء المؤتمر عدنا مرة أخرى إلى سيدنى حيث توجهت إلى سنغافورة وحدى بينما قرر الزميل صلاح منتصر أن يبقى يومين وللوصول إلى القاهرة دارت اتصالات ومشاورات فى مكتب مصر للطيران من أجل ضمان سفرى إلى القاهرة فى أسرع وقت بما يضمن تواجدى قبل انتخابات نقابة الصحفيين وتم تغيير خط سير الطائرة ليمر على دبى ترانزيت لأربع ساعات ومنها إلى القاهرة لقد استغرقت رحلة العودة من سيدنى إلى القاهرة ٧٢ ساعة تخللها ٣٦ ساعة توقف فى سنغافورة لتربيط مواعيد السفر بالطائرات.

وهكذا نجحت والحمد لله فى الوصول إلى القاهرة قبل موعد انتخابات نقيب الصحفيين وأعضاء مجلس النقابة بـ ٤٨ ساعة.. راجيا من الله أن يوفقنا نحن الصحفيين فى اختيار خير من يمثلنا بما يبرر العلقة التى تعرضت لها باصرارى على تحقيق أمنيتى بزيارة استراليا.

أيـام قليلـة .. فـى دولـة الكـانجــــرو

عندما *تركنا القاهرة فى بداية الأسبوع الأخير من شهر يونيو الماضى كان الجو حارا جدا حيث تجاوزت الحرارة الـ ٣٩ درجة.. ولكن عندما وصلنا سيدنى ثم برسبين فى استراليا لحضور مؤتمر اتحاد مجالس الصحافة فى العالم بعد رحلة استغرقت ٧٢ ساعة وجدنا الشتاء فى انتظارنا حيث الأمطار وحرارة لا تزيد على ١٥ درجة مئوية. إن فصول السنة على عكس مصر حيث يبدأ الصيف فى شهر ديسمبر وينتهى فى فبراير ليبدأ الخريف فى مارس حتى مايو والشتاء من يونيو إلى أغسطس ليأتى بعد ذلك الربيع من سبتمبر حتى نوفمبر وتعد شهور يناير وفبراير ونوفمبر أكثر الشهور حرارة على مستوى استراليا.*

إن عمر الحياة الحديثة فى قارة استراليا التى تصل مساحتها إلى ٧و٧ مليون كيلو متر مربع - سبعة أضعاف مساحة مصر - ٢١١ عاما فقط. أنه تاريخ يرتبط بحملات الاستيطان الأوربى التى بدأت عام ١٧٨٨ بأسطول يضم ١١ سفينة عليها ١٠٣٠ شخصا منهم ٧٣٦ من السجناء البريطانيين الذين كانوا نواة سكان مدينة سيدنى وعلى مدى هذه السنوات من عمر القارة السادسة تزايد عدد السكان بالنمو الذاتى والهجرة ليصل حاليا إلى ما يقرب العشرين مليون نسمة فقط!!

وتتركز الحياة السكانية فى هذه القارة الشاسعة على السواحل فى أكبر ١٠ مدن أهمها سيدنى وملبورن والعاصمة كانبيرا وبرسبين وبيرث وداروين. أن أندونيسيا هى

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩٩/٧/٨.

أقرب الدول إلى استراليا حيث تبعد سواحل جزرها المطلة على المحيط الهندى عن داروين ساعتين بالطائرة ونتيجة لهذا القرب فإن هناك عشرات الآلاف من الأندونيسيين الذين تضيق بهم بلدهم (٢٠٠ مليون نسمة) يقومون بمحاولات مستمرة للهجرة غير المنظمة إلى السواحل الاسترالية فى قوارب صغيرة وهو ما يعرضهم لخطر الموت غرقا أو القبض عليهم بواسطة رجال السواحل الاسترالية.

●●●

أن بعض دراسات التاريخ القديم تقول أن سكان استراليا الأصليين قدموا إليها من آسيا منذ حوالى ٣٨ ألف سنة من ناحية أخرى فإن هناك من يقول أن هؤلاء الناس انتقلوا إلى استراليا برا حيث يعتقد أنه كان هناك جسر أرضى يربطها بأسيا.. ويرى بعض المؤرخين الجغرافيين أن هؤلاء السكان استخدموا العوامات والقوارب فى عملية انتقالهم. لقد قدر عدد هؤلاء السكان وقت بدء الاستيطان الأوربى بحوالى ٣٠٠ ألف نسمة بينما يقدر العدد حاليا بـ ٢٠٠ ألف نسمة بنسبة ١٪ من تعداد سكان استراليا.

إن نصف هؤلاء السكان الأصليين يعيشون حاليا فى المدن الاسترالية بينما يعيش الكثيرون منهم عيشة قبلية فى المناطق النائية وهو ما يجعل وضعهم يشبه إلى حد بعيد جماعات الهنود الحمر فى القارة الأمريكية.

●●●

إن استراليا القارة هى سادس دولة فى العالم من حيث المساحة بعد الاتحاد السوفيتى وكندا والصين والولايات المتحدة والبرازيل وتتبع استراليا التاج البريطانى حيث يتولى شئون الرئاسة فيها حاكم معين من قبل الملكة ويبدو أن هذه التبعية فى طريقها إلى الزوال بعد الاستفتاء الذى سيتم اجراؤه فى العام القادم حول التبعية للتاج البريطانى أو قيام جمهورية مستقلة وتقول الدوائر الاسترالية أن الشعب الاسترالى فى طريقة لوداع تبعية دولته للتاج البريطانى بعد حوالى ٢١١ عاما من اكتشاف المغامرين البريطانيين لقارتهم. وباستقلال استراليا تكون أكبر مساحة أرضية تابعة للتاج البريطانى قد انسلخت عنه وأن كان من المتوقع أن تستمر بعد ذلك عضوا فى

الكومنولث البريطانى الذى لم يعد سوى مظهر فارغ للامبراطورية البريطانية التى أفل نجمها تماما منذ أواخر منتصف القرن العشرين.

●●●

وفيما يتعلق بمصادر الثروة فى استراليا فإننا فى مصر نعلم أن زراعة القمح وتصديره باعتبارنا من المستوردين له من أهم الحاصلات الزراعية أن الانتاج الزراعى وما يصاحبه من صناعات زراعية كالصوف واللحوم والسكر يمثل ٧٪ من الانتاج بينما يسهم التعدين بـ ٦ ٪ والصناعات التحويلية التى بدأت خلال الحرب العالمية الثانية بحوالى ٢٠ ٪ فى حين يحتل قطاع الخدمات النسبة الباقية من الانتاج وتعتبر استراليا أيضا دولة منتجة لكثير من المعادن والبترول والغاز والفحم والذهب الذى يصل انتاجها منه سنويا إلى ٧٥ طنا وتعد اليابان العملاق الاقتصادى الهائل أهم عميل تجارى لاستراليا حيث تمثل صادراتها إليها ما يقرب من ٣٠٪ من حجم صادراتها الخارجية، كما أن هناك علاقات سياسية وتجارية قوية بين استراليا ودولة نيوزيلنده التى تعتبر مع غينيا الاستوائية ضمن الدول الأقرب إلى استراليا وتعد اليابان والولايات المتحدة الأمريكية ودول رابطة شعوب جنوب شرقى أسيا من أهم الدول المصدرة لاستراليا وهو ما يعنى تراجع حجم التجارة مع بريطانيا الدولة صاحبة السيطرة والهيمنة على هذه القارة منذ اكتشافها.

ان استراليا تملك إلى جانب الثروة الزراعية والتعدينية ثروة هائلة من الحياة البرية الفريدة ساعد على تجمعها العزلة الطويلة عن الحياة الإنسانية إن أشهر الحيوانات والتى كثيرا ما ارتبط فى ذهننا بهذه القارة هو حيوان الكانجرو بالاضافة إلى العديد من الأنواع الأخرى والطيور.

●●●

هذه بعض المعلومات السريعة التى استطعت أن أحصل عليها من خلال زيارتى القصيرة جدا لهذه القارة الشاسعة والتى أرجو أن تتاح لى فرصة زيارتها لعدة أيام حتى أستطيع أن أقول أننى زرت استراليا بحق.

استراليا .. وعالم الهجرة

استكمالا *للمقال الذى كتبته متضمنا جانبا من المعلومات عن قارة استراليا فإنه يهمنى أن أشير إلى أن هناك ثلاث مناطق رئيسية فى العالم مازالت تستقبل مهاجرين جددا وهى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا وكما هو معروف فإن قبول المهاجرين مرتبط بسعة الأرض وقدرتها على استيعاب سكان جدد بالإضافة إلى توافر إمكانيات العمل سواء فى المجالات المهنية أو الأعمال الفنية.*

ولا تمانع المناطق الثلاث فى السماح بالهجرة لأصحاب رؤوس الأموال الذين يملكون قدرا محددا من الأموال بالعملات الحرة بما يمكنهم من إقامة مشروعات استثمارية إنتاجية تتيح فرص عمل لسكان البلد.

وتعتبر قارة استراليا التى تصل مساحتها إلى ٧,٧ مليون كيلو متر مربع فى مقدمة المناطق الثلاث من حيث إمكانيات استيعاب الملايين من المهاجرين حيث لا يتجاوز عدد سكانها كما سبق أن وذكرت فى مقال سابق ٢٠ مليون نسمة.

إن تحليل هذه الأرقام يشير إلى أن كل اثنين ونصف من سكان استراليا يعيشون فى مساحة كيلو متر، بينما هناك دول فى العالم يصل عدد السكان الذين يعيشون على هذا الكيلو متر إلى خانة الآلاف.

●●●

رغم هذه الإمكانيات الهائلة لاستقبال المزيد من المهاجرين بحثا عن فرصة جديدة للارتفاع بمستوى معيشتهم فقد لجأت استراليا إلى الحد من الأعداد الذين

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٩٩/٧/١٥.

تسمح لهم بالهجرة إليها، لقد كان عدد هؤلاء المهاجرين المقبولين سنويا فى حدود ١٢٠ ألفا منذ عدة سنوات ولكن تم خفض هذا العدد تدريجيا ليصل إلى ٣٠ ألف مهاجر فى شكل حصص محددة موزعة على دول العالم.

ان شواطئ استراليا التى تصل إلى ٣٥ ألف كيلو متر تحيط بها من كل جوانبها يجعلها على شكل جزيرة شاسعة تصل المسافة بين شرقها وغربها إلى ٤ آلاف كيلو متر تقطعها الطائرة فى حوالى خمس ساعات.

ونتيجة لانعدام الازدحام لقلة عدد السكان فى هذه المساحة الكبيرة وانخفاض نسبة التلوث وارتفاع معدلات الخدمات الصحية فإن متوسط عمر الإنسان الاسترالى يبلغ حاليا ٧٨ سنة.

●●●

ونتيجة لتخلى المصريين عن نزعة الارتباط بالأرض وعدم الميل إلى الهجرة بدأ المئات منهم ثم الآلاف بعد ذلك يتجهون إلى طلب الهجرة منذ الستينات إلى المناطق الثلاث وتشير الإحصائيات إلى أن النسبة الكبيرة من هؤلاء الباحثين عن فرص جديدة لرفع مستوى معيشتهم هاجرت إلى الولايات المتحدة وكندا حتى وصل عددهم إلى مئات الآلاف، بينما اتجه المئات منهم ليصل الآن إلى عشرات الآلاف إلى قارة استراليا أنها تعتبر أبعد منطقة هجرة من مصر حيث تصل عدد ساعات رحلة الطائرات من القاهرة إلى سيدنى إلى حوالى ١٨ ساعة من الطيران المستمر بدون توقف ويقدر عاصم رمضان، القنصل العام المصرى فى سيدنى العاصمة الاقتصادية لاستراليا عدد المهاجرين المصريين فى استراليا بـ ٧٥ ألف مهاجر نصفهم مولودون فى مصر أما الباقون فقد ولدوا فى استراليا بعد الهجرة إن ٥٠٪ من المصريين المهاجرين يحملون مؤهلات عليا فى علوم الصيدلة والهندسة والطب كما إنهم أيضا عمالة فنية عالية المستوى.

إن حملة شهادة الطب المصرية غير مسموح لهم بمزاولة الطب إلا بعد استكمال دراستهم فى استراليا.

المسئولون فى استراليا يصفون المصريين المهاجرين بأنهم جالية مسالمة وعلى أعلى مستوى من الخبرة والتعليم، وتنتشر فى المدن الاسترالية الرئيسية ٢٢ كنيسة قبطية يعين لهم مطارنة قساوسة من البطريركية القاهرية كما يوجد مسجد ومدرسة أزهرية ومبعوث من الأزهر لرعاية المهاجرين المصريين وأبنائهم ويعانى المصريون فى استراليا من عدم وجود ناد كما يتطلعون إلى إقامة مركز ثقافى مصرى ويقول القنصل العام إن الحكومة الاسترالية على استعداد لمنح الجالية أرضا لإقامة النادى.. ويعد تسيير رحلتين أسبوعيا لمصر للطيران من القاهرة إلى استراليا مباشرة مع التوقف فى سنغافورة من أهم الخطوات التى تم اتخاذها فى السنوات الأخيرة لربط أبناء الجالية المصرية بالوطن.. لقد سهلت هذه الرحلات المباشرة قيام المهاجرين بزيارة بلدهم من وقت لآخر وكذلك قيامهم بدعوة أهاليهم لزيارتهم فى استراليا.

●●●

إن استراليا عالم مثير يجعلك تشعر بالغرابة وأنت تسير فى شوارع مدنها حيث تجد مواطنيها من كل جنس ولون.. فيهم الأبيض والأسود والأصفر والبنى الداكن، اجتمعوا جميعا بالهجرة لتشكيل ما يسمّى بالشعب الاسترالى لقد تحول السكان الأصليون بهذه القارة والمعروفون باسم الأبورجينزى Aborigines مثلهم مثل الهنود الحمر فى أمريكا إلى مجموعات لا يتعدى تعدادهم عشرات الآلاف يعيشون فى أماكن متفرقة منعزلة، ورغم محاولات الحكومة الاسترالية بدوافع إنسانية دمجهم فى المجتمع الاسترالى إلا أن جهودها لم تحقق النجاح المرجو.

مع ليلى المصرية .. فى «أوريجون»

***رغم** أنه قد مضى على اكتشاف الرحالة الأسبانى كريستوفر كولومبوس للقارة الأمريكية حوالى ٥٠٠ عام .. إلا أنها مازالت وحتى الآن ورغم كل التقدم الحضارى والتكنولوجى الذى تحقق لها .. قارة بكرا تزخر بالجديد والغريب حتى بالنسبة لمواطنيها من الأمريكيين.*

ويمارس الكثير من الأمريكيين من خلال أسفارهم ورحلاتهم السياحية هواية البحث واكتشاف كل جديد فى قارتهم الشاسعة التى تزخر بثروات هائلة .. زراعية ومعدنية وبترولية ومائية كما تتمع أجزاؤها المترامية الأطراف بنوعيات مختلفة من الطقس يجعلها تعيش الفصول الجوية الأربعة عدة مرات فى السنة. وأحد أمثلة ذلك أنه عندما تكون درجة الحرارة فى ولاية «الاسكا» فى شمال القارة ١٥ تحت الصفر .. فإن درجة الحرارة يمكن أن تكون ٢٠ فوق الصفر فى ولاية فلوريدا أو ولاية نيفادا.

ورغم هذا الثراء الفاحش الذى ألمسه خلال زيارتى للولايات الأمريكية .. سواء على مستوى الدولة أو الأفراد .. لكن هناك الكثير أيضا من الفقراء الذين يعانون الأمرين فى الحصول على قوت يومهم ولكن الشىء المبهر حقا. أن أغلبية الشعب الأمريكى (٢٢٥ مليون نسمة) تؤمن بجدية العمل والانتاج والذى بدونه لا يمكن أن يكون هناك وجود لمجتمع الوفرة الذى يعيشون فيه.

البحث عن الجذور

ومع هذا التقدم الهائل فى جميع المجالات .. فإن العلماء ينظرون إلى أمريكا باعتبارها أحدث المجتمعات السكانية فى العالم .. وهذا يعنى أن تاريخ حضارتها لا

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٩٨٤/٦/١٧.

يمكن أن يحتل سوى قدر بسيط للغاية من كتب التاريخ أو التراث العالمى. ولهذا السبب فإن معظم الأمريكيين يجدون فى تاريخ وحضارة الدول والشعوب التى تمتد لآلاف السنين مذاقا خاصا يحظى بإقبالهم، ويستحوذ على اهتمامهم.

ورغم ما حققه الأمريكيون من تقدم وازدهار مما يمكن وصفه بالمعجزة خلال هذه الفترة القصيرة من عمر بلادهم.. إلا أن افتقادهم للأصالة والتاريخ والحضارة يجعلهم يعيشون احساسا بالنقص يدفعهم دائما إلى البحث من جذورهم فى الدول التى هاجر منها أجدادهم منذ عشرات السنين.. وهذا الاحساس بالنقص لا يفرق بين الأمريكى العادى ورئيس الجمهورية .. وتأكيدا لهذه الحقيقة كانت رحلة الرئيس الأمريكى ريجان إلى ايرلندا حيث مسقط رأس اجداده فى الأسبوع الأول من هذا الشهر.

وقد لمست هذا الاحساس خلال زيارتى لمدينة «سياتل» إحدى أجمل مدن الساحل الغربى الامريكى عندما كنت أتابع مؤتمر «الباواو» السياحى العالمى تحت شعار «اكتشف أمريكا» .. فقد كان ضمن جولات زيارة معالم المدينة.. مشاهدة الانشاءات القديمة التى أقامها الرواد الأوائل تحت الأرض .. قبل أن ترتفع المبانى الحديثة فوقها.

وداخل إحدى هذه المنشآت بدأت المرشدة تشرح طبيعة وتاريخ المبنى الذى يعود إلى مائة عام مضى.. وعندما تناولت فى شرحها طريقة إقامة المبنى الذى كان يضم خمسة طوابق.. نظرت إلى وابتسمت ثم مالت ناحيتى وهى تقول : طبعا.. مائة عام لا تعنى شيئا بالنسبة لك كمصرى فإن لديكم فى مصر من المنشآت والآثار ما يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة.. وفوجئت بأنظار زملاء الجولة الذين يمثلون عشرات الجنسيات تتجه ناحيتى وقد ارتسمت على وجوههم ابتسامة تحمل كل معانى التحية لمصر صاحب أقدم حضارة فى العالم.

اخترت «الاسكا» ولكن

وقبل زيارتى الأخيرة لامريكا والتى استغرقت حوالى الأسبوعين.. قررت الاشتراك فى برنامج رحلات «اكتشف أمريكا» الذى ينظمه مؤتمر الباو واو لاعضائه

بهدف مشاهدة الامكانيات والمعالم السياحية بالولايات المتحدة الأمريكية وقد تضمنت برامج رحلات هذا العام زيارات لبعض الولايات القريبة من مدينة سياتل التى اختيرت لعقد المؤتمر السنوى للباو واو لتدارس تشجيع السياحة الدولية إلى أمريكا .. وبالطبع كانت ولاية «الاسكا» ضمن برامج هذه الرحلات باعتبارها ملاصقة لولاية واشنطن التى تتبعها سياتل.

وقبل انعقاد المؤتمر بشهرين سجلت أختيارى لرحلة «الاسكا» ضمن الأوراق الخاصة بالاشتراك فى المؤتمر جذبنى إلى هذا الاختيار ما قرأته فى الكتب خلال سنوات الدراسة عن حياة «الاسكيمو» مواطنى هذه المنطقة ولكن ليس ما يتمناه المرء يلقاه دائما لقد فوجئت عندما وصلت «سياتل» أن الكثيرين من المشاركين فى المؤتمر (٢٥٠٠ مشترك) قد وقعوا أيضا تحت هذا التأثير واختاروا رحلة «الاسكا» ونتيجة لذلك اخطرتنى إدارة المؤتمر بأن جميع الأماكن فى الرحلات الأربع لهذه الولاية قد شغلت وأنه لاتوجد أدنى فرصة حصول على مكان خاصة أن هناك عدة مئات على قائمة الانتظار.

واختاروا أوريجون

ونتيجة لهذا الاقبال على رحلة «الاسكا» فقد تم توزيع الراغبين فى الجولات السياحية الميدانية على باقى الرحلات وعلى هذا الاساس وجدت اسمى رغما عنى ضمن اعضاء رحلة ولاية «أوريجون» هى إحدى ولايات الساحل الشمالى الغربى للمحيط الباسفيكى.

وبدافع من خيبة الأمل فى تحقيق رغبتى فى مشاهدة بلاد «الاسكيمو» .. قررت أن أطلب الغاء الرحلة إلى أوريجون والتى اختاروها لى .. ولكن بعض الاصدقاء من أعضاء المؤتمر أقنعونى بأن الرحلة تستحق التجربة وأن ولاية أوريجون تعتبر واحدة من الولايات التى تنفرد بطابع خاص يميزها عن باقى الولايات الـ ٥٠ التى تتشكل منها الدولة الامريكية وسعيت تحت الالحاح إلى لقاء ممثلى ولاية أوريجون.

وكان اللقاء مفيداً للغاية.. لأنه انتهى بإقناعى بالأنضمام إلى عضوية الرحلة إلى ولايتهم.. ولعل من أهم الاسباب التى أغرتنى على المشاركة فى هذه الرحلة ماعرفته من أن مساحة هذه الولاية تبلغ ٩٦ ألف كيلو متر مربع.. ورغم هذا فإن تعداد سكانها لا يتجاوز المليونين ونصف المليون نسمة.. وهى بذلك تعتبر من أقل الولايات الامريكية سكانا.

وفى صباح اليوم التالى لانتهاء اعمال مؤتمر «الباو واو» فى سياتل بدأت الرحلة الميدانية إلى ولاية أوريجون التى اختاروها لى رغما عنى ووا فقت عليها بعد اقتناع، واقلتنا إحدى الطائرات المروحية من سياتل كبرى مدن ولاية واشنطن إلى مدينة بورتلاند بولاية أوريجون ورغم أن هذه المدينة هى أكبر مدن الولاية.. الا أنها ليست هى العاصمة كما هى العادة فى معظم الولايات الامريكية حيث يختارون إحدى المدن الصغيرة المغمورة لتكون عاصمة للولاية. ان عاصمة ولاية أوريجون هى «سيلم» وهى مدينة صغيرة لا يتجاوز تعدادها المائة ألف نسمة.. بينما يصل تعداد بورتلاند إلى نصف مليون نسمة بالاضافة إلى نصف مليون أخرى تضمها النواحى والقرى المحيطة.

مفاجأة غير متوقعة

وفى بورتلاند كانت فى انتظارنا أنا وزملاء الرحلة من المصريين (أربعة أصدقاء) مفاجأة غير متوقعة. إنها سيدة مصرية قررت الادارة فى ولاية أوريجون تكريما لنا أن تكون ضمن المرشدات اللاتى ستصحبنا فى بعض أجزاء جولتنا التى تستغرق ثلاثة أيام، ووسط دهشة باقى أعضاء الرحلة الذين كانوا يمثلون ست جنسيات أخرى.. قدمت ليلى صلاح الدين (٣٢ سنة) نفسها إلينا واعتقد زملاء الرحلة من الجنسيات الست أنها قريبة لأحدنا جاءت لاستقباله وتحيته ولكنها وبعد أن رحبت بنا فى حرارة افتقدناها منذ أن غادرنا بلدنا .. قدمت نفسها بالإنجليزية لباقى أعضاء رحلة أوريجون، وعرفنا منها أنها وافقت على مصاحبة رحلة «الباو واو» رغم أن هذه المهمة لا تدخل فى اختصاص عملها وقالت أن شوقها لبلدها ولكل ما يمت بصلة إليه كان سببا مقنعا لقبول المهمة.

ماهى حكاية ليلى؟

وفى الاتوبيس الذى أقلنا فور وصولنا بورتلاند لنبدأ جولتنا فى الولاية.. حكت ليلى قصة وجودها فى أمريكا. قالت أنها جاءت إلى أمريكا عندما كان عمرها ١٦ عاما بعد حصولها على التوجيهية لزيارة شقيقها المهندس الذى كان يدرس فى جامعة بورتلاند للحصول على الدكتوراه واقنعها شقيقها بالالتحاق بجامعة بورتلاند واختارت دراسة الاقتصاد والعلوم السياسية وحصلت على البكالوريوس ثم على الماجستير. وتعرفت خلال الدراسة بزميل لها من الأمريكيين.. وانتهت علاقة الحب التى ربطت بينهما بالزواج بعد أن أعلن اسلامه وساعد فى تقاربهما أنه زار مصر ودرس اللغة العربية فى جامعة عين شمس لعدة شهور ضمن التبادل الطلابى خلال دراسته بجامعة بورتلاند.

وظلت ليلى تفضل عدم العمل ولكنها اضطرت منذ أربع سنوات للبحث عن وظيفة بسبب استقالة زوجها من عمله ليتفرغ لادارة مشروع خاص مع بعض زملائه.. ونظرا لأن المشروع فى بدايته لم يكن يوفر المصاريف الضرورية لحياتهما.. فقد كان لزاما عليها أن تدخل سوق العمل مساهمة منها فى مواجهة متطلبات المعيشة.

وحصلت ليلى على وظيفة فى مكتب حاكم الولاية لتصبح مسئولة عن كتابة الخطب التى يلقيها فى المناسبات الرسمية. ثم رقيت بعد ذلك وأسندت إليها مسئولية مكتب الأبحاث الاقتصادية بالولايات، وقالت ليلى أن حاكم ولاية أوريجون سورى الأصل واسمه فيكتور عطية وأنه زار مصر منذ ثلاثة أشهر قبل أن يتوجه إلى سوريا لزيارة مسقط رأسه. وذكرت أن ولاية أوريجون تربطها بمصر علاقات تجارية أساسية حيث أنها من أهم الولايات المنتجة للقمح وأن جزءا كبيرا انتاجها يتم تصديره إلى مصر.

حياة تطحن الانسان

وحول حياتها فى أمريكا قالت ليلى أن الحياة هنا تطحن أى إنسان.. أنه يمضى حياته فى تعب وكد بحثا عن المال والثراء لهذا إنه من الصعب أن تكون هناك فرصة للمسات الإنسانية فى حياة الأمريكيين .. وقالت انها ورغم الـ ١٦ عاما التى أمضتها

فى امريكا منها ١٢ سنة زواجا من زميلها فإنها مازالت تربطها بمصر واعضاء أسرتها التى يعيشرن فيها أقوى الروابط وأنها تزورهم كل عام بانتظام أن هذا يكلفها كثيرا وقالت أن الحياة الاجتماعية والروابط العائلية من أهم ما يميز المصريين عن غيرهم وعندما زار حماها وحماتها مصر أدهشتهما هذه الحياة.. وقالت أنهما ذهلا عندما دعتهما أمها أكثر من مرة لتناول العشاء أو الغداء. لقد فوجئوا بمائدة الطعام وقد ازدحمت بعشرات الأنواع من الأطباق المصرية الشهية وتأثرت الحماة الامريكية بهذا الكرم المصرى والذى لم تتعود عليه فى بلادها وأدى الانفعال والتأثر إلى أن تغير الحماة الأمريكية من العادات الموروثة عندما جاء والدا ليلى زوجة ابنهما إلى أمريكا فى زيارة لابنتهما.

وفوجئت ليلى بحماتها تدعو والديها إلى مأدبة عشاء لا تتفق أبدا والتقاليد والعادات الامريكية.. لقد كانت مائدة الطعام شبيهة تماما بالمائدة المصرية من ناحية تعدد أصناف الأطعمة وكثرتها .. وهو ما لم يحدث ولم يتعود أحد على مشاهدته فى البيوت الامريكية. وبسبب انشغالنا فى متابعة قصة ليلى صلاح الدين السيدة المصرية الرقيقة التى تعيش فى ولاية أوريجون زوجة لامريكى مسلم.. فإننا لم نشعر بمرور الساعات الأربع التى استغرقتها الرحلة إلى قرية النهر المشمس السياحية.. وهى أول موقف لنا فى جولتنا بولاية أوريجون.

فى «كانيستا» .. قرية الهنود الحمر !

فى *يومياتى السابقة تحدثت عن جولتى فى ولاية أوريجون ضمن برنامج الرحلات التى ينظمها مؤتمر «الباو واو» تحت شعار «اكتشف أمريكا» وقد اختاروا لى فى المؤتمر رحلة ولاية «أوريجون» بعد أن فشلت فى أن أجد لى مكانا فى رحلة ولاية «الاسكا».*

وفى بداية الرحلة، التقيت ومعى مجموعة من المصريين الذين شاركونى فى برنامج «أوريجون» مع ليلى صلاح الدين المواطنة المصرية التى تعمل رئيسة للبحوث الاقتصادية فى مكتب محافظ هذه الولاية فيكتور عطية السورى الأصل وقد حكت لى ليلى خلال الجزء الأول من الجولة ظروف هجرتها إلى الولايات المتحدة وزواجها من شاب أمريكى كان زميلا لها فى جامعة بورتلاند وأعلن إسلامه قبل زواجه بها واليوم استكمل وكما وعدت فى نهاية يومياتى السابقة أحداث جولتى فى هذه الولاية التى تبلغ مساحتها ٩٦ ألف كيلو متر مربع ويعيش فيها كما ذكرت مليونان ونصف المليون مواطن أمريكى.

فى قرية النهر المشمس

بعد أربع ساعات أمضيناها داخل الأرتوبيس بعد مغادرتنا مدينة «بورتلاند» كبرى مدن ولاية أوريجون توقفنا فى قرية «النهر المشمس» السياحية. وقد أقيمت هذه القرية وأعدت ليقضى فيها السياح الأمريكيون من كل الولايات اجازاتهم انها تضم مبنى رئيسيا إلى جانب ما يقرب من ٣٠٠ موتيل كما يوجد بها ميدان شاسع لركوب الخيل

نشرت بجريدة «الأخبار» ١٥/٦/١٩٨٤.

وملاعب للجولف والتنس وطرق لركوب الدراجات ومناطق لصيد الاسماك.. كما أن بالقرية مطارا لاستقبال الطائرات الخاصة التى يملكها عشرات الآلاف من الامريكيين فى كل الولايات الامريكية.

وإلى جانب الموتيلات التابعة مباشرة لادارة القرية خصصت مناطق أخرى بالقرية لاقامة موتيلات وشاليهات خاصة يملكها الأمريكيون لقضاء أجازاتهم .. انهم يدفعون رسوما لإدارة القرية السياحية فى مقابل تواجدهم داخل أسوارها واستخدامهم لكل منشآتها وقد استغرقت جولتنا بالاتوبيس داخل هذه القرية لمشاهدة معالمها ما يقرب من ٤٠ دقيقة وتتميز القرية بان جميع مبانيها ذات أشكال موحدة وان كانت المساحات تختلف ونظرا لتوافر الاخشاب التى يتم الحصول عليها من الغابات الشاسعة المنتشرة فى الولاية فقد تم اقامة هذه المبانى من الخشب .. وبحيث لا يتجاوز ارتفاع أى مبنى دورين..

مع قبائل الهنود الحمر..

وبعد أن تناولنا الغداء بدعوه من إدارة القرية تحرك بنا الأتوبيس إلى قرية سياحية أخرى ذات طابع وجاذبية خاصة.. أنها قرية «كانيتا» وتختلف هذه القرية التى تبعد حوالى ساعتين عن قرية «الدهر المشمس» فى أنها ملكية خاصة لقبائل الهنود الحمر وتتوزع هذه الملكية بين ثلاث من أشهر قبائل الهنود فى الشمال الغربى الأمريكى.. ويضم مجلس إدارة كانيتا زعماء القبائل الثلاث.

ويتولى أحد هؤلاء الزعماء بصورة دورية، رئاسة مجلس الإدارة، وتخصص إيرادات هذه القرية للانفاق على مواطنى القبائل الثلاث، وتستمد هذه القرية شهرتها من أنها المشروع الوحيد الذى أقامته، وتشارك فى إدارته قبائل الهنود الحمر بصورة جماعية.

ونظرا لارتباط صورة الهنود الحمر فى أذهاننا بما شاهدناه من أفلام سينمائية وتليفزيونية.. فقد كنا جميعا فى غاية الشوق لمشاهدة قرية كانيتا لذلك كنا جميعا نتعجل الوصول لنرى جانبا غير عادى من حياة الهنود الحمر الذين عرفناهم ورغم

كل ماسمعناه عن قرية الهنود الحمر السياحية وأنها تدار على أحدث النظم.. ألا أننا كنا نتوقع أن يكون استقبالنا عند وصولنا إلى حدود القرية بنفس الصورة التى شاهدناها فى الافلام.. حيث يخرجون علينا بجياد لا أسرجه عليها ويحيطون بنا وسط ضجيج أصواتهم وصراخهم لهذا فقد وجدنا أنفسنا جميعا زملاء الرحلة فى حالة من الترقب والتوتر عندما دخلنا من بوابة القرية وفوجئنا بالطريق إلى المبنى الرئيسى خاليا تماما الا من بعض السيارات وغابات الاشجار التى تحيط بنا يمينا ويسارا.

وأصبنا بخيبة أمل

وعندما وصلنا إلى المبنى لم نجد هنودا يزينون رؤوسهم بالريش ويرتدون الزى الذى نعرفه.. ولكننا وجدنا مدير القرية وهو هندى يرتدى بدلة عادية ومعه مديرة المبيعات وهى أمريكية بيضاء وأصبنا جميعا بخيبة أمل لم نخفها على مرافقينا ممثلى إدارة ولاية أوريجون.. ولكنهم ابتسموا وقالوا انتظروا ولا تتعجلوا فسوف تشاهدون عروضا شائقة للهنود الحمر أصحاب هذه القرية خلال الليلة التى سوف تقضونها فى قريتهم وقادنا المدير الهندى إلى داخل المبنى الذى أقيم أيضا من الخشب وبطريقة انشائية بديعة.. ووجدنا أن معظم عمال المبنى والموتيلات المحيطة به من الهنود الحمر.. وتوجهنا إلى الغرف التى خصصت لنا لقضاء الليلة بعد أن طلبوا منا أن نتجمع أمام قسم الاستقبال بالقرية بعد ساعة أى فى السادسة مساء ..

حفل السالمون

وفى الغرفة اكتشفت أن شرفتها تطل على واد عميق لا نهاية له، وكان المنظر رائعا، وشاهدت عن بعد بعض الفرسان الراكبين تبين لى أنهم من الهنود الحمر، وبدلا من أن يدفعنى عناء الرحلة التى استغرقت ٧ ساعات بالاوتوبيس إلى الراحة فإننى فضلت أن أجلس فى الشرفة أمتع نفسى بمنظر الخضرة المحيطة بى وتحركات فرسان الهنود الحمر. وفى الموعد الذى حددوه كنت واقفا مع زملائى أمام الاستقبال، وتحركنا نزولا من سلم جانبى إلى عمق الوادى الذى تطل عليه شرفات حجرات الفندق.

وبعد حوالى ١٥ دقيقة وصلنا إلى ساحة واسعة حيث كانت بعض الهنديات العجائز بملابسهن التقليدية يقفن أمام نيران مشتعلة يشوون عليها أسماكا ضخمة بنفس الطريقة التى نشوى بها الخراف فى صحرائنا وقالوا لنا أن الاسماك التى يجرى شيها هى سمك «السالمون» الذى تشتهر به المنطقة والذى يعتبر الهنود الحمر من خبراء اصطياده، كما ذكروا لنا أن الحكومة الفيدرالية ورغبة منها فى مساعدة الهنود على الحصول على مزيد من الدخل.. منحت القبائل الهندية الثلاث التى تعيش فى المنطقة وتملك قرية كانيتا حق منح امتياز صيد سمك السالمون من البحيرات والأنهار لهواة الصيد مقابل دولارين لكل رخصة صيد.

وظهر الهنود الحمر

ورغم الارهاق والتعب فقد أنعشنا هذا الجو الغريب المحيط بنا خاصة بعد أن بدأ الظلام يرخى بظلاله على المنطقة، وقبل أن تتحول الساحة إلى الاظلام التام... أضيئت المشاعل .. ودعانا المدير إلى البدء فى تناول العشاء من «السالمون» المشوى إلى جانب الأطباق الهندية الأخرى التى كانت تضم الفول المدمس المطبوخ بطريقة خاصة.

فى هذا الجو المثير .. سمعنا دقات الطبول من حولنا. وبعد لحظات ظهر فجأة عشرات من الهنود الحمر رجالا ونساء وأطفالا بملابسهم التقليدية وبدأوا يقدمون رقصاتهم الشعبية التى كثيرا ما شاهدناها فى الافلام وأمتعنا هذا العرض الراقص حوالى ساعتين.. وبعد انتهائنا من العشاء توجهنا إلى حجراتنا.. وكان الارهاق قد بلغ ذروته.. وأصبح النوم أو حتى التمدد على الفراش حلما يراود الخيال. وبالفعل فإنى لم أستطع أن أقاوم هذه الرغبة بمجرد أن وجدت نفسى داخل حجرتى بالفندق لدرجة أننى قررت أن أستفيد بالوقت الذى سأمضيه فى خلع ملابسى.. وفضلت أن أنام بها حتى الصباح.

قمة تريمبلدون

وفى السابعة صباحا تحرك بنا الاوتوبيس من قرية «كانيتا» الهندية، كانت وجهتنا هذه المرة قمة جبال (تريمبلدون) على ارتفاع ٦ آلاف قدم من سطح البحر.. وهى ثانية أهم وأشهر مناطق الجليد فى كل أمريكا.

وأمضينا ساعة واحدة فى الفندق الذى أقيم منذ حوالى خمسين عاما فوق هذه القمة واستغرق انشاؤه حوالى خمس سنوات وخلال الوقت القصير الذى أمضيناه فى فندق تريمبلدون الذى تحيط به جبال الجليد من كل جانب قدموا لنا القهوة وعدنا إلى الاوتوبيس بعد جولة داخل الفندق وفى المنطقة المحيطة به. وهبط الأتوبيس من هذا الارتفاع الشاهق الذى استغرق الوصول إليه حوالى الثلاث ساعات إلى طريق الأتوستراد مرة أخرى لنواصل رحلتنا فى اتجاه مدينة بورتلاند..

نهر الغرب العظيم

وانتقل الاوتوبيس بعد ساعة تقريبا إلى أتوستراد آخر مواز لنهر كولومبيا ثانى أهم وأكبر الانهار الملاحية فى أمريكا، وقد أطلق على هذا النهر عند اكتشافه «نهر الغرب العظيم»، وتوقف الاوتوبيس أمام أحد الفنادق المنتشرة على النهر وصعدنا على ظهر إحدى البواخر التاريخية التى مازالت تعمل بالبخار للأغراض السياحية فى نهر كولومبيا وتحركت بنا الباخرة التى مضى على بنائها أكثر من ٥٠ عاما فى اتجاه مدينة بورتلاند وأذهلنى خلال هذه الرحلة أن عمق نهر كولومبيا يسمح لسفن المحيطات بالملاحة لنقل المنتجات الصناعية إلى كل دول العالم.

وحتى لاتتعطل الملاحة بسبب عبور السيارات بين شاطئ النهر فقد أقيمت الكبارى على ارتفاعات شاهقة فوق النهر حتى تسمح بمرور السفن فى كل وقت ومن أشهر منشآت نهر كولومبيا سد «بون فيللا» وهو من أهم سدود توليد الكهرباء فى القارة الامريكية خاصة فى منطقة الشمال الغربى ونهر كولومبيا يفصل بين ولاية أوريجون وولاية واشنطن وهى غير واشنطن العاصمة وبسبب الغاء ضريبة الـ ٦٪ على المشتروات فى أوريجون... لجذب الامريكيين إلى الاقامة بها.. فإن سكان ولاية واشنطن يعبرون النهر كلما أتيحت لهم الفرصة لشراء احتياجاتهم من أوريجون ثم يعودون إلى مقار اقامتهم.

زيادة الخير.. خيرين

وقضينا الليلة فى مدينة بورتلاند بعد عدد من حفلات الاستقبال التى أقامها المسئولون فى إدارة ولاية أوريجون بالاشتراك مع فندق «الأسد الأحمر» الذى كنا نقيم فيه وفى صباح اليوم التالى عدنا مرة أخرى إلى الأوتوبيس لزيارة الحديقة اليابانية

وهى أحد المعالم الرئيسية فى مدينة بورتلاند وقد تم زراعتها فى منطقة جبلية وتم تمويل تكلفتها الباهظة من أموال تبرعات مواطنى المدينة. ولاشك أن اقامة هذه الحديقة التى تطل على المدينة تدخل فى اطار الاهتمام بنشر الخضرة فى كل مكان رغم توافرها بكثرة ولكن لا مانع من زيادة الخير خيرين.

ومن الحديقة اليابانية توجهنا مباشرة لتنفيذ الجزء الأخير من رحلتنا فى أوريجون.. ولابد أن اعترف أن هذه المرحلة من البرنامج تعد أقسى وأصعب مرحلة بالنسبة لتحملنا.

لقد أمضينا فى الأوتوبيس أكثر من ٩ ساعات فى سفر مستمر باستثناء أوقات قصيرة شاهدنا خلالها بعض مناطق ساحل المحيط الباسيفيكى الذى تطل عليه ولاية أوريجون.. وانتهت الرحلة فى الثامنة مساء فى قرية «سى سايد» السياحية (٥٠٠٠ نسمة) .... حيث قضينا ليلة عصيبة من الارهاق فى فنادق صغيرة تطل مباشرة على المحيط.

وزاد من مشكلاتنا اضطرارنا إلى التواجد فى حفل التكريم الذى أقامته لنا الغرفة التجارية بالقرية التى تبلغ طاقتها الفندقية أكثر من ١٥ ألف نزيل.

يوم للراحة ولكن

وفى الصباح كان علينا أن نتحرك مرة أخرى بالاوتوبيس إلى «بورتلاند» ثم إلى المطار لنأخذ الطائرة فى رحلة العودة إلى القاهرة .. وكان من الصعب هذه المرة أن أتوجه إلى القاهرة مباشرة .. ولهذا فضلت التوقف ليوم واحد فى واشنطن عاصمة الولايات المتحدة ولكن وكالعادة فإن العمل فى بلاط صاحبة الجلالة لايمكن أن يسمح بمثل هذه الرفاهية.. ووجدت نفسى أسعى خلال الساعات القليلة التى أمضيتها إلى العديد من المقابلات.. وكانت هذه المرة تتركز على الجانب السياسى الذى لا مجال له فى هذا المكان.

مسرحية هزلية فى مطار نيويورك !

***فى** بعض الاحيان قد يضطر الإنسان إلى الضحك غيظا أمام مواقف أو مشاهد قد تتطلب فى ظروف عادية.. الضحك بالدموع.. وتبرير ذلك هو أن الضحك فى هذه الحالة ليس نتيجة خفة دم أو ارتفاع مستوى المشهد الكوميدى ولكن سببه الاساسى هو أن الموقف بلغ أقصى حدود النكتة البايخة جدا جدا .. وهو ما ينطبق عليه المثل الذى يقول: وشر البلية مايضحك.*

نفس الشيء قد يحدث أيضا عندما يواجه الإنسان موقفا تراجيديا.. ولكن وتحت تأثير الملابسات والظروف المحيطة يجد نفسه يضحك بالدموع أيضا بدلا من أن يبكى.

ومن المؤكد أن كثيرا منا قد مر بهذه التجربة من خلال المتابعة للأعمال الفنية.. الهزلية أو الدرامية.. ولكن وكما يقول الحكماء فإن أقوى أعمال الهزل والدراما هو مايجرى على الطبيعة فى الحياة أمامنا كل يوم بل كل ساعة.

أن ماجرى داخل الطائرة الجامبو المصرية الجديدة كليوباترا بعد وصولها إلى مطار نيويورك وهى فى طريقها من سياتل إلى القاهرة لم يكن سوى مسرحية هزلية بكل المقاييس ولقد شاهد ركاب الطائرة وأنا واحد منهم أحداث هذه المسرحية التى كانت تدعونا إلى الضحك تارة وإلى البكاء تارة أخرى استمرت فصول هذه المسرحية «البايخة» جدا أكثر من ثلاث ساعات متواصلة.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٨/٧/١٧.

بدأ الفصل الأول فى المسرحية انطلقت الإذاعة الداخلية فى المطار تطلب من الركاب المسافرين من نيويورك إلى القاهرة أن يتقدموا إلى الطائرة. كان مفروضا ألا يزيد عدد هؤلاء الركاب عن ٣٢٠ راكبا لاستكمال عدد ركاب الطائرة الـ ٤٥٠ بعد اضافة ١٣٠ راكبا جاءوا مع الطائرة من سياتل ولوس انجلوس.

الذى حدث أن قائد الطائرة وركابها القادمين معها من سياتل ولوس انجلوس فوجئوا بـ ٤٥ راكبا زيادة عن العدد يقتحمون الطائرة.. ونتيجة للفوضى التى انتشرت داخل الطائرة التى لم يكن قد مضى على استلامها من مصانع بوينج سوى عشر ساعات فقط اضطر جميع الركاب إلى ممارسة لعبة الكراسى الموسيقية رغما عنهم، معنى هذا إن أى راكب يترك مقعده لأى سبب كان يفاجأ براكب من الـ ٤٥ الذين لاتوجد لهم مقاعد على الطائرة يحتله دون سابق أنذار أدى ذلك إلى أن يمسك كل راكب بتلابيب الكرسى المخصص له لايتركه لأى سبب من الاسباب ضمانا لاستكمال رحلته إلى القاهرة.

استمرت هذه المهزلة داخل الطائرة لانسمع خلالها سوى صياح وبكاء أطفال ولعنات وتهديدات .. بعض الركاب احتلوا الممرات فى الطائرة والبعض الآخر جلس على السلم المؤدى إلى درجة رجال الاعمال (حورس). كان من الضرورى التحرك لانقاذ الموقف حتى يمكن للطائرة العملاقة أن تواصل رحلتها إلى القاهرة حيث كان مقررا الاحتفال بوصولها.

ووفقا للقواعد المعمول بها فى مثل هذه الحالات فقد أصدر وفيق عبدالحميد مستشار أول مصر للطيران والذى كان فى سياتل رئيسا لفريق استلام الطائرة .. قرارا بأن يغادر الطائرة كل ركابها من العاملين فى مصر للطيران وهو فى مقدمتهم متنازلين عن أماكنهم للركاب الزيادة ولم يكن عدد الذين ينطبق عليهم القرار يتجاوز الـ ١٥ .. أى أنه مازال هناك ٣٠ راكبا بدون أماكن.. وأعلن فى ميكروفون الطائرة عن أن الركاب الذين سيغادرون الطائرة سوف يقيمون فى فنادق على حساب مصر للطيران إلى أن يتم تدبير أماكن لهم على رحلات أخرى كما سيصرف لهم ٤٠٠دولارا تعويضا!!

وبالطبع فقد كان عرض الـ ٤٠٠ دولار مغريا ليس لكل الركاب الزيادة ولكن لبعض منهم.

ووصل إلى سمعى وأنا أتابع ما يحدث همس يدور بين راكبين قال أحدهما للآخر: أيه رأيك.. العرض والله مغرى.. باللانتزل ونفوز «بالنومة» وبالـ ٤٠٠ دولار.. ومش حتفرق نوصل مصر النهاردة أو بكره.

ويرد زميله: استنى شوية يمكن يزودوا المبلغ.. ننزل لما يعلنوا عن دفع ٥٠٠ دولار!!

وبعد انتهاء هذا المشهد الذى يتميز بالعفوية سمعت راكبا آخرا يهمس فى أذن زوجته: احنا أربعة.. أنا وأنت والولد والبنت.. لو نزلنا حنقبض ١٦٠٠ .. وفى نفس الوقت حيكون موقف وطنى من جانبنا.. لأننا سنساهم فى حل مشكلة الطائرة الجديدة عشان تسافر لمصرايه رأيك يا..؟!

تسكت الزوجة التى كان يبدو عليها التعب والارهاق ولا ترد.

ويعود الزوج ليقول لها : أنت عارفة الـ (١٦٠٠ دولار تساوى كام بالجنيه المصرى .. حوالى ٣٧٠٠ جنيه.. يعنى راح نقضى اجازتنا فى مصر مجانا دون أن نتكلف مليما واحدا.. وبلا أى تعليق تحركت الزوجة متثاقلة لتسحب طفليها متجهة إلى خارج الطائرة خلف زوجها.. وانتهى المشهد الثانى.

وهكذا وبعد ثلاث ساعات بالتمام والكمال أسدل الستار على فصول هذه المسرحية الهزلية بعد نجاح عملية اخلاء الطائرة من الركاب الزيادة .. واستانفت رحلتها إلى القاهرة وبمراجعة سريعة لشريط الأحداث تبين أن مسئولية ما حدث تقع على عاتق كل العاملين فى مكتب مصر للطيران فى نيويورك أولا ثم على شركة «ايرلنجز» الأمريكية باعتبارها تتولى الخدمات الأرضية لطائرات مصر للطيران فى نيويورك .. ثانيا:

وقد كشفت هذه المراجعة المبدئية أن سبب الأزمة ربما يرجع إلى أن المسئول عن مصر للطيران والذى كان موجودا عند استلام الطائرة من بوينج نسى أن يبلغ عن

الركـاب الذين صـعـدوا على الطائرة من سيـاتل.. وربما تكون البـرقـيـة التى أرسلت بوجود هؤلاء الركاب لم تصل نيويورك .. النتيجة الطبيعية لهذا الخطأ أدت إلى اعتبار أماكن ركاب سياتل خالية.

ان السماح بالتجاوز فى الحجز على الطائرات مبدأ معمول به فى جميع شركات الطيـران خاصـة العاملة فى أمريكا.. وذلك لتغطية أى تخلف عن السفر من جانب الركاب وحتى تقلل الشركات من خسائرها نتيجة ارتفاع معدلات الأماكن الخالية على طائراتها..

وهنا لابد أن أشير إلى أن المسئولين فى مصر للطيران بنيويورك وشركة الخدمات الأمريكية قد أخطأوا عندما سمحوا للركاب الزيادة بدخول الطائرة، كان واجبا عليهم كما يحدث فى جميع الشركات السماح فقط بدخول الطائرة لعدد من الركاب مساو لعدد المقاعد الخالية.. وبذلك تبقى المشكلة خارج نطاق الطائرة مما يسمح باقلاعها فى موعدها دون أى مشاكل.

أن الاهمال الذى وقع فى مطار نيويورك تولدت عنه كل هذه المشاهد الهزلية التى أفسدت الفرحة التى احاطت بعملية استلام الطائرة الجامبو «كليوباترا».. ولهذا فقد كان ضروريا أن يتخذ المهندس محمد فهيم ريان رئيس مصر للطيران اجراء حاسما لردع نزعة عدم المبالاة التى كانت وراء كل ما حدث وبالفعل صدر قرار بتشكيل لجنة فنية قانونية سافرت إلى نيويورك للتحقيق وتحديد المسئولية حتى لا تتكرر المشكلة مرة أخرى!!

مدينة بناها .. بارونات المخدرات !!

كنا *نسمع ونقرأ عن مدينة ميامى الامريكية وشواطئها ونحن تلاميذ، ثم بعد أن عملنا فى الصحافة .. وكأنها حلم من الأحلام. كان لهذا الاسم جاذبية خاصة جعلتنى أتمنى مشاهدة هذه المدينة ومرت السنوات وأتيحت لى فرصة زيارة ميامى ثلاث مرات.. ولم أجد فيها الحلم والهالة.. وإنما وجدتها مدينة أمريكية اسما.. يحتلها المهاجرون والناطقون باللغة الاسبانية القادمون من أمريكا الجنوبية.*

جرت زيارتى الأولى لمدينة ميامى عام ١٩٧٩ ولم تكن زيارة بالمعنى المعروف وإنما كانت مرورا لعدة ساعات كنت فى طريقى إلى العاصمة الكوبية «هافانا» لحضور مؤتمر قمة عدم الانحياز. ان الرحلة الجوية بين ميامى وهافانا لا تستغرق سوى نصف ساعة ولكن بسبب قطع العلاقات بين أمريكا وكوبا.. اضطررت أن أتوجه من ميامى إلى مكسيكوسيتى عاصمة المكسيك ومنها إلى هافانا فى رحلة استغرقت أكثر من ثلاث ساعات ونصف وبسبب قرب شواطىء ميامى من شواطىء كوبا حيث يفصل بينهما البحر الكاريبى الذى تقطعه اللنشات السريعة فى ساعتين فقط.. فإن الجالية الكوبية فى المدينة الأمريكية اسما هى أكبر الجاليات اللاتينية حيث يصل عدد أفرادها إلى مئات الآلاف ورغم أنه لم يمض على هذه الزيارة سوى عشر سنوات فقط إلا أننى لا أذكر عنها شيئا لأنها لم تستمر وكما ذكرت سوى ساعات قليلة لم تتح لى فيها أى فرصة لمشاهدة المدينة.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٩/١٢/٢٤ .

أما الزيارة الثانية فكانت عام ١٩٨٥ وكانت دوافعى لها.. الحلم القديم وجاذبية المدينة وشهرتها من الناحية الدعائية والحقيقة أن هذه الزيارة كانت صدمة شديدة لى .. فقد فوجئت بالأمطار والرطوبة والزوابع والحشرات تلازمنى طوال الأيام الثلاثة التى أمضيتها بالمدينة وعلمت بعد ذلك أننى اخترت وقتا غير مناسب مناخيا للقيام بهذه الزيارة، وقالوا لى أن ميامى مدينة شتوية حيث تسطع الشمس ويعتدل الجو فيها ابتداء من شهر اكتوبر وحتى أبريل.. وهذه الشهور تمثل الموسم السياحى فيها أما باقى الشهور فإن المدينة بشواطئها وشهرتها لا تطاق.. حيث تتحول إلى منطقة للأمطار والعواصف والحشرات.. وتصبح الاقامة فيها نوعا من العذاب لغير سكانها الذين تعودوا عليها.

●●●

أما المرة الثالثة فقد كانت مذ شهرين.. فى اكتوبر الماضى تلبية لدعوة المؤتمر العالمى لجمعية شركات السياحة والسفر الأمريكية «الاستا». واختلف الموقف تماما من ناحية الجو.. فقد كان مناسبا تماما وأن كان قريب الشبه جدا بالاسكندرية خلال شهور الخريف وأتيحت لى الفرصة عن قرب لأشاهد المدينة التى تتمتع بشهرة عالمية ولعل أهم ما أثار انتباهى أن غالبية سكان المدينة من الناطقين بالاسبانية وجميعهم قريبو الشبه بنا نحن العرب أبناء الشرق الأوسط ونتيجة لهذا التشابه فقد كان المارة والعاملون فى المحلات يتحدثون الينا بالاسبانية باعتبارنا من مواطنيهم.. ثم يفاجأون بأننا نقول لهم أننا مصريون عرب..

●●●

وتقع مدينة ميامى فى الجنوب الشرقى من الولايات المتحدة الأمريكية وهى جزء من ولاية فلوريدا وتبلغ مساحة - منطقة ميامى (المدينة وما حولها) - ٢٠٤٠ ميلا ويبلغ تعداد منطقة ميامى ١,٨ مليون نسمة وكما ذكرت فإنها محطة التوقف الأولى والأخيرة للمسافرين من وإلى الولايات المتحدة والعالم ،والعديد من دول أمريكا اللاتينية. ولذلك فانها مركز هام لحركة سياحة الترانزيت حيث وصل عدد المارين بمطار ميامى عام ٨٩ إلى ٨ ملايين راكب .. بينما يصل عدد السياح الذين يزورون

المدينة إلى ٧ ملايين سائح معظمهم من البريطانيين والالمان والبرازيليين كما تعتبر ميامى إلى جانب أهميتها فى حركة الطيران بالولايات المتحدة أكبر ميناء لاستقبال بواخر الركاب فى العالم، وأن عدد الركاب الذين يستخدمون هذه البواخر فى رحلات بالكاريبى والباسفيك يصل إلى مليونين و ٦٣٠ ألف راكب سنويا.

●●●

ويعود الفضل فى حصول ميامى على هذه المكانة الشهيرة إلى امرأةأمريكية اسمها «جوليا تاتل» هاجرت إليها مع ابنيها عام ١٨٩٠ استطاعت هذه المرأة أن تجذب شركة قطارات السكة الحديد لمد خطوطها إلى المدينة أغرتها بخصوبة أرض المنطقة وملاءمتها للزراعة وقدرتها على استقبال المهاجرين كان سندها فى ذلك سلة برتقال انتجته الأرض، بعثت بها إلى صاحب شركة القطارات وقد بدأ تدفق المهاجرين وطلاب العمل على ميامى ابتداء من عام ١٩٢٤ حيث ارتفع عدد سكانها من ٣٠ ألف نسمة إلى ١٠٠ ألف نسمة وقد ساهم ٢٦٥ ألفا من اللاجئين الكوبيين هاجروا إلى ميامى بعد ثورة كاسترو عام ١٩٦٠فى النهوض بالمدينة.

وتستمد المدينة شهرتها كما هو معروف من شاطئها المعروف باسم ميامى بيتش والذى يمتد لـ ١٥ ميلا وقد تم تنفيذ مشروع كبير لتنمية هذا الشاطىء سياحيا وحمايته من هجمات البحر التى كانت تغرقه حيث تم رفع الأرض على طول المنطقة ٥ أقدام عن سطح البحر ونتيجة للرواج السياحى الهائل الذى تشهده المدينة، فقد ارتفع عدد الغرف بالفنادق إلى رقم كبير وصل إلى ٥٣٥٥٩ غرفة تشمل مجموعة كبيرة من أجمل وأفخم الفنادق فى كل العالم.

●●●

ويقول بعض الامريكيين أن أموال بارونات المخدرات المهربة من امريكا الجنوبية إلى امريكا والعالم.. هى التى ساهمت فى بناء المبانى الشاهقة وهى التى أقامت الشركات والصناعات فى المدينة الأمريكية الشهيرة وللحقيقة فإن هؤلاء الامريكيين لم يكذبوا!!

الأوكازيون أمريكانى هذه المرة!!

عندما صاحبت الطائرة الجامبو المصرية فى رحلتها الأولى من سياتل إلى القاهرة فى العام الماضى مدعوا من مصر للطيران، كتبت فى اليوميات عن الأوكازيون الذى

جرى لاغراء بعض الركاب الزيادة الذين صعدوا على الطائرة عند توقف الطائرة فى مطار نيويورك وكان سبب ما حدث وقوع قصور فى عدم ابلاغ مصر للطيران فى نيويورك بعدد الركاب الذين استقلوا الطائرة من سياتل ولوس انجلوس.

كنت اعتقد أننى لن أشاهد مرة أخرى هذه المسرحية الهزلية التى شارك فيها موظفو مصر للطيران والركاب وأدت إلى تأخير قيام الطائرة ثلاث ساعات فى ذلك الوقت.. إلا أن الذى حدث أن العرض تكرر فى مطار نيويورك.. ولم يكن المسرح هذه المرة طائرة مصر للطيران.. ولكن كان طائرة «بان امريكان» .. وشهد على هذه الكوميديا الضاحكة أنيس سلامة رئيس غرفة الفنادق.

لقد كنا فى طريقنا إلى ميامى لحضور مؤتمر «الاستا» وفوجىء الركاب والمسئولون عن محطة بان امريكان فى مطار جون كينيدى بوجود أكثر من ٤٠ راكبا لهم حجوزات مسجلة على تذاكرهم زيادة عن حمولة الطائرة.

وبدأ المسئول الأول عن تحميل طائرة الركاب الأمريكية الأوكازيون بالإعلان عن طلب ركاب متطوعين يوافقون على التنازل على أماكنهم بالطائرة مقابل حوافز تقدمها الشركة .ولم يتقدم أحد من الركاب إلا عندما أعلن هذا المسئول أن الحوافز تشمل اقامة كاملة بالفندق حتى موعد السفر على رحلة أخرى بالاضافة إلى تذكرة طائرات (بان امريكا) إلى أى مكان فى العالم يمكن استخدامها خلال عام وفى ثوان ظهر عدد كبير من المتطوعين الذين فازوا بالحوافز القيمة وانتهت أزمة الطائرة التى لم تتأخر سوى ساعة واحدة وبعد مشاهدتى لفصول هذه المسرحية عرفت أنها تتكرر فى مطار نيويورك أكثر من مرة يوميا.. بسبب الحجز الزائد لتعويض تخلف بعض الركاب عن السفر مما يؤدى إلى وجود أماكن كثيرة خالية على الطائرات فى رحلاتها وقال لى المسئولون فى مطار نيويورك أن هذه المشكلة قد تتكرر من مرة إلى خمس مرات يوميا.. ولكنها لا تساوى شيئا أمام الخسائر التى يحققها عدم قبول حجز زائد على آلاف الطائرات التى تغادر مطار نيويورك إلى كل أنحاء العالم!!

الهـــاربون وذكـــريات صـــحـفـــيـــة

كل *إنسان له ذكرياته الحلوة والمرة.. بعضها يرتبط بحياته الخاصة وبعضها يتصل بعمله ومهنته وقد ثبت باليقين أن ذاكرة الإنسان أقوى من كل أجهزة الكمبيوتر التى اخترعها وصنعها العقل البشرى الذى كرم الله الإنسان به .. باعتبار، أرقى المخلوقات.*

والمعروف أن كثيرا من الأحداث التى تمر بحياتنا تدخل بعد وقوعها فى دائرة الذكريات . انها تظل خافية كامنة فى اعماق الذاكرة إلى أن تتاح فرصة استرجاعها بتأثير حدث معين أو زيارة لمسرح حدوثها حتى وأن مر على ذلك عشرات السنين.

ولاشك أن ظروف العمل الصحفى تتيح للعاملين فى بلاط صاحبة الجلالة معينا لا ينضب من الذكريات ولكن وللأسف هناك قلة من الذين يمارسون هذه المهنة يلجأون إلى تطويع ذكرياتهم ومحاولة طمس أو تغيير معالمها استجابة لنزعة خارجة أو تسترا على سلوك أو منفعة خاصة وبعض هؤلاء يحـاولون أن يمسـحوا من ذاكرتهم فترات بعينها من ذكرياتهم تدين مواقف البطولة والنضال التى يدعونها فى محاولة لتغطية هروبهم من المواجهـة والكفاح فى مواقع عملهم الصحفى والسعى إلى الارتزاق الوفير خارج حدود الوطن.. ثم بعد ذلك يزعمون لأنفسهم زورا وبهتانا بطولات زائفة.

●●●

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٩/١٢/٢٤ .

والغريب.. أن تلجأ هذه الفئة إلى الكذب والافتراء والاستهانة بكفاح زملاء لهم ومن جيلهم لم يستسلموا ولم يهربوا مثلما فعلوا هم بل قاوموا وتصدوا للعدوان على المقومات والقيم الصحفية والوطنية. ان هؤلاء الاساتذة والزملاء الافاضل الذين كنا نجلهم ونعتز بزمالتهم وصداقتهم نسوا التجارب المريرة التى عشناها فى الصحف التى ارتبطت بها حياتنا.. حبا وانتماء. لم يتورع هؤلاء الزملاء عن التناقض مع أنفسهم فى كتاباتهم ومقالاتهم التى يعلنون فيها الحرب على الفساد والافساد وهى حرب نؤيدها بكل قلوبنا.. ولكننا نطالبهم فى نفس الوقت بان يبدأوا بأنفسهم.. ألا يقبلوا مالا حراما مقابل عمل لا يؤدونه.. ألا يستبيحوا جهد وعرق زملاء لهم يؤدون عملهم بما يرضى الله والضمير ليكسبوا لقمة عيشهم بشرف وأمانة.

●●●

وعند زيارتى السريعة للكويت لمتابعة أحداث رفع العلم الامريكى على ناقلات البترول الكويتية عاودتنى ذكريات صحفية ترجع إلى أكثر من ٢٦ عاما.. وبالتحديد عام ١٩٦١ عندما أعلن استقلال دولة الكويت الشقيقة. ان هذه الذكريات تعكس بعض مانال الصحافة وما نال الصحفيين طوال سنوات سوداء مضت إلى غير رجعة لقد خرج عبدالكريم قاسم حاكم العراق فى ذلك الوقت ليعلن رفضه لاستقلال الكويت مدعيا أنها جزء من بلاده وهدد بالزحف للاستيلاء عليها طلب منى الاستاذ أحمد بهاء الدين رئيس تحرير أخبار اليوم التوجه فورا إلى الكويت لمتابعة تطور الاحداث كان المرحوم كمال الدين رفعت مكلفا فى تلك الفترة بالاشراف على إدارة مؤسسة أخبار اليوم بعد الخلاف الذى ثار بين أمين شاكر الذى تسلم إدارة المؤسسة فى اعقاب تأميم الصحافة وبين استاذينا على ومصطفى أمين صاحبى المؤسسة المؤممة. ولأن كمال رفعت لم يكن متفرغا لهذا العمل لاهتمامه بممارسة العمل السياسى العام باعتباره أحد أركان النظام الحاكم فقد فوض أحد العاملين فى مكتبه وهو ضابط شاب بالقوات المسلحة برتبة يوزباشى أو رائد لايتجاوز عمره ٢٧ عاما بمهمة إدارة مؤسسة أخبار اليوم!! وعندما علم هذا الضابط بتكليفى بالسفر إلى الكويت دون استشارته أبدى استياءه الشديد.. ولكنه ولادراكه قوة العلاقة التى تربط الاستاذ أحمد بهاء الدين

بالمرحوم كمال رفعت تجنب التدخل لوقف المهمة وان كان قد قرر بينه وبين نفسه العمل بطريقة أخرى لتأكيد سطوته ونفوذه.

ورغم العقبات الادارية التى اثارها الضابط الشاب المشرف على مؤسسة أخبار اليوم لتعطيل سفرى إلا أن هذا لم يوقفنى عن القيام بالمهمة ووصلت إلى قلب الاحداث فى الكويت ومارست هوايتى فى التصوير للانفراد بتسجيل عمليات انتشار القوات البريطانية على الحدود العراقية لحماية الكويت من أى هجوم لقوات عبدالكريم قاسم وأرسلت الافلام إلى قسم التصوير فى «أخبار اليوم» لاعدادها للنشر وانتظرت يوما ويومين وثلاثة وأربعة وفوجئت بعدم نشر الصور بل لاحظت أن الاخبار والموضوعات التى كنت أبعث بها إلى الجريدة كانت تنشر فى أضيق الحدود. وكان طبيعيا أن تصيبنى حالة من الاحباط نتيجة لهذا الموقف الغريب.

●●●

وفور عودتى إلى القاهرة توجهت إلى قسم التصوير ثائرا مستفسرا عما حدث وفاجأنى الزميل الصديق أحمد يوسف كبير المصورين بقصة أذهلتنى وأشعلت نيران ثورتى وغضبى قال لى أن الضابط الشاب المفوض على الجريدة كلفه عندما علم بوسائله الخاصة بوصول رسالتى الصحفية من الكويت بتحميض وطبع جميع الافلام وأن يحضرها إلى مكتبه وبالفعل حمل أحمد يوسف الصور والافلام إلى صاحبنا الذى كان زوجا لابنة مسئول كبير تولى إدارة مرفق قومى عالمى وبعد مشاهدة الصور واحدة واحدة هو وبعض أصدقائه ابتسم بخبث وقام بوضع كل الصور مع النيجاتيف فى ظرف كبير ألقى به داخل أحد أدراج مكتبه وهو يقول لا لزوم للنشر .. متشكر جدا.. وخرج أحمد يوسف من مكتب السيد المفوض مذهولا لا يكاد يصدق ما جرى ويجرى للصحافة والصحفيين!!

●●●

وبعد أن سمعت هذه القصة المذهلة أسرعت ثائرا غاضبا إلى الدور التاسع حيث كان يجلس السيد الضابط على مكتب استاذنا مصطفى أمين!! حاول الصول الذى كان

مسئولا عن مكتبه أن يمنعنى من الدخول صرخت بأعلى صوتى منددا ومستنكرا هذا السلوك غير الصحفى .. لعنت الايام التى نصبت علينا فى أخبار اليوم من لاعلاقة له بالصحافة والصحفيين وفاجأت ثورتى وصرخاتى الجميع وعلى رأسهم السيد المفوض. واقنعونى فى النهاية بالتوجه لمقابلة الاستاذ أحمد بهاء الدين الذى قام بتهدئتى ووعدنى عندما حكيت له القصة بابلاغ كمال الدين رفعت بما حدث وقال لى أننى مازلت فى مقتبل العمر وفى بداية حياتى الصحفية وأننى سوف أواجه الكثير من هذه التجارب التى لايجب أن تؤثر على انطلاقى وحبى للمهنة وخرجت من مكتب أحمد بهاء الدين على أمل أن يأخذ لى بثأرى خاصة أنه كان طرفا فى هذه المواجهة.

●●●

ومضت الايام وانتقل ما حدث إلى قائمة الذكريات إلى أن تذكرته فى مناسبة زيارتى للكويت بعد مرور هذه السنوات الطويلة باعتبارها كانت مسرحا لجانب من هذه التجربة المريرة التى واجهتها وواجهها العديد غيرى من الصحفيين الشرفاء الذين فضلوا البقاء فى مواقعهم بصحفهم يقاومون بكل شجاعة .. الارهاب والتدخلات الخارجية فى شئونها انهم بالطبع لاينتمون إلى هذه الفئة من الزملاء الذين يتقمصون هذه الأيام البطولات الزائفة والدخول فى معارك وهمية بالمقالات الرنانة لادعاء الجرأة والشجاعة.. ولكن وللأسف فقد أقدموا على ممارسة هذه اللعبة فى زمن يمسك فيه الصحفيون بزمام العمل الصحفى وتتمتع فيه الصحافة بكل الحرية حتى حرية الافتراء واطلاق المزاعم حتى حول أنفسهم.

وبهذه المناسبة يحضرنى سؤال لا أجد مفرا من توجيهه وهو : أين كانت أقلام هؤلاء السادة الأبطال عندما كان الصحفيون يعانون والصحافة مكممة تواجه العدوان والبطش والتدخلات. اننا لن نفترى مثلهم ولكننا ندعو الله أن يوسع عليهم «الأرزاق»!!

الرعب والفزع .. وسحابة تشيرنوبيل !

***رغم** الكم الهائل من الأنباء والتقارير التى تناقلتها أجهزة الإعلام العالمية حول إنفجار المفاعل النووى السوفيتى «تشير نوبيل» .. فإنه يبدو أن الآثار التى خلفها هذا الحادث كانت أكبر من إدراكنا وأخطر بكثير من حجم اهتمامنا فى مصر.*

ان انطلاق السحابة الاشعاعية التى تولدت عن الانفجار إلى أجواء الكثير من الدول الأوربية أشاع الذعر بين شعوبها التى تدرك عن وعى وعلم مدى خطورة التلوث الاشعاعى على حياتها ووجودها. انهم على يقين ومن خلال تقدمهم العلمى والتكنولوجى ان أخطار هذا الاشعاع لن تقتصر على الجيل الحالى.. ولكنها سوف تمتد إلى عدة أجيال قادمة.

ومن قرية أرجنزهاوزن الألمانية الغربية القريبة من فرانكفورت تلقيت مكالمة تليفونية من الصديق الطبيب المهاجر زايد محمد زايد. وكان من الطبيعى أن تحظى تطورات التلوث الاشعاعى الذى حملته سحابة تشير نوبيل بالجانب الأكبر من حديثنا قال الدكتور زايد أنهم لم يتناولوا أى خضروات طازجة أو ألبان أو لحوم منذ مرور السحابة فى الأجواء الألمانية وما صاحبها من سقوط للأمطار وقال أنهم يعيشون على المعلبات.. وأنه ممنوع على أطفاله الثلاثة اللعب فى حديقة المنزل لأن تعليمات السلامة من التلوث تقضى باغلاق الحجرات على الأطفال بعد عودتهم من المدرسة مباشرة وقال أنه وتحت تأثير الخوف والفزع أصبحوا اشبه بالمسجونين.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٦/٥/١٨.

ومن بون يضيف الزميل محمد فهمى مراسل «الأخبار» فى العاصمة الألمانية بأن الهلع والخوف قد سيطر على السيدات الحوامل فى كل ألمانيا الغربية. إنهن وخوفا من تأثير الاشعاع النووى على الأجنة فى بطونهن لجأن إلى عمليات الاجهاض ضمانا لعدم إنجاب أطفال مشوهين خلقيا.

وفى القاهرة تصادف وجود الصديق المصرى محمد الفقى ـ وهو أيضا من المهاجرين إلى ألمانيا ـ فى الوقت الذى أعلن فيه عن حادث مفاعل «تشير نوبيل» قال أنه اتصل بزوجته وأولاده فى ميونيخ للاطمئنان عليهم فوجدهم فى حالة من الرعب الشديد نتيجة البيانات المتتالية التى تعلن عن ارتفاع معدلات التلوث الاشعاعى بدرجة كبيرة وقال أن الخسائر فى منطقة بافاريا الألمانية ستصل إلى مليارات الماركات خاصة وأنها منطقة زراعية.

وإذا كان هذا هو الحال فى ألمانيا الغربية التى تبعد عدة آلاف من الكيلومترات عن منطقة أوكرانيا التى يوجد فيها مفاعل تشير نوبيل .. فما بال الموقف فى الدول التى تشترك حدودها مع الاتحاد السوفيتى كالسويد والنرويج وفنلندا بالاضافة إلى دول أوربا الشرقية مثل بولندا ورومانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا. لقد أيقظت السحابة الاشعاعية شعوب هذه الدول من أحلامهم هم يعيشون تحت تأثير كابوس ثقيل سوف يشمل تأثيره حياتهم الاجتماعية والاقتصادية لسنوات قادمة.

ان ما تعرضت له هذه الدول لابد وأن يدفعنا إلى أن نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالشكر على لطفه بنا.. فقد نجانا من شرور هذه السحابة التى تحمل الفزع والموت.

الحرب التليفزيونية

تعودنا أن نسمع ونقرأ لسنوات طويلة عن الحرب الساخنة التى تدور فى ميادين القتال والحرب الباردة التى تروجها التصريحات والبيانات والتهديدات المتبادلة بين القوتين العظميين ولكن وبعد التقدم الهائل فى علم الاتصالات يستعد العالم لممارسة حرب من نوع جديد يستخدم فيها الارسال التليفزيونى عبر الأقمار الصناعية ليتخطى الحدود إلى أى دولة فى العالم دون استئذان أو اتفاق مسبق.

بدأت هذه الحرب بين اليابان وبعض الدول الأسيوية المحيطة بها وأخص بالذكر كوريا الجنوبية.

وخلال زيارتي لمدينة سيول عام ١٩٨٣ علمت أن برامج محطات التليفزيون اليابانية القوية يتم استقبالها باستخدام بعض أنواع متقدمة من «الايريال» ونظرا لخوف حكومة (سيول) من تأثير الإعلام الياباني على العادات والتقاليد الكورية.. فقد وضعوا خطة للشوشرة على الارسال التليفزيوني الياباني خصصت لها اعتمادات كبيرة.. ومازالت الحرب دائرة.

وفي لندن أعلن عن مشروع لهيئة الإذاعة البريطانية لاقامة محطة تليفزيونية عالمية تستخدم الأقمار الصناعية تذيع النشرات الاخبارية المصورة إلى جميع أنحاء العالم.

وتعليقا على هذا المشروع قالت الحكومة البريطانية في بيان أمام مجلس العموم أن هناك مشاكل فنية ومالية تعوق تنفيذه في الوقت الحالي.. ولكن المسئولين في هيئة الإذاعة البريطانية أكدوا أنه لا توجد مشاكل فنية وأنها تحتاج فقط إلى زيادة المنحة المالية التي تقدمها الحكومة البريطانية للهيئة حتى يصبح هذا المشروع حقيقة.

إن أحدا لا ينكر الدور الخطير الذي يقوم به التليفزيون في الحياة الاجتماعية لصالح المجتمع ككل ولكن الموقف سوف يختلف عندما تتعرض الشعوب لغزوات تليفزيونية غريبة ولك أن تتصور شعورك عندما يحل عليك وعلى اسرتك في منزلك ضيف غريب دون استئذان أو اخطار سابق .. ألم أقل لك أنها ستكون حربا من نوع جديد.. واللي يعيش ياما يشوف.

صوت أوبرالى مصرى فى «باتايا»

فن *الاوبرا هو قمة الفنون الموسيقية وأرقاها.. عرفت مصر هذا الفن الرفيع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إبان ولاية الخديو اسماعيل الذى تميز حكمه بالانفتاح الثقافى على أوربا.. والذى اتسم فى بعض جوانبه بالتفرنج.*

ومع الاستعدادات التى كانت تجرى على قدم وساق فى ذلك الوقت للانتهاء من مشروع قناة السويس لربط البحرين المتوسط بالاحمر.. صدرت الأوامر الخديوية ببناء أول أوبرا فى مصر تقام فى ميدان إبراهيم باشا بجوار حديقة الأزبكية بالقاهرة وكلف الخديوى الفنان الايطالى الشهير فى ذلك الوقت «فيردى» بإعداد عمل أوبرالى كبير يعرضه على مسرح أوبرا القاهرة فى اطار الاحتفالات الضخمة التى تشهدها مصر بمناسبة افتتاح قناة السويس.. والذى دعى لحضوره ملوك وملكات أوروبا وزار «فيردى» مصر واستلهم خلال زيارته لمعبد الاقصر موسيقى أوبرا عايدة التى أصبحت واحدة من أعظم اعماله الموسيقية الخالدة.

وفى عام ١٨٦٩ احتفل بافتتاح قناة السويس.. وشهد الخديو وضيوفه من زعماء وعظماء العالم فى ذلك الوقت عرض أوبرا عايدة على مسرح الأوبرا.

●●●

تذكرت هذا الحدث الثقافى الذى أصبح جزءا من تاريخ مصر عندما دعانى الصديق الفنان حسن كامى لمشاهدة عرض أوبرا لاترافياتا «غادة الكاميليا» الذى قام

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٦/١٢/٢١.

ببطولته مع الفنانة رتيبة الحفنى ومن إخراج الدكتور أمين فكرى منذ أسبوعين على مسرح الجمهورية وهذا المسرح هو البديل لمسرح الأوبرا الذى دمر تماما فى حريق غامض عام ١٩٧١ وحسن كامى صديق أعرفه منذ الستينيات عندما كان مسئولا عن الخدمات الأرضية لإحدى شركات الطيران فى مطار القاهرة .. بينما كنت وقتها ولعدة سنوات مندوبا «للأخبار» بالمطار ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع صلتنا بالرغم أن لقاءاتنا كانت رهن المناسبات.

وقد جاءت دعوته لى لحضور عرض أوبرا «لاترافياتا» خلال الرحلة التى نظمها وكنت أحد اعضائها لزيارة تايلاند باعتباره الوكيل المسئول عن شركة الطيران التايلاندية كان ذلك فى حديقة فندق «ونج أمات» فى مصيف «باتايا» التايلاندى الذى يعتبر واحداً من أكبر وأجمل مشروعات التنمية السياحية فى تايلاند وخلال تجمعنا لتناول العشاء ارتفع صوت الصديق خفيف الظل الهامى الزيات رجل الأعمال السياحى يدعو حسن كامى لتقديم فاصل أوبرالى وحاول كامى التهرب بكل الطرق من الاستجابة لهذه الدعوة التى لم يتوقعها.. ولكن أصرار الزيات وتشجيع باقى مجموعة الرحلة جعله يستسلم فى النهاية ويتجه إلى عازف البيانو بالمطعم يطلب منه مصاحبته لغناء فاصل أوبرالى أيطالى.

●●●

وانطلق حسن كامى يغنى وبعد لحظات تقمصه الدور وارتفع صوته عاليا رائعا ليتردد صداه فى جنبات الحديقة الشاسعة.. وتجمع السياح المقيمون فى الفندق والذين يمثلون كل الجنسيات وتعالى التصفيق من كل ناحية.. من داخل المطعم ومن خارجه ومن الشرفات التى تطل على الحديقة استمر هذا المشهد نصف ساعة كاملة.. لينتهى بأجمل دعاية لمصر وسط دهشة كل الاجانب الذين لم يكونوا من يتوقعون أن يكون هذا المغنى الأوبرالى الرائع الاداء.. مصرياً.

وفى هذه الليلة وعندما جلس كامى معنا على مائدة العشاء.. قال لنا أنه سوف يدعونا لحضور عرض أوبرا «لاترافياتا» فى القاهرة بعد عودتنا وبالفعل وبعد عودتنا

تلقينا الدعوة وتجمعنا مرة أخرى فى مسرح الجمهورية لمتابعة حسن كامى بطلا لغادة الكاميليا.. وكان عرضا رائعا يفوق كل تصور تميز بالاداء العظيم لكل من شارك فيه.

●●●

وأوبرا «لاترافياتا» مستقاة من قصة حقيقية دارت أحداثها فى باريس عام ١٨٤٠ بطلتها غانية اسمها الفونسين بلبيسيس وتعرفت هذه الغانية من خلال الحفلات التى كانت تقيمها ويحضرها علية المجتمع الفرنسى بالقصاص الشاب الكسندر دوماس (الابن) الذى خلد قصة غرامها فى عمل قصصى كبير نشر عام ١٨٤٨ تحت عنوان «غادة الكاميليا»، وأعجب الفنان الموسيقى جوييى فيردى بالقصة فحولها إلى أوبرا موسيقية عالمية قام باعداد النص الشعرى لها الفنان الايطالى فرانشيسكو بيافى وتم أول عرض لها فى عام ١٨٥٣ .. فى مدينة البندقية «فينيسيا» بايطاليا.

وقد خلدت السينما المصرية قصة غادة الكاميليا بفيلم «ليلى» الذى قامت ببطولته الفنانة العظيمة ليلى مراد وشاركها البطولة الفنان الراحل حسين صدقى.

وبالطبع فإن هناك فرقا كبيرا بين العرض الأوبرالى الذى له طبيعته الشاعرية التى تجعل تذوقه وقفا على قطاعات محدودة من الخاصة وبين العرض السينمائى الذى يهدف إلى اجتذاب أكبر قدر من اهتمام الجماهير.

تفصيل بدلة .. سيم.. سيم

منذ اللحظة الأولى التى تطأ فيها قدماك أرض مملكة سيام «تايلاند» .. سوف تطاردك فى كل مكان تزوره دعوات التايلانديين لزيارة مراكز «المساج» أو محلات تفصيل البدل والتى يتم تسليمها خلال ٢٤ ساعة ويمثل قصر الوقت الذى يحتاجه التايلاندى لتفصيل بدلة لأى سائح عنصرالاغراء نسبة لجميع السياح بما فيهم القادمون من مصر.. أما الثمن المطلوب فإنه يغرى سياح أمريكا وأوربا بينما يتردد أمامه السياح المصريون أمثالنا بسبب ارتفاع سعر العملة بالنسبة للجنيه المصرى بالاضافة إلى ارتفاع مستوى انتاج البدل الجاهزة فى مصر وانخفاض ثمنها بنسبة ٣٥٪ عن تكلفتها فى تايلاند ويبلغ ثمن البدلة الصيفى العادية قماشا وتفصيلا حوالى

٨٠ دولاراً .. (١٥٥ جنيها) أما البدل الصوفية فهى غير متوافرة وإن وجدت فإن ثمنها لا يقل عن ١٣٠ دولارا أمريكيا(٢٥٠ جنيها) أما بدل سفارى، الصيفية فإنها الشىء الوحيد الذى يناسبنا كمصريين جوا وسعرا.. حيث يتراوح سعرها ما بين ٢٠ دولارا و ٣٥ دولارا.

●●●

وينصح الأصدقاء المقيمون فى تايلاند باللجوء إلى الترزية الصينيين فى حالة قبول أى دعوة لتفصيل أى نوع من البدل أو القمصان أنهم يقولون أن الترزى الصينى دقيق وملتزم وحتى لاتصطدم بالعيوب التى تظهر فى البدلة التى يتم تفصيلها كاملة خلال ٢٤ ساعة.. فإنهم يؤكدون على ضرورة أن تقدم للترزى إحدى البدل ذات المقاس المضبوط عليك.. ليسترشد بها عند التفصيل وعليك عندما تقدم له هذه البدلة النموذج أن تقول له بالإنجليزية SAME SAME،سيم سيم، أى طبق الأصل أنك بهذه الطريقة توفر وقتك وتضمن راحة اعصابك من كثرة التصليحات المطلوبة إذا ما اعتمد الترزى على المقاس الذى أخذه لك.

وينتشر هؤلاء الترزية السياحيون فى جميع الفنادق.. فجميع المحلات الموجودة فى هذه الفنادق حتى التى تبيع الشيكولاتة تقوم إلى جانب ذلك بتفصيل البدل!! وقد ذكر لى أحد التايلانديين أن عدد الذين يعملون فى مهنة الترزية بالعاصمة بانجوك يبلغ حوالى ١٠٠ ألف تايلاندى وتذكرت فى هذه اللحظة تلك المهنة التى تكاد تختفى فى مصر.. بسبب الارتفاع الكبير فى الثمن الذى يطلبه الترزى وأزمة توافر الصبية والعمالة المدربة.

التك تك لحل أزمة المواصلات

كثيرا ما سمعت من بعض خبراء السياحة المصريين أن الزحام فى شوارع القاهرة ومشاكل البيئة الاساسية من أهم معوقات السياحة فى مصر.. ولكننى اكتشفت عدم صدق هذه الادعاءات بعد ثلاثة أيام عشتها فى بانجوك عاصمة تايلاند.. الزحام طوال النهار وحتى ساعة متأخرة من الليل يكاد يخنق شوارعها وجميع سكانها

وزوارها من السياح المشوار الذى لايتجاوز طوله كيلو مترين فقط يحتاج فى معظم أوقات النهار إلى ساعة بالسيارة.

وإذا كنت تنوى السفر بالطائرة.. فإن عليك أن تبدأ رحلتك إلى المطار قبل موعد اقلاع الطائرة باربع ساعات على الأقل.. أولا لأن الرحلة من الفندق إلى المطار تستغرق فى بعض الأحيان حوالى ساعة ونصف ساعة.

كما أن اجراءات الأمن على الركاب تستغرق هى ايضا فى بعض الرحلات حوالى الساعة والنصف ساعة.

وأستطيع أن أقول أن الزحام فى القاهرة لا يمثل شيئا يذكر أمام زحام بانجكوك.

●●●

ورغم مشكلة الزحام.. فإن سيل السياح المتدفق على تايلاند لا يتوقف معظم شهور السنة، ويحسب للحكومة التايلاندية أن جهودها للتخفيف من أزمة المرور فى العاصمة لا تتوقف. أن هناك العديد من مشروعات اقامة الانفاق والكبارى العلوية التى يجرى تنفيذها فى المدينة من أجل تحقيق سيولة المرور.

وفى اطار أزمة المرور المستحكمة فى مدينة بانجكوك وبعد الارتفاع الكبير فى مستوى المعيشة .. تحولت «الركشة» التى كانت تستخدم النقل الركاب إلى موتوسيكل بعربة لقد كانت «الركشة» عبارة عن عربة يجرها إنسان.. تجوب الاسواق لنقل الركاب.

●●●

وقد استطاعت تايلاند والهند أن تحل مشكلة المواصلات الداخلية فى مدنها الكبرى بهذه الركشة الجديدة التى تعمل بالبنزين وتتميز هذه الركشة التى يسمونها فى تايلاند (تك تك) بصغر حجمها وعدم شغلها لمساحة كبيرة فى الشوارع وهى تستوعب ثلاثة ركاب بالاضافة إلى أن تعريفتها تقل بنسبة ٥٠٪ عن تعريفة التاكسى العادى.

وإذا كانت سيارة التاكسى يصل ثمنها إلى ١٥ ألف جنيه فإن عربة «تك تك» والتى تقوم بنفس المهمة وبسعر أقل بكثير يصل ثمنها إلى ١٥٠٠ جنيه فقط.

البرازيل .. ودعوة لا يمكن رفضها !

هواية *السفر متعة ثقافية وترويحية يصعب مقاومتها. هذه الهواية قد تتحول بمرور الوقت إلى أدمان.. ولكنه أدمان حميد محبب له فوائده وايجابياته... أما سلبياته فإنها تتركز في اعبائه المادية.*

والسفر بالنسبة للصحفى يمثل اضافة ثقافية وخبرة مهنية ومتابعة اعلامية لاحداث العالم. والرحلة الصحفية لها شقان.. الشق الأول خاص برحلات هدفها تغطية الاحداث الصحفية العالمية والاقليمية.. والشق الثانى خاص بالدعوات التى توجه لاهداف اعلامية أو ثقافية أو دراسية تتعلق بانشطة معينة.

وفى السنوات الأخيرة شهد سوق السفر ارتفاعا هائلا فى التكلفة... سواء نتيجة الزيادة الهائلة فى أسعار النقل الجوى أو الاقامة والمعيشة، وترتب على هذا التطور زيادة الاعباء على عباد الله الذين زحفت إليهم رياح الأزمة الاقتصادية العالمية مما جعلتهم يعيشون فى رعاية عملة وطنية فقدت الجانب الأكبر من قيمتها أمام العملات الأجنبية.

●●●

وأمام العقبات المادية فإنه لم يعد من السهل القبول المطلق لدعوات الرحلات الخارجية فرغم أن الجهة الداعية تتكفل بكل المصاريف إلا أن الأمر لا يخلو من الحاجة إلى مصاريف خاصة لا يستهان بها. وتجنبا للمشاكل التى تترتب على قبول

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٧/٥/١٧.

الدعوات... فإنه لابد من التريث والتفكير والاختيار بين الدعوات التى قد توجه للرحلات الخارجية. ولكن هناك دعوات لزيارة دول معينة لا يستطيع الإنسان أن يرفض تلبيتها مهما كانت الظروف إنه وأمام الاغراء والجاذبية والفرصة الفريدة يجد نفسه عاجزا تماما عن استخدام العوامل التى ذكرتها لاتخاذ قرار الرفض أو القبول وبدون تريث أو تفكير يختار قبول الدعوة وليحدث ما يحدث من ازمات مالية.

تعرضت لهذا الموقف منذ شهر تقريبا عندما تلقيت دعوة الصديق أميل عزت مدير الخطوط الجوية الاسكندنافية لزيارة البرازيل ضمن وفد صحفى مصرى قبلت الدعوة على الفور وبلا أى تردد حيث أن البرازيل من الدول التى تستهوى زيارتها أى هاو للسفر.. أولا للمسافة الكبيرة جدا التى تفصلها عن مصر بالاضافة إلى ما يحيط بأسمها من حكايات باعتبارها من دول الهجرة.. وقد أضاف قرار البرازيل بوقف تسديد ديونها التى بلغت ١٠٨ مليارات دولار بعدا وأهمية صحفية خاصة لهذه الزيارة

وقبل موعد الرحلة بأسبوعين اتصل بى اميل تليفونيا ليبلغنى صعوبة ايجاد أماكن للاقامة فى فنادق ريودى جانيرو لاعضاء الوفد الصحفى الذى سأكون أحد أعضائه. وقال انه يفكر فى أن تكون وجهة الرحلة لوس انجلوس فى ولاية كاليفورنيا الامريكية بدلا من ريودى جانيرو. وعلى الفور وبدون أدنى تفكير اعتذرت له عن قبول الدعوة مبررا ذلك بأن زيارة لوس انجلوس لا تجذبنى خاصة أننى قد اتيحت لى زيارتها أكثر من مرة، وبعد أسبوع عاد أميل ليتصل بى تليفونيا مبشرا بالعثور عن فندق فى ريودى جانيرو وأن كل شئ أصبح معدا للرحلة ، وقررت أن أكون عضوا فى الوفد الصحفى المسافر إلى البرازيل .. دولة أمريكا الجنوبية العملاقة.. ولتكن اجازة وعملا صحفيا فى نفس الوقت. ولأن الخطوط الاسكندنافية لا يوجد لها خطوط مباشرة من القاهرة.. فقد تضمن خط سير الرحلة مغادرة القاهرة على الطيران التايلاندى إلى زيورخ ثم بالطيران الاسكندنافى من زيورخ إلى كوبنهاجن.. لنتوقف ثلاثة أيام قبل أن تأخذنا الطائرة مباشرة إلى ريودى جانيرو. ويبدو أن الرحلة كانت مثار للحسد.. فقد بدأت ببعض المتاعب غير المتوقعة فى مطار القاهرة. كان مقررا أن نغادر المبنى الجديد فى الساعة الخامسة صباحا تجمعنا بعد انهاء الاجراءات فى صالة السفر انتظارا

لوصـول الطائرة، وفى السـاعـة الرابعـة والنصف صـبـاحـا أخطرونا بأن الطائرة التايلاندية والتى سنركبها ومع بعض الطائرات الاخرى قد حولت طريقها إلى مطار الاقصر بسبب «الشبورة»التى غطت مطار القاهرة كان معنى هذا أن يتعطل سفرنا حتى تعود الطائرة من الاقصر. وأمضينا فى الاستراحة بمبنى المطار نقاوم التعب والنعاس إلى أن قدر الله أن تبدأ رحلتنا فى الساعة ١١ صباحا إلى زيورخ متأخرة عن موعدها ٦ ساعات

•••

كانت الرحلة مسلية فقد استغرقت أربع ساعات أمضينا منها ساعتين فى مشاهدة فيلم سينمائى مثير وصلنا إلى زيورخ لنجد أن الطائرة التى كان مقررا أن نستقلها إلى كوبنهاجن قد غادرت المطار بسبب تأخر قيامنا من مطار القاهرة وأسرع اميل عزت ليجد لنا أماكن على طائرة ركاب سويسرية تغادر مطار زيورخ فى الخامسة مساء. وفى الساعة السابعة مساء وصلنا إلى كوبنهاجن لنجد عددا من المسئولين فى السفارة المصرية فى انتظارنا. قالوا أن هناك حفل استقبال اقامه على شرفنا السفير ممدوح زكى فى بيته دعا إليه عددا من المسئولين والصحفيين الدنماركيين. وقال أن موعد الحفل حدد فى الساعة السادسة مساء على أساس أنه كان من المقرر وصولنا فى الساعة الرابعة مساء إلى كوبنهاجن.

وبعد مشاورات وحتى لا يطول انتظار المدعوين تقرر أن يتوجه وفدنا الصحفى من المطار مباشرة إلى الحفل على أن تسبقنا حقائبنا إلى الفندق. وكان معنى هذا أن نحضر الحفل وقد بدا علينا الارهاق نتيجة الحرمان من النوم والانتظار القلق فى مطارى القاهرة وزيورخ.

ووصلنا إلى حفل السفير لتفيقنا الحفاوة واسئلة المدعوين من حالة الاغفاء التى كنا عليها وفى محاولة للحفاظ على يقظتنا واستعادة نشاطنا وهندامنا... تسلل كل واحد منا إلى دورة المياه ليغتسل ويزيل حالة «الوخم» التى ألمت به وبالطبع فإننا لم نستطع أن نستمر طويلا فى مقاومة التعب والرغبة فى النوم.

وتفهم السفير والمدعوون ظروفنا عندما أستأذنا فى مغادرة الحفل. وفى السيارة التى اقلتنا إلى الفندق لم تكن هناك أى قدرة على تبادل الدردشة أو الحديث.. وكل ما فعلناه هو تبادل التحية والاتفاق على اللقاء فى التاسعة صباحا فى ساحة الفندق. وصعد كل واحد منا إلى حجرته وكأنه منوم مغناطيسيا ليستسلم بكل الشوق للنوم دون أدنى مقاومة. وعندما استيقظت فى الصباح وتذكرت مامر بنا فى اليوم السابق.. لم أصدق حجم المعاناة التى لاقيناها بسبب الشبورة اللعينة التى أصبحت من لوازم مطار القاهرة هذه الأيام ولم نكن نسمع بها من قبل ولكن قلت لنفسى أن كل شئ يهون من أجل رحلة البرازيل ذلك الاسم الذى يحمل كل مقومات الاثارة بالنسبة لى كصحفى وواحد من هواة السفر.

•••

وكما قلت فقد تضمن برنامج الدعوة قضاء ثلاثة أيام فى كوبنهاجن قبل التوجه إلى ريودى جانيرو العاصمة السابقة للبرازيل وعاصمة التجارة والمال فى الوقت الحالى. وكانت الايام الثلاثة فرصة لمشاهدة بعض المعالم البارزة فى عاصمة الدنمارك وزيارة المؤسسات التى لها علاقة بمصر وهناك الكثير مما يمكن الحديث عنه من خلال اقامتنا فى الدنمارك بالاضافة إلى يوم رابع كان لابد من أن نضيفه إلى هذه الايام الثلاثة عند عودتنا من ريودى جانيرو فى طريقنا إلى القاهرة. على كل حال فسوف تتاح لنا الفرصة لتناول مشاهداتنا فى كوبنهاجن بعد الانتهاء من أحداث وجهتنا الرئيسية وهى البرازيل. ان كل ما استطيع أن أقوله أن هذه الاقامة كانت فرصة طيبة للراحة والاستجمام والاستعداد لعبور الاطلنطى إلى ريودى جانيرو فى رحلة تستغرق ١٣ ساعة من الطيران المستمر.

•••

لقد أقلعت طائرتنا الاسكندنافيه العملاقة «دى. سى ١٠» من مطار كوبنهاجن فى العاشرة وعشر دقائق مساء فى بداية رحلتها الطويلة إلى رديوى جانيرو. ونظرا لطول الرحلة وارتفاع عدد ساعات الطيران فقد شمل برنامج الطيران التوقف فى لشبونة عاصمة البرتغال لمدة ساعة من أجل استكمال التزود بالوقود الذى يؤمن ساعات

الرحلة بالاضافة إلى فائض مناسب لأى طوارئ ووصلنا لشبونة بعد ثلاثة ساعات من الطيران. انهـا تمثل نقطة الارتكاز على المحيط الاطلنطى والتى انطلقت منهـا رحلات البرتغاليين منذ مئات السنين لاحتلال البرازيل وفرض اللغة البرتغالية على سكانها بعد ذلك.

وغـادرنا لشبـونة مـحلقين فـوق المحـيط الاطلنطى فى اتجـاه ريودى جـانيـرو فى الطرف الجنوبى من البـرازيل التى تقع فى الشمـال الشرقى لقـارة أمـريكا الجنوبيـة وتحتل حوالى نصف مساحتها. وانطلق صوت قائد الطائرة بعد أن استقر ارتفاعها عند ٣٣ ألف قدم وهو الارتفاع المقرر للرحلة.. متحدثا إلى الركاب فى الميكروفون. قال أن ساعات الطيران ١٠ ساعات وأن الجو خـلال الرحلة سوف يكون طيبا وأن كان ينصح بربط الحزام طوال جلوسنا فى الكراسى. وقال الكابتن أنه يقدر وصولنا إلى ريو فى حوالى الساعة الخامسة والنصف صباحا بالتوقيت المحلى للبرازيل.. وهو يسبق توقيت الدنمارك بخمس ساعات فعندما تكون الساعة العاشرة مساء فى كوبنهاجن... تكون السـاعـة فى ريودى جـانيرو الخـامسة مـساء أن مـعنى هذا أننا سـوف نصل فى الوقت الذى يبـدأ فيـه البـرازيليون الاستـيـقـاظ من نومـهم..بينمـا تكون السـاعـة فى كوبنهاجن العاشرة صباحا.

وبالطبع فقد كانت الطريقة الوحيدة لقضاء الوقت هى محاولة النوم.. وهى مهمة صعبة ليس كل مسافر قادرا عليها .. ولكن ليس هناك ما يمنع من الاقدام على هذه المحاولة لاستثمار وقت الرحلة فى الراحة حيث لا وقت للتعب أو النعاس بعد الوصول إلى ريودى جانيرو.

●●●

ونظرا لاننى لست من الذين ينامون بسهولة فى الرحلات الجوية.. فإن أملى فى العثور على النوم لم يكن كبيرا ولكن ولأول مرة وبعد انتهاء عرض الفيلم السينمائي وجدت نفسى أغفوو أستيقظ.. ثم رحت فى سبات عميق ولم يعكر صفو غفوتى العزيزة سوى صوت الصديق طارق فوده نائب رئيس تحرير آخر ساعة ورفيق الرحلة الذى لم يتـوقف عن الكلام أو الحركـة منذ غـادرنا القـاهرة. لقـد آل على نفسـه أن يحـرم كل

أعضاء الوفد من النوم بعد أن فشل فى الحصول عليه وكنت من وقت لآخر أحس به وأنا نصف نائم يحملق فى وجهى للتأكد إن كنت نائما أم مستيقظا وكنت لا أقول له شيئا حتى لا أعطيه أى فرصة للدردشة وتضييع فرصتى فى استئناف غفوتى.

●●●

وفى حوالى الساعة الرابعة صباحا بتوقيت البرازيل الساعة التاسعة صباحا بتوقيت الدنمارك وهو نفس توقيت القاهرة. أضيئت الانوار داخل الطائرة استعداد لتقديم الافطار والقهوة وكان طارق فودة أسعد الناس باستيقاظ الركاب ليتخلص من وحدته وزمجرة زملاء الرحلة كلما حاول ايقاظ أحد منهم .. وحلقت الطائرة فوق ريودى جانيرو التى كانت أضواؤها تسطع من تحتنا. وفى حوالى الخامسة والنصف صباحا هبطت الطائرة بسلامة الله.. وبدأت وقائع الزيارة المرتقبة للبرازيل..

شعب .. حياته الرقص والغناء !!

منذ *اللحظة التى وطئت فيها قدماى أرض البرازيل اكتشفت أن شعبها غريب وفريد من نوعه.. انه يضع كل الهموم وراء ظهره بعيش ليومه يضحك.. يرقص السامبا.. يغنى يلعب ويشجع كرة القدم بصورة جنونية.*

أن عدد سكان البرازيل ١٣٥ مليون نسمة يعيشون على أرض غنية جدا أنعم الله عليها بالخيرات الوفيرة التى لو توافر لها حسن الاستثمار والاستغلال لدفعت بدولة البرازيل إلى مصاف الدول الكبرى.

الاوضاع السياسية وسوء التخطيط للمستقبل وسيطرة الطموحات المتعجلة ونزعات الفساد التى هى من معالم السلوكيات فى هذه المنطقة.. كلها عوامل كان لها أثرها السلبى على الاوضاع الاقتصادية العامة وتفاقم أزمة الديون الخارجية حتى بلغت ١٠٨ مليارات دولار تصل اعباؤها السنوية إلى ٢٠ مليار دولار ولم يكن من مهرب أن تنعكس نتائج الحالة السيئة التى وصل إليها الاقتصاد البرازيلى على حياة الناس المعيشية كوضع طبيعى لارتفاع معدلات التضخم والقفزات الكبيرة فى الأسعار على كل حال فليست اليوميات مجالا للعودة إلى استعراض هذه القضية التى تعيشها البرازيل بعد قرار حكومتها بالتوقف عن سداد ديونها الخارجية خاصة أننى تناولتها فى تحقيق صحفى شامل نشر بالاخبار فى بداية هذا الشهر بعد عودتى من رحلة الخمسة الأيام إلى البرازيل.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٧/٥/٢٤.

كوباكوبانا

وفى يومياتى السابقة تحدثت عن وقائع بداية هذه الرحلة المثيرة من القاهرة عبورا بزيورخ وكوبنهاجن ولشبونة إلى ريودى جانيرو التى وصلناها فى الخامسة والنصف صباحا بعد رحلة جوية استغرقت ١٣ ساعة من الطيران المستمر منها عشر ساعات فوق المحيط الاطلنطى وفى الفندق الذى اختير لاقامتنا فى ريو عاصمة البرازيل الاقتصادية توجه كل واحد منا نحن اعضاء الوفد الصحفى المصرى إلى حجرته. ويبدو أن ساعات الغفوة خلال رحلة الطائرة الطويلة قد وفرت لى كفايتى من الراحة لذلك أحسست بعدم الرغبة فى النوم. كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحا، ولم أتمالك نفسى عندما توجهت إلى شرفة الحجرة.. وجدت نفسى أقول.. سبحان الله.. ما هذا الجمال.. ما هذه الروعة. لقد اكتشفت أن الفندق يواجه شاطئا يمتد يمينا ويسارا لعدة كيلو مترات. بينما تنتشر الجبال الخضراء على جوانب الخليج الذى يقع عليه هذا الشاطئ وعرفت من النشرات التى عثرت عليها داخل الحجرة أنه شاطئ كوباكوبانا أشهر شواطئ ريودى جانيرو على المحيط الاطلنطى. إنه يتميز باتساع الرقعة الرملية التى يصل عمقها إلى أكثر من ٣٠٠ متر ورغم أن الوقت كان مبكرا ألا أننى لاحظت ازدحام الشاطئ باعداد كبيرة من المصيفين بشكل غير طبيعى، ولم تدم دهشتى طويلا بعد أن تبين لى أننا فى صباح الأحد وهو يوم عطلة فى البرازيل حتى فى أيام العمل فقد لاحظت ان أعداداً غير قليلة من البرازيليين يمضون وقتا كبيرا من النهار على الشاطئ.

●●●

رياضة المشى.

ولكن الذى اثارنى حقيقة طوال زيارتى لريودى جانيرو هو ممارسة الالاف من أبناء هذه المدينة لرياضة المشى والجرى صباحا ومساء لقد كنت أتابع أفواجهم بكثرة وهم يمشون ويجرون على رصيف الكورنيش منذ ظهور الشمس فى السادسة صباحا وتقل أعدادهم خلال النهار خاصة فى حالة شدة الشمس ثم يتضاعفون مرة أخرى من غروب الشمس وحتى العاشرة مساء ولعل من الاسباب التى تشجعهم على ممارسة

هذه الرياضة اتساع رصيف الكورنيش وعدم وجود حفر فى البلاط الجميل الذى يغطيه بالاضافة إلى امتداده لاكثر من ١٠ كيلو مترات وبمناسبة الحديث عن الكورنيش فإنه يشبه إلى حد كبير كورنيش الاسكندرية ولكن هناك فرق كبير. أن عرضه يساوى ثلاثة أضعاف كورنيش الاسكندرية إلى جانب وجود ارصفة عريضة على جانبيه تعطى فرصة للمارة للمشى والنزهة بدون أى مشاكل.

●●●

تمثال للمسيح

ومدينة ريودى جانيرو كانت عاصمة للبرازيل حتى بداية أواخر الستينيات عندما أقاموا مدينة برازيليا على أحدث النظم العمرانية فى العالم وأصبحت هى العاصمة. ورغم أن ريو لم تعد العاصمة منذ ما يقرب من ٢٧ عاما إلا أنها مازالت العاصمة الأولى اقتصاديا وثقافيا كما أنها أكثر المدن اجتذابا للزوار والسياح من كل أنحاء العالم، ويبلغ تعداد سكان ريو ٤ ملايين نسمة. وهى تعتبر واحدة من أكبر مدن أمريكا الجنوبية والعالم ويمثل ميناؤها الكبير أهمية كبيرة فى حياة البرازيليين وتجارتهم مع العالم الخارجي واسم ريودى جانيرو يعنى «شهر يناير» وقد اطلق على هذه المدينة الجميلة عام ١٥٠٢ بعد عامين فقط من اكتشاف البرازيل بواسطة البرتغاليين.

وتستمد ريودى جانيرو سحرها وجمالها من البحر والبحيرات وسلسلة الجبال الخضراء التى تحيط بها من كل جانب. ومن أشهر معالم هذه المدينة البرازيلية تمثال المسيح الذى يبلغ ارتفاعه ٣٨ مترا ويحتل أعلى قمة جبل كروفادو. صمم وجه التمثال ويديه مثال فرنسى ونقلت هذه القطع من فرنسا إلى البرازيل ثم استكمل مثال برازيلى بقية التمثال فوق قمة الجبل التى تطل على كل أنحاء المدينة. هذا التمثال العملاق الذى يعتبر معجزة فنية أقيم كرمز إلى السلام الذى يجب أن يسود العالم..

ومن المؤكد أن انتماء غالبية البرازيليين (٨٠٪) إلى المسيحية الكاثوليكية كان أحد أسباب أقدامهم على أقامة هذا التمثال.

●●●

مدينة لا تنام

ان ريودى جانيرو مدينة لا تنام نوادى الديسكو والاستعراضات والمطاعم تعمل طوال الليل وحتى الصباح. الحركة فى شوارعها لا تتوقف ولا تخلو ابدا من المارة أو السيارات وفى كل شارع بل فى كل حارة تنساب إلى أذنيك موسيقى السامبا التى يرقص عليها البرازيليون لقد ترك الشعب البرازيلى لحكومته وسياسييه مهمة التخلص من القلق والمشاكل التى سببتها الورطة الاقتصادية لينغمس بكل جوارحه فى الاستمتاع بحياته ولست أعنى بذلك أنه شعب يلهو دون أن يعمل أو ينتج بل على العكس فقد حقق الشعب البرازيلى خلال السنوات الـ٢٥ الماضية نهضة صناعية هائلة تضارع ما وصلت إليه الدول الأكثر تقدما فى العالم.. لقد استطاع هذا الشعب أن يجمع بين اللهو والانتاج ،وليس الاستمتاع بالحياة والمرح هما عناصر الشخصية البرازيلية وحدها بل يمكن أن نضيف إلى ذلك سماحة البرازيليين واستعدادهم للترحيب بضيوفهم الاجانب وتقديم أى معاونة لهم دون انتظار أى مقابل .

صحيح أن الأزمة الاقتصادية قد ألقت بظلها على بعض جوانب الحياة فى البرازيل إلا أن هذا لم يغير من طبيعة هذا الشعب.

●●●

كرنفال فبراير

وفى اطار الاقبال على الحياة من كل فئات الشعب فى البرازيل بصفة عامة وفى ريو بصفة خاصة وعلى جميع المستويات أغنياء وفقراء فإنهم جميعا يشاركون فى مهرجانات الكرنفال التى تقام فى فبراير من كل عام وقد شاهدت فيلما عن هذا الكرنفال فى التليفزيون المصرى قبل سفرى إلى ريودى جانيرو. ان هذه المناسبة تفوق كل المناسبات التى يحتفل بها البرازيليون على مدى أربعة أيام ليلا ونهارا، انه احتفال صاخب مصحوب بالغناء والرقص والأزياء التنكرية الغريبة المثيرة.

ان كل برازيلى أو برازيلية غنيا أو فقيرا يدخر من دخله طوال العام ما يمكنه من المشاركة فى هذه المهرجان الذى يجتذب عشرات آلالاف من السياح من جميع أنحاء العالم ويعيش الشعب البرازيلى على أحداث هذا الكرنفال حتى موعد الكرنفال التالى.

يكرهون الحروب

وأبناء البرازيل على عكس كل شعوب أمريكا اللاتينية يكرهون الحروب وكل مظاهر الارهاب والعنف ولم تعرف هذه الدولة فى تاريخها ثورة دموية أو اغتيالا لزعيم سياسى أو ارهابا أو حرب عصابات حتى عندما تولى الجيش الحكم منذ ٢٥ سنة فإنه لم يستخدم السلاح.. وكذلك عندما تخلى الجيش عن الحكم عام ١٩٨٥ فلم يحدث أية صدامات وشعب البرازيل يضم العديد من الأجناس والديانات الوافدة مع الهجرات المتعاقبة إليها من كل أنحاء العالم وبمرور الزمن انصهرت كل الأجناس وامتزجت فى بوتقة واحدة شكلت الشخصية البرازيلية. والشعب البرازيلى يضم سلالات الهنود الحمر وهم السكان الأصليين والبرتغاليين المستعمرين الأوائل للبلاد والافارقة الذين أتى بهم البرتغاليون لفلاحة الأرض وكذلك المهاجرون الايطاليون والألمان والبولنديون والبريطانيون والأسبان بالاضافة إلى ستة ملايين من عرب سوريا ولبنان وحوالى ثلاثة آلاف مصرى ويتجمع معظم المهاجرين العرب فى مدينة سان باولو العاصمة الصناعية للبرازيل ومعظمهم يعملون فى صناعة النسيج.. وقد وصل عدد كبير من العرب إلى مناصب قيادية فى كل مجالات الحياة.

●●●

من هم الكاريوكا

وتقدر نسبة البيض فى البرازيل بـ ٥٤٪ من عدد السكان بينما تصل نسبة السود إلى ٦٪ والهنود الحمر إلى ٢٣٠ ألفا أما باقى السكان (٣٩٪) فهم من «المولاتو» وهى مشتقة من الكلمة العربية «المولدون» أى الخليط وهذه الفئة هى ثمرة التزاوج بين البيض والزنوج والهنود الحمر ولون بشرتهم أقرب ما يكون إلى لون بشرة العرب، والحديث عن أصل الشعب البرازيلى لابد أن يجرنا إلى الحديث عن «الكاريوكا» وهى كلمة كثيرا ما يسمعها الزائر لمدينة ريودى جانيرو. فى المطاعم والمقاهى وفى الشوارع تسمع من يشير إلى أحد البرازيليين بأنه «كاريوكا» وعندما سألت عن حكاية هذه التسمية التى تلتصق بأذهاننا نحن المصريين باسم الفنانة الكبيرة «تحية كاريوكا» كان الرد الذى سمعته من صديق مصرى من المهاجرين إلى البرازيل أن هذا اللقب

يطلق على كل من يحمل الجنسية البرازيلية ومن أهل ريودى جانيرو كما أنهم يصفون كل فتاة برازيلية لها قوام جذاب تتمايل أثناء سيرها بأنها «كاريوكا» أى برازيلية أصيلة من ريودى جانيرو.

والظاهرة المثيرة للانتباه عند البحث فى موضوع تعدد الأجناس فى المجتمع البرازيلى أن الزنوج البرازيليين لا يحتلون أى مناصب قيادية فى الدولة. انهم لا يشغلون مناصب وزارية أو قضائية أو دبلوماسية.. كما أنهم لا يميلون إلى العمل فى مهن الاطباء والأساتذة والمحامين وقادة الجيش ويفضل الزنوج البرازيليون ممارسة كل المهن المتصلة بالفنون.. الموسيقى.. الغناء.. الرقص. أنهم بالفعل يسيطرون على الفنون التى تعتبر ممارساتها جزءا من الشخصية البرازيلية التى تجتذب مئات الألوف من السياح لزيارة البرازيل. ورغم وجود هذه الظاهرة.. فإن المجتمع البرازيلى لم يعد يعترف بالتعصب للون أو الجنس.. بل أن كثيرا من البرازيليين البيض يفتخرون بأنهم من المولاتو أى من المولدين نتاج التزاوج المختلط بين البيض والسود والهنود.

إنه شــعب مــجنون بالكرة !!

***لا** يمكن بأى حـال أن يجرى حـديث عن زيارة للبـرازيل دون اشـارة رئيسية إلى رياضة كرة القدم. إن هذه الهواية الرياضية تأتى على رأس قائمة القضايا التى تثير جنون أى برازيلى.ان مباريات الكرة فى الملاعب أو أثناء عرضها بالتليفزيون هى مهرجانات للاقبال والحماس الشعبى.*

ويمكن لأى زائر أن يكتشف مدى ارتباط هذه الرياضة بحياة ابناء البرازيل من آلاف «الأجوال» المقامة على طول الشواطئ التى تستخدم فى مباريات المنافسة بين فرق كرة القدم. ان فى البرازيل آلاف النوادى ومئات الآلاف من لاعبى كرة القدم المسجلين بها ورغم اعتزال الملك بيليه للعب الكرة منذ عدة سنوات إلا أن حلم كل لاعب برازيلى أن يصبح بيليه جديدا. ان لعبة كرة القدم هى واحدة من أهم هوايات المواطن البرازيلى بجانب الرقص والغناء والاستمتاع بالحياة ولعلنا فى مصر نذكر بيليه الملك البرازيلى الذى توج على عرش كرة القدم فى العالم لسنوات طويلة، وقد كان لاستاذنا الكبير مصطفى أمين مؤسس صحف ومجلات أخبار اليوم مبادرة دعوة الفريق البرازيلى للعب مع الفرق المصرية فى أواخر الخمسينيات وشاهد جمهور الكرة المصرى فى ذلك الوقت مباريات الفريق البرازيلى عندما كان فى قمة مجده لقد كنت فى ذلك الوقت فى بداية حياتى الصحفية فى أخبار اليوم.. ولهذا كان من الطبيعى أن يكون هذا الحدث واحداً من أهم الذكريات الصحفية التى عشتها ومارستها بين اساتذتى وزملائى من أسرة أخبار اليوم.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٧/٥/٣١.

وانعكاسا لروعة هذه الذكريات فقد استأثرت كرة القدم بكثير من اهتمامى خلال زيارتى القصيرة للبرازيل كلما لقيت أحدا.. مصريا أو برازيليا.. كان سؤالى الأول له عن كرة القدم واذا كانت هذه اللعبة تحظى باهتمام قطاعات كبيرة من شعوب العالم فإنها تثير فى البرازيل مشاعر جنونية تعبر عن حب جارف واهتمام يفوق كل وصف ورغم أننى لم تتح لى فرصة حضور أى مباريات للكرة خلال وجودى فى البرازيل.. الا أننى شاهدت واحدة من المباريات فى التليفزيون وكانت بين الفريق البرازيلى وفريق كولومبيا انتهت بانتصار الفريق البرازيلى ١/٣

فى بيت مصر

ورغم أن ريودى جانيرو لم تعد عاصمة البرازيل منذ عام ١٩٦١ بعد بناء العاصمة الجديدة «برازيليا».. إلا أنها مازالت تحتفظ بازدهارها وأهميتها ومكانتها كمركز للنشاط الاقتصادى والمالى وقد خلت ريو من السفارات الأجنبية ومن بينها السفارة المصرية التى كان طبيعيا أن تنتقل مع أجهزة الحكومة المركزية التى تتعامل معها إلى العاصمة الجديدة ولكن كانت مفاجأة لى عندما فوجئت بالوزير المفوض المصرى حسين أحمد أمين يزورنا فى الفندق. وعلمت منه أنه يشغل منصب القنصل العام المصرى فى ريو دى جانيرو وان مقره هو نفس مقر السفارة المصرية قبل انتقالها إلى برازيليا.. وبعد دردشة سريعة مع قنصلنا العام تواعدنا على اللقاء معه فى مبنى القنصلية فى اليوم الثانى.

وفى الموعد المحدد ذهبنا إلى بيت مصر وفى جو مصرى محبب إلى القلب افتقدناه فى هذه الغربة البعيدة جدا أمضينا ساعتين مع حسين أمين. إنه نجل المفكر المصرى العظيم أحمد أمين ويبدو أن الصديق حسين قد ورث حب الثقافة والتعمق فى القراءة والكتابة عن والده لقد مضت الساعتان دون أن نشعر بهما بتأثير الحديث والمناقشات الشائقة التى دارت والتى شارك فيها الدكتور مرسى سعد الدين رئيس هيئة الاستعلامات الأسبق والزميل فوميل لبيب مدير عام تحرير مجلة المصور وتناول جانب من الحديث سلسلة المقالات التى كتبها ويكتبها قنصلنا العام فى ريودى جانيرو فى مجلة المصور عن قضية التطرف الدينى والسياسة فى مصر.

وحول العلاقات مع العالم العربي بصفة عامة ومصر بصفة خاصة فإنها تخضع تماما للمصالح الاقتصادية التى تعتبر المحور الأساسى لسياسة البرازيل الخارجية ولأن الأسواق المصرية تمثل مجالا حيويا للصادرات البرازيلية فقد أعلنت البرازيل تأييدها لموقف العرب عندما وقعت معاهدة كامب ديفيد ولكن السياسة البرازيلية فى السنوات الأخيرة بدأت تميل إلى تأييد جهود مصر من أجل اقرار السلام فى منطقة الشرق الأوسط ومن ناحية أخرى فقد ذكر لى المستشار التجارى المصرى حمدى متولى من خلال اتصالى به تليفونيا فى برازيليا أن هناك علاقات تجارية نشطة بين مصر والبرازيل وقال لى أن حجم التبادل التجارى بين البلدين وصل إلى ٢٥٨ مليون دولار عام ٨٥.. انخفض إلى ١٦٠ مليون دولار عام ١٩٨٦ بسبب تقليص البرازيل لوارداتها من الخارج ضمن اجراءات مواجهة أزمة ديونها الخارجية.

رائحة كحول

وخلال زيارتنا لريودى جانيرو أمضينا بعض الوقت فى جولات بشوارعها المزدحمة بالسيارات الحديثة والمصنوعة محليا. وكان مما أثار انتباهنا رائحة الكحول المنتشرة بشكل غير عادى.. وعندما سألت عن الحكاية.. قالوا لى أن البرازيل تعتبر الدولة الأولى لانتاج السكر من قصب السكر فى العالم وحتى توفر من استهلاك البترول فقد قامت بعمل تعديلات فى تصميم السيارات لاستخدام الكحول الذى يعتبر من منتجات قصب السكر. فى تسييرها بدلا من البنزين. وقد نجحت التجربة تماما واستطاعت البرازيل أن توفر جانبا كبيرا من استهلاك البترول فى نفس الوقت الذى تستفيد فيه من انتاجها الوفير من الكحول.

وإذا كنا قد أشرنا عن مسئولية العرب عن أغلبية انتاج البرازيل من النسيج.. فإنه يمكن القول أن اليهود خاصة الألمان منهم يسيطرون تماما على صناعة الأحجار الكريمة والماس الذى تنتجه المناجم البرازيلية. وعدد اليهود الموجودين فى البرازيل لا يتجاوز ١٣٠ ألفا من بينهم عدد من اليهود المصريين الذين ولدوا وتعلموا فى مصر. وقد التقينا بعدد من هؤلاء اليهود يحتلون مواقع مرموقة فى أكبر مصانع ومحلات الأحجار الكريمة والماس والتى تضمن برنامج رحلتنا زيارتها.

قضايا للقلق

وليس كل الحديث عن البرازيل جذابا وممتعا. ان هناك بعض القضايا فى حياة البرازيليين تثير القلق والشجون والحزن من بين هذه القضايا تأتى قضية انتشار مرض الايدز. ان الاحصائيات تقول إن البرازيل هى ثانى دولة فى العالم بعد أمريكا فى انتشار هذا المرض الخطير. وتشير هذه الاحصائيات إلى وجود ١٥٠٠ حالة إيدز معلنة وتحت العلاج فى المستشفيات بينما توجد أيضا الاف الحالات المصابة بهذا المرض لا يعلم أحد عنها. كما أن مشكلة ارتفاع عدد المشردين فى كل أنحاء البرازيل تمثل أيضا واحدة من أهم المشاكل. لقد وصل عدد هؤلاء المشردين إلى ملايين فى كل أنحاء البرازيل.. يوجد منهم حوالى مليون فى ريودى جانيرو وحدها ويبدى الخبراء خوفهم على مستقبل البرازيل خلال السنوات القادمة .. عندما يتحول معظم هؤلاء المشردين إلى مجرمين يساهمون فى زيادة معدلات جرائم السرقة التى بدأت تنتشر فى معظم المدن.

ان الحديث عن البرازيل وريودى جانيرو شائق ومثير ويمكن أن يمتد إلى ما لا نهاية.. ولكن الحقيقة التى يتفق عليها الجميع أن شعب هذه الدولة يمكن أن يواصل مسيرته وانطلاقته لتحقيق طموحاته فى اقامة دولة كبرى، ان كل ما يتطلبه تحقيق هذا الحلم فى دولة وافرة الثراء كالبرازيل.. هو التخطيط السليم واثارة حماس الشعب فى ممارسة شىء من الانضباط الذى يقضى على المغالاة فى ممارسة فوضى الاستمتاع بمباهج الحياة. ان تحقيق الالتزام بهذه العناصر سوف يؤدى بأسرع مما نتصور إلى ظهور عملاق جديد فى العالم اسمه.. البرازيل.

شعب صناعته السياحة وترويض الجبال!

هناك *دول وشعوب فى العالم.. يرتبط ذكرها دائما بأى حديث عن التقدم السياحى. وإذا كانت بعض الدول قد أنعم الله عليها بثروات مادية تكنولوجية توفر لشعوبها الرخاء والمستوى اللائق من المعيشة.. فإن هناك دولا أخرى لم تتوافر لها مصادر الثروة إلا من خلال ما تملكه من مقومات طبيعية استطاعت أن تحولها بالجهد إلى مصادر هائلة للثروة.*

وكما درسنا جميعا فى الجغرافيا خلال سنوات عمرنا الأولى فإن سويسرا واحدة من هذا النوع الأخير من الدول.. إنها تقع فى قلب منطقة جبال الالب فى أوربا .. وهى أضخم سلسلة جبلية فى هذه القارة. ولعلنا نذكر ما كنا نقرأه فى الكتب المدرسية من أن عدم وجود الثروات الطبيعية فى هذا البلد قد دفع أبناءه إلى اجادة الصناعات الدقيقة.. التى لا تحتاج إلى وفرة المواد الخام.. مثل الساعات.

وإلى جانب هذه الصناعات الدقيقة برع السويسريون فى صناعة السياحة.. وهى صناعة خدمات فى المقام الأول، واستطاع هذا البلد الصغير الذى لا يتجاوز تعداد سكانه ستة ملايين و ٣٠٠ ألف نسمة أن يطور هذه الصناعة لتصبح من أهم مصادر الدخل القومى.

ولقد كانت جهود السويسريين فى هذا المجال عملا فريدا لا يقدر عليه ولا يستطيع أن يقوم به أحد سواهم. ان الجبال ذات الارتفاع الشاهق ووعورة الأراضى اكسبتهم خبرة وطبيعة خاصة فى تنمية صناعة السياحة بما يتلاءم وتضاريس

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨١/٤/٢.

بلادهم. ولابد أن نعترف أنهم نجحوا فى استغلال ظروفهم ليجعلوا من بلادهم إحدى دول الصف الأول فى هذه الصناعة

ومنذ أكـثـر من عـشـر سنوات لم تسمح لى ظروف العمل وضـيق الوقت بزيارة سويسرا.. وقد أتيح لى العودة إلى سويسرا بعد طول غياب فى زيارة استغرقت ستة أيام ضمن وفد يضم ستين صحفيا من جميع أنحاء العالم، وكانت مناسبة هذا التجمع الصحفى الكبير هى مرور خمسين عاما على إنشاء شركة سويس اير إحدى شركات الطيران الكبرى فى العالم.

وكانت اللقاءات التى نظمت لنا والزيارات التى قمنا بها لعدد من المراكز السياحية فى سويسرا فرصة لألمس عن قرب مدى ما حققه هذا البلد الفريد من تقدم وتطور فى صناعة السياحة إلى جانب شهرته فى عالم البنوك والصناعات الدقيقة.. وقد كان أهم ما أثار انتباهى أن سويسرا وهى دولة من دول الجذب السياحى... تعتبر فى نفس الوقت دولة مصدرة للسياح... إلى جانب أن السياحة الداخلية مزدهرة ازدهارا كبيرا بين ولاياتها المختلفة.

ورغم أننى كنت أعلم هذه الحقيقة.. الا أن الأرقام التى حصلت عليها من الحركة السياحية من والى سويسرا.. جعلت من هذه الحقيقة خبرا مثيرا..

تقول الاحصاءات أن عدد السويسريين الذين يقومون برحلات سياحية خارجية وداخلية وصل فى عام ٧٩ إلى ٥ ملايين و ٢٥٠ ألف سائح أمضوا فى رحلاتهم ما يقرب من ٣٢ مليون ليلة سياحية. ولما كان عدد سكان سويسرا ستة ملايين و٣٠٠ ألف، فإن هذه الأرقام تعنى ـ وكما قال لى خبراء السياحة السويسريون ـ ان هناك نسبة كبيرة من السويسريين تقوم بأكثر من رحلة سياحية فى العام الواحد.. وتبين لى من الإحصاءات أن نصيب مصر من السياحة السويسرية إلى الخارج قد تطور بسرعة خلال الثلاث السنوات الأخيرة. ان عدد الليالى السياحية التى أمضاها السويسريون فى مصر فى عام ١٩٧٧ كان ٧٣ ألف ليلة سياحية.. وقد ارتفع هذا الرقم فى عام ١٩٧٩ إلى ٩١ ألفا و ٢٠٠ ليلة ومن المتوقع أن ترتفع فى احصاءات عام ١٩٨٠ إلى أكثر من ١٠٠ ألف ليلة سياحية.

أما عن الحركة السياحية إلى سويسرا فأن الاحصاءات تقول أن السياح قد أمضوا فى عام ١٩٨٠ حوالى ٧٥ مليون ليلة سياحية.. وقد بلغ ما أنفقه السياح فى هذا البلد ما يقرب من ٣ مليارات دولار ... وهذا الدخل يمثل رقما كبيرا بالنسبة لتعداد هذه الدولة الصغيرة. وعلى هذا الأساس فإن نصيب كل مواطن سويسرى من الدخل السياحى لبلدهم يصل إلى ٥٠٠ دولار سنويا.

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده أرمين بالتنفيلر رئيس سويس اير وحضره أكثر من ٢٥٠ صحفيا من أوربا وما وراء البحار.. جرى الحديث حول مدى مساهمة الشركة فى دعم اقتصاد سويسرا. لقد ذكر أن الطائرات السويسرية نقلت خلال عام ١٩٨٠ ما يقرب من ٧ ملايين راكب، وقد حققت أنشطة الشركة فى نفس العام دخلا يقدر بـ١٠ مليارات دولار.. وهذا الدخل الكبير ساهم - وكما تقول البيانات - فى دعم الاقتصاد السويسرى والميزان التجارى مع دول العالم الخارجى. ويمكننا أن نتصور مدى أهمية الدخل الذى تحققه سويسرا من خدمات الطيران والسياحة اذا ما علمنا أن هذا البلد يستورد يوميا من الخارج ما يبلغ قيمته ٥٥ مليون دولار لسد احتياجاته من المواد الخام ومن المواد الغذائية.

ولا يمكن أن أنهى حديثى عن سويسرا، أحد نماذج السياحة العالمية الناجحة، دون أن أشير إلى جهود شعبها الذى لا مثيل له فى عملية ترويض الجبال ومد السكك الحديدية وشق الطرق والانفاق من أجل الوصول إلى قمم هذه الجبال. لقد استطاع هذا العمل الخارق أن يحول جبال الالب المفزعة إلى ثروة قومية ومراكز للتجمعات السياحية.

ولقد أدهشنا أن نرى مئات الالوف من السياح القادمين من كل أنحاء العالم فوق هذه القمم العالية التى يبلغ ارتفاعها أكثر من ٤ آلاف متر فوق سطح البحر.. يستمتعون بجو تصل درجة حرارته إلى ٢٠ و٣٠ تحت الصفر.. ويمارسون رياضة التزحلق على الجليد ولعلة ما يثير العجب أن تجد كل مقومات الحياة والاحتياجات والخدمات ميسرة تماما فى مثل هذه المناطق.

لقد أحسست بالدوار اللهاث عندما وجدت نفسى فوق إحدى هذه القمم.. ولكنى نسيت كل شئ وانا استنشق هواء غير ملوث تبلغ درجة برودته ٢٠ تحت الصفر.. ولكن لا بد أن أقول لك أننى لم أستطع أن أتحمل البقاء فى هذا الجو أكثر من دقائق قليلة.. خشية أن أتجمد...

انه حقا شئ مثير أن تعيش بين شعب صناعته السياحة وترويض الجبال.

قرية صغيرة وغنية رأسمالها .. جبال الثلج !!

لا جدال *أن اختيار قرية دافوس السويسرية لتكون مقرا لانعقاد المنتدى الاقتصادى العالمى قد أضاف إليها شهرة عالمية واسعة وأدى إلى مضاعفة استفادتها من استثمار موقعها الفريد كمركز لمزاولة رياضة التزحلق على الجليد فى فصل الشتاء والاستمتاع بجبالها وغاباتها الخضراء خلال الصيف. رغم هذه الشهرة التى جعلت من دافوس اسما عالميا إلا أن ذلك لم يغير شيئا من كونها قرية سويسرية عادية أصبح يتوافر لها فى ظل هذه الظروف الخاصة كل امكانات أى مدينة كبيرة خاصة فى مجال سياحة المؤتمرات.*

وقد يعتقد البعض عندما يسمع اسم دافوس أن الوصول إليها سهل يمكن أن يتم عن طريق الجو أى بالطائرة بينما الحقيقة أنهاتبعد عن أقرب مطار - وهو مطار زيورخ - بـ١٢٠ كيلومترا تقطعها السيارة خلال موسم الشتاء فى حوالى الساعتين تنخفض إلى ساعة ونصف الساعة خلال موسم الصيف كما أن هناك قطاراً من زيورخ يقطع الرحلة فى ٣ ساعات وسط الجبال.

إن الطريق البرى يمتد وسط الجبال الشاهقة المغطاة بالثلوج خلال شهور الشتاء التى تبدأ فى نوفمبر وتستمر حتى مارس وهو عبارة عن أتوستراد سريع فى ثلثى مسافته ثم يتحول إلى طريق ضيق فى ثلثه الأخير الذى يحتاج المرور عليه إلى تجهيزات خاصة وخبرة فى القيادة خلال موسم الشتاء، أن الثلوج تغطى الطريق وهو ما يؤدى إلى تحميل الأجهزة المسئولة عن الطريق فى المنطقة مسئولية العمل المستمر

:نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٩٩/٢/٤.

من أجل تجميعها على الجانبين بواسطة الجرافات والبلدوزرات بالاضافة إلى رش الملح باعتباره مادة كيماوية تذيب الثلج.

●●●

ورغم أننى قد سبق لى زيارة دافوس مرة واحدة قبل ذلك فى عام ١٩٩٧ عندما أتيحت لى فرصة حضور المنتدى الاقتصادى العالمى لتغطية زيارة الرئيس مبارك إلا أن زيارة هذا العام اختلفت تماما نتيجة الظروف الصعبة للطقس غير العادى لقد تعرضت المنطقة وخاصة المحيطة بدافوس إلى عاصفة ثلجية هائلة لم تشهد مثلها منذ ٢٩ عاما كما يقول السكان السويسريون. أدى ذلك إلى تراكم الثلوج بارتفاع مترين ومتر ونصف فى الشوارع والطرق.

لقد كان مقررا أن يستقل الرئيس مبارك الطائرة الهليوكوبتر من مطار زيورخ إلى دافوس عند الوصول إلا أنه اضطر إلى استخدام السيارة حيث يمنع طيران الهليوكوبتر فى مثل هذه الأجواء. وقيل لنا أنه كان من الصعب قبل يوم واحد من وصولنا استخدام الطرق إلى دافوس بسبب تراكم الثلوج وأن جهودا مضنية قد بذلت من أجل إزالتها أدى هذا الموقف إلى قيام جميع السيارات بتركيب السلاسل على اطارات السيارات لحمايتها من الانزلاق وأصبحت الرحلة تستغرق ثلاث وأربع ساعات بدلا من ساعتين حيث لا يمكن تجاوز السيارات لسرعة ٤٠ كيلومترا فى الساعة فى المتوسط بل أقل من ذلك... وعلى طول الطريق وحتى وصولنا إلى دافوس كنا نشاهد البيوت والسيارات الواقفة وقد اختفت تماما تحت الثلوج. أما أشجار الغابات الممتدة فوق الجبال وفى سفوحها فقد تحولت إلى اللون الأبيض الناصع بفعل الثلوج التى كانت تغطيها أيضا.

●●●

وعندما وصلنا دافوس شعرنا بالقيمة البالغة لمبادرة ابلاغنا بضرورة احضار أحذية نعولها من الكاوتش ذات البروزات بما يتيح لنا امكانية المشى على الثلوج فى الشوارع مع التوصية بمراعاة الحرص وعدم توسيع الخطوات لتجنب السقوط والشقلبة فى أقل من ثانية واحدة وما يترتب على ذلك من كسور أما النصيحة باحضار

البلاطى وكل أنواع الملابس الثقيلة للحماية من البرد فإن أحدا لم يكن يتصور أنه بهذه القسوة الفريدة لقد كانت درجة الحرارة تتراوح ما بين ١٤ درجة و٢٧ درجة تحت الصفر . ورغم نجاحنا في حماية الجسم من هذا البرد القارص المصحوب بتيارات الهواء إلا أنني شعرت بأن أذنىّ فى طريقهما إلى السقوط وهو ما دفعنى إلى الدخول إلى أحد محلات الملابس التى وجدتها فى طريقى هاربا إلى الدفء ومستنجدا وبعد أن استرددت أنفاسى اللاهثة من البرد نصحتنى البائعة بشراء طاقية صوف مثل تلك التى يستخدمها مواطنونا من الفلاحين فى الريف «كلبوش» لأغطى أذنىّ ومعظم وجهى. ولم يكن أمامى سوى الأخذ بهذه النصيحة التى تبين لى فاعليتها التامة رغم غرابة منظرى.

●●●

مع ضيق الوقت ووجودنا فى دافوس خلال يومى السبت والأحد وهما يوما عطلة فقد سعيت للحصول على أى معلومات عن قرية دافوس التى يتوافر لها كل امكانيات المدن السياحية الكبرى من فنادق ومطاعم ومحلات تجارية لكل احتياجات السكان والزوار. إن تعداد سكان هذه القرية ١٣٥٠٠ نسمة ولهذا فإن بيوت السكن الخاصة بالمواطنين لا تتعدى ٢٥٠ منزلا أما بقية المبانى التى تنتشر على مساحة القرية التى تصل إلى ٧٠ كيلومترا مربعا فإنها عبارة عن فنادق وبنسيونات وشقق مفروشة تصل طاقتها الاستيعابية إلى أكثر من ٢٠ ألف سرير. يوجد من بين الفنادق التى تزخر بها هذه القرية الشهيرة فنادق خمس وأربع نجوم وفى موسم الشتاء وفى وقت انعقاد المنتدى الاقتصادى يصبح من الصعب الحصول على سرير فى أى فندق أو مكان اقامة لهذا فإن التعمير السياحى امتد إلى القرى الأخرى فى المنطقة والموزعة على مساحة ٦٠ كيلو مترا أخرى.

●●●

إن دافوس ترتفع عن سطح البحر ١٥٦٠ مترا ويبلغ ارتفاع أعلى نقطة فى جبالها ٣١٤٦ مترا وهو الأمر الذى جعلها من أشهر مواقع ممارسة رياضة التزحلق على الجليد فى الشتاء ومعظم شهور السنة. وقد ذكر لى مدير الفندق الذى أقمت به أن زوار

هذه القرية يصل إلى أكثر من نصف مليون سائح سنويا. الشئ المثير هو ما لاحظته من ارتفاع مستوى الامكانات التنظيمية لمؤتمر دافوس فى هذا القرية الصغيرة خاصة أن رواد المنتدى لا يقلون عن خمسة آلاف فرد سواء من الأعضاء ومصاحبيهم أو العاملين فى جهازه وفى الأجهزة المساعدة الأخرى. إن الأيام الثلاثة التى أمضيناها فى قرية دافوس هذه المرة كانت حقا مليئة بالاثارة.

منطقـة حـرة .. ولكن لتـعـاطى المخـدرات !

تعودنا *أن نسمع عن المناطق الحرة التى يتم إنشاؤها بغرض التنشيط، الاقتصادى والصناعى، وقد عرفنا فى مصر بعض نوعيات من المناطق الحرة... ولعل أهمها عملية تحويل بور سعيد إلى مدينة حرة لا تخضع فيها الانشطة التجارية والصناعية إلى حد ما للقوانين والقواعد المعمول بها فى باقى المدن والمحافظات الأخرى.*

ولكن هل سمع أحد من قبل عن منطقة حرة لتعاطى المخدرات بجميع أنواعها دون مساءلة قانونية أو مطاردة بوليسية؟

فى هذه المنطقة يتجمع آلاف الشباب الذين تحولوا إلى ضحايا للسموم المخدرة.. يدخنون الحشيش ويتعاطون الهيروويين والكوكايين والأفيون وتنطلق فى أجسادهم التى أصابها الادمان المجنون إبر الحقن تحمل إليهم الموت مغلفا فى ساعات من الغفوة والهذيان يعيشونها.

ان هذه المنطقة الغريبة التى تتمتع بحرية ممارسة كل ما له علاقة بالسموم المخدرة تقع فى قلب زيورخ مدينة المال والبنوك والحسابات السرية فى سويسرا. انها عبارة عن حديقة كبيرة تطل على النهر الذى يشق المدينة يتجمع فيها المدمنون ومعظمهم من الشباب.. ليس من سويسرا وحدها ولكن من كل أنحاء العالم.

ويستطيع المدمن داخل هذه الحديقة أن يحصل على طلباته من المخدرات دون أن يتعرض لمضايقات المجتمع ورجال الشرطة.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٤/٨/١٠.

ويقـولون فى زيورخ أن قرار انشاء هذه المنطقة الحـرة قـد جاء بعـد دراسـات مستفيضة شارك فيها علماء النفس والمهتمون بشئون الشباب وادمان المخدرات وانتهت الدراسات والمناقشات إلى أنه من الأفضل أن يمارس الشباب هذه الهوسة التى دفعت بهم إلى ادمان المخدرات تحت سمع وبصر رجال الأمن حيث تجرى عملية مراقبةتجار وموزعى هذه التجارة القاتلة.

ولقد أصبح شيئا طبيعيا أن تمر على هذه الحديقة ماشيا أوفى أوتوبيس لتشاهد حلقات الدخان الأزرق تتصاعد فى أجزاء عديدة من الحديقة.. وإذا أمعنت النظر فسوف تجد المدمنين وقد استسلموا لحقن المخدرات السائلة.. وبالطبع فإنه لا توجد أى قيود على دخول الحديقة.. كما أنه لا توجد أيضا أى قيود على الخروج منها.

ووجود هذه المنطقة الحرة العجيبة فى مدينة زيورخ السويسرية وكما يقول رجال الشرطة تساعدهم على مراقبة تجارة المخدرات التى أستفحل خطرها فى كل مجتمعات الدول المتقدمة.

وقالوا أنه يجرى من وقت لآخر القيام (بكبسات) على مصادر توريد المخدرات خارج الحديقةمن خلال المعلومات التى يحصلون عليها من داخل الحديقة.

أن الخيوط الأولى للقبض على بعض عصابات تهريب المخدرات إلى سويسرا وكل أوربا يتم تجميعها من خلال مراقبة المنطقة الحرة للمخدرات فى زيورخ.

والحديث عن هذا الوضع الغريب يقودنا إلى الحديث عن مشكلة الشباب فى العالم بصفة عامة وفى أمريكا والعالم الأوربى بصفة خاصة. أن مدلول الحرية المطلقة الذى أصبح شعارا تجرى ممارسته بشكل ظاهر من الخمسينيات ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية قد تحول بمرور الوقت إلى أزمة تعانى منها كل المجتمعات.

ونتيجة لتفاقم الأزمات سواء كانت سياسية أو أقتصادية لجأ الشباب إلى الضياع هربا من الواقع الذى لا يجدون فيه نهاية للمعاناة.

وتحولت حالة الضياع بمرور الوقت إلى ثورة وتمرد على كل ما هو قائم.. كما تحولت الحرية غير المقيدة وغير المنضبطة إلى تيار خطر يجرف معه كل التقاليد والمقومات الأساسية لبناء الإنسان الصالح المنتج.

وهكذا تحولت ممارسات الحرية المطلقة التى وضع أساسها الأباء إلى قنابل زمنية تهدد كيان المجتمع... وبدلا من أن تصبح الأسرة مركزا لرعاية وتقويم الشباب وغرس كل القيم فى نفوسهم.. أصبحت ونتيجة لاتساع نطاق الثورة والتمرد الشبابى.. رهينة السلوكيات المريضة التى تمارس ضد المجتمع تحت شعار الحرية غير المحدودة ووجد العديد من الشباب فى هذه المجتمعات أن التطرف هو السبيل الوحيد لممارسة حريتهم ـ وقادتهم هذه النظرة إلى ارتكاب كل ما يخطر على بال من جرائم سياسية وإجتماعية.

ويبدو أن الوصول بهذا الأسلوب فى الحياة إلى ذروة الخطر قد دفع بهذه المجتمعات المفتوحة إلى اعادة الحسابات من جديد.. ليس على مستوى الكبار فحسب ولكن على مستوى الشباب نفسه الذى وقع فريسة شعارات جميلة وبراقة منحته حرية العمل ضد كل القيم والتقاليد.

وقد أدى هذا التحول إلى بروز عقدة الاحساس بالذنب والخوف فى كل المجتمعات.. وأصبح هناك شعور عام بأن التقدم الهائل الذى صنعته القيم والتقاليد مهدد تماما بالانحسار ـ وأنه بدلا من أن تؤدى شعارات الحرية غير الملتزمةإلى مزيد من الانطلاق كما كان متوقعا انتهى الأمر بمواجهة غير محدودة للاخطار القاتلة.

وتحت ضغوط الاحساس بالخوف من المستقبل ظهرت الكتابات والدراسات وجرت المناقشات حول ضرورةالعودة إلى الحرية المقيدة التى تمنح الأسرة والمجتمع مزيدا من السيطرة فى تربية النشئ.

ونتيجة لنمو الاحساس عند الشباب بأن ما حصلوا عليه من حرية مطلقة فى سلوكياتهم لم يحقق لهم الجنة الموعودة.. بدأوا هم أيضا يتجاوبون مع مشاعر المجتمع باعتبارهم جزءا منه يمثل الأمل والمستقبل.. فلجأ بعضهم إلى التطرف المعاكس تزمتا فى ممارسةالحرية والعودة إلى القديم بلا ضوابط أو حدود.

وهكذا احتدم الصراع تمهيدا لارتفاع شعارات جديدة ربما تنقذ المجتمعات من هذه الأوضاع التى تعيشها وتهدد كيانها.. وهو أنه لا خروج من أزمتها إلا بالايمان بأن خير الأمور الوسط فلا حرية مطلقة غير منضبطة ولا حرية مغلقة تقيد الفكر وروح الخلق والابتكار.

٧ أيام على ضفاف الدانوب

السفر *متعة.. سواء كان فى الداخل أو الخارج وقد يصل حب الإنسان للسفر والرحلات إلى حد الادمان الذى يتطلب الخلاص منه فى بعض الأحيان إجراءات وخطوات علاج واقتناع بمبررات قاهرة.*

وبسبب موجة الغلاء الهائلة التى سادت العالم فى السنوات الأخيرة لم تعد ممارسة هذه الهواية الثقافية والترويحية سهلة وممكنة من الناحية المادية هذه الأيام. إن كل متطلبات السفر ارتفعت تكلفتها إلى درجة لم يكن أحد يتوقعها حيث أن تذكرة الطائرة بين القاهرة ولندن مثلا، التى لم يكن يتجاوز سعرها المائة جنيه فى بداية الثمانينيات، وصل سعرها حاليا إلى أكثر من ١٤٠٠ جنيه. كما ساهم فى ارتفاع التكلفة الهبوط الكبير فى سعر الجنيه المصرى حيث كان الجنيه الاسترلينى يساوى فى ذلك الوقت فى السوق السوداء ١٧٥ قرشا مصريا.. ثم أخذ يرتفع حتى وصل الآن إلى ٤٥٠ قرشا.

ولم تقتصر زيادة الأسعار على تذاكر السفر وهبوط سعر الجنيه.. وإنما تضاعفت الاسعار أيضا أربع أو خمس مرات فى بريطانيا.. مما جعل الاقدام على أى زيارة للندن عملا جنونيا لا يمكن تحمل أعبائه المادية. وما حدث فى بريطانيا حدث فى كل دول أوربا.. ولم تعد الشكوى من ارتفاع الأسعار وقفا على الزوار الأجانب فحسب... بل شملت قطاعا كبيرا من المواطنين من أبناء هذه الدول. وخضوعا لهذه التطورات فقد أصبح من المستحيل أن تتوافر الامكانيات المادية للقيام بأى رحلات خارجية إلا إذا كانت بدعوة شاملة أولمهمة عمل.

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٩/٨/٢٨.

●●●

وللإفلات من دائرة الغلاء الذى لا يمكن تحمله خططت أن أقضى أسبوعا من أجازتى هذا العام فى بودابست عاصمة المجر الدولة الشيوعية. شجعنى على هذه الخطوة أننى زرتها فى العام الماضى خلال مؤتمر السياحة العالمى «الاستا».. وتبين لى أن أسعار الاقامة والمطاعم والمواصلات تساوى ٢٠٪ من الأسعار فى أى دولة أوروبية غربية... ورغم أن المجر واحدة من دول المعسكر الشيوعى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلا أنها تختلف اختلافا كليا عن كل الدول الشيوعية التى زرتها إنها أقرب إلى الدول الغربية.. حتى مبانيها وشوارعها التى تموج ليل نهار بالحركة تذكرك بشوارع فيينا عاصمة النمسا والتى تربطها بالمجر حدود مشتركة. كما يمتد نهر الدانوب بين فيينا وبودابست تقطعه باستمرار رحلات الهيدروفيل والبواخر السياحية وقبل أن أزور بودابست فى العام الماضى كنت أعلم أنهم يطلقون عليها باريس الشرق. وبعد الأيام القليلة التى أمضيتها فيها مشاركا فى مؤتمر «الاستا» تأكدت فعلا أنها باريس الشرق.. وهو ما دفعنى إلى التفكير فى زيارتها مرة أخرى فى أجازة قصيرة حتى أراها عن قرب.

ومن واقع تجربة الزيارة الأولى اتصلت بالصديق السفير محمد الشريعى سفير مصر فى بودابست أطلب مساعدته فى حجز مكان مناسب للاقامة. وبشهامة أهل الصعيد الذين ينتمى إليهم السفير المثقف محمد الشريعى تم حجز المطلوب وبتكلفة لم أكن أتصورها.

وعندما وصلت إلى مطار بودابست وجدت فى انتظارى أحد أعضاء سفارتنا.. وبعد إنهاء الإجراءات توجهت إلى السفارة والتقيت بالسفير الشريعى وتبادلنا حديثا شائقا شمل برنامج الاسبوع الذى سوف أقضيه فى المجر. وبالطبع كانت هناك نصائح تتعلق بهذا البرنامج والأماكن التى يجب أن أزورها.. وأهمها منطقة بحيرة «بلاتون» التى تبعد عن العاصمة بحوالى بودابست ١٦٠ كليو مترا.

وقد كان من حسن حظى أن مكان إقامتى وهو عبارة عن عمارة فندقية تطل على نهر الدانوب الذى خلده الموسيقار يوهان شتراوس فى رائعته الموسيقية «الدانوب

الأزرق، ويطلق المجريون على الدانوب اسم «دونا»، وقد أتيحت لى الفرصة أكثر من مرة أن أمشى على ضفافه أتابع حركة الملاحةالكثيفة فيه سواء بالنسبة للنقل السياحى أو نقل البضائع وأسعدنى أن يمتد الكورنيش بامتداد شاطئ النهر حول بودابست دون أن يحول بينى وبين الدانوب أى مبنى لأن جميع المبانى أقيمت بعد الشارع المخصص لمرور السيارات أى أنها على بعد لا يقل عن ٢٥٠ مترا من شاطئ النهر وكم أحسست بالحسرة وأنا أتذكر كورنيش نيلنا الخالد فى القاهرة والجيزة والذى زحفت عليه المبانى فى شكل أندية ومقاهى أصبحت تمثل حاجزا يمنع الناس من الاستمتاع برؤية النيل.

●●●

ورغم أن أسعار المشتريات فى المجر أرحم بكثير جدا من العواصم الغربية بسبب التفاوت فى سعر العملة الوطنية إلا أن مستوى المنتج المصرى فى الوقت الحالى لا يمكن أن يقاس به أبدا سواء من ناحية الجودة والسعر. إن كل شئ متوافر الآن فى الأسواق المصرية وأسعاره لا يمكن منافستها ومن المؤكد أن النجاح الكبير الذى حققه الانتاج المصرى فى جميع المجالات قد جعل أعداد كبيرة من المصريين تحجم عن السفر إلى الخارج خاصة تلك الفئة التى لم يكن يهمها من هذا السفر سوى الشراء والشراء فقط، وبالطبع فإننا وإن كنا من غير هواة الشراء من الخارج.. إلا أن هذا لم يمنعنا من زيارة المحلات خلال جولاتنا السياحية فى شوارع بودابست وأشهر الأسواق فى العاصمة المجرية هو تلك المنطقة التى تحيط بفندق «انتركونتيننتال» والتى تزدحم بالبوتيكات.. إنها منطقة مشاة فقط للمترددين على مئات من المحلات التجارية والمطاعم والمقاهى السياحية وأغلبية زوار هذه المنطقة من السياح.

●●●

وأثناء جولتى فى شوارع هذه المنطقة استرعى انتباهى وأنا أسلى نفسى بمشاهدة الفترينات حذاء.. تذكرت فى هذه اللحظة ما قاله لى بعض الزملاء الذين لهم خبرة فى زيارة المجر لقد ذكروا لى أن المنتجات الجلدية تعتبر من أرخص المشتريات فى بودابست. دخلت المحل لمشاهدة الحذاء على الطبيعة وأنا أمنى نفسى بشراء حذاء

لقطة وفعلا وجدت الحذاء ومعه مجموعة أخرى مختلفة من الموديلات وفوجئت عندما أمسكت به لأجربه بلافتة كبيرة وضعت على المنضدة التى كان موضوعا عليها، ضحكت وضحكت عندما قرأت هذه اللافتة تشير إلى أن الحذاء الذى أعجبنى إنتاج مصرى، هل تعرفون كم كان السعر الذى يبيعون به هذا الحذاء المصرى.. حوالى ٣٥ دولارا بالتمام والكمال.. أى حوالى ١٠٠ جنيه مصرى!! وغادرت المحل مكتفيا بالسعادة التى غمرتنى لوجود الانتاج المصرى معروضا على سياح بودابست.

وعندما حكيت ما حدث للأخوة المصريين فى السفارة المصرية.. أخبرونى بأن الأحذية المصرية والايطالية تعتبر أغلى أنواع الاحذية فى المجر..

والشئ الذى أثار انتباهى خلال زيارتى لمدينة الدانوب.. هو الاهتمام الكبير بالنظافة. ان الحكومة والشعب يشتركان فى عملية الحفاظ على نظافة العاصمة بشكل يستحق الاعجاب ولاشك أن الزرع الأخضر المنتشر فى كل مكان أحد العوامل التى تساعد على مظاهر هذه النظافة وفى إطار جهود تشجيع السياحة فإن كل الخدمات مسيرة من أجلها. ومن بين هذه الخدمات اكشاك التليفونات المجهزة للاتصالات الدولية فى الميادين والمناطق السياحية وأعترف بعد استخدامى لهذه التليفونات أن المجر تعتبر أرخص من بلاد الدنيا فى الاتصالات التليفونية الدولية.. وأنها أول دولة شيوعية يمكن أن يتصل منها أى إنسان بدولة أخرى تليفونيا من الشارع!!

●●●

وتتميز مدينة بودابست بالمبانى القديمة التى تجعل لها طابعا كلاسيكيا جميلا.. وإن كان هذا لم يمنع من ظهور العديد من المبانى الحديثة العالية فى كثير من الاحياء كما أن معظم الشوارع الرئيسية تتسم بالاتساع، الذى يجعل حركة المرور المستمرة تذوب فيها ورغم أن سكان العاصمة المجرية لا يتجاوز تعدادهم الـ ٢ مليون نسمة... إلا أن المدينة تتمتع بالعديد من وسائل المواصلات السهلة وفى مقدمتها مترو الانفاق والترام والترولى باص والاوتوبيس العادى، ويعتبر التاكسى من أرخص وسائل التنقل بالنسبة للأجنبى حيث أن البنزين مازال يحظى بالدعم.

ورغم وجود أعداد كبيرة من سيارات التاكسى إلا أن العثور على تاكسى فى أوقات الذروة وهو مـوعـد اغـلاق المحـلات.. يمثل مـشكلة للزوار. ونظرا لرخص أسـعـار بودابست فإن الكثير من النمساويين يفضلون قضاء أجازة نهاية الأسبوع بها. إنهم بذلك يضربون عصفورين بحـجر.. فهم يشترون كل احتياجاتهم بأسعار تساوى ٢٠٪ من الأسـعـار فى بلدهم بما فى ذلك تزويد سـيـاراتهم بالبنزين.. وحـلاقـة شـعـورهـم.. رجالاً ونساء!!

●●●

إن هناك حكايات كثيرة ومـثيرة صادفتنى طوال الأسبـوع الذى أمضيتـه على ضفاف الدانوب فى بودابست عاصمة المجر الدولة الأوروبية الصغيرة «عشرة ملايين نسـمـة»ولكن الشئ الذى لمستـه طوال هذه الزيارة.. هو أن هذا الشعب لديه جـاذبيـة خـاصـة لاكـتـسـاب الأصـدقـاء من خـلال تعـاملهم الودى مع زوارهم من الأجـانب واستعدادهم الفطرى لتقديم ما يطلب منهم من خدمات بكل الترحاب والحماس....

رحلة ليلية على الطريق الصحراوى !

مضى *أكثر من ٢٥ عاما منذ أتيحت لى أول فرصة لامتلاك سيارة خاصة أقودها بنفسى وطوال هذه السنوات لم أجرؤ يوما على ممارسة قيادة سيارتى ليلا على أى طريق زراعى أو صحراوى.*

ولعل أهم أسباب عدم اقدامى على هذه التجربة هو عدم الثقة فى الخدمات التى من المفروض أن تقدم على هذه الطرق ناهيك عن آداب المرور التى يتخاصم معها القطاع الأكبر من الذين يجلسون أمام عجلات القيادة بما فى ذلك سوء استخدامهم للأضواء المبهرة على الطرق بصفة عامة والطرق السريعة بصفة خاصة.

وتمشيا مع هذا المبدأ الذى التزمت به تجنبا لشد الأعصاب وعدم السعى إلى إلقاء نفسى فى التهلكة كنت حريصا على تنظيم رحلاتى بالسيارة لتبدأ مع أول ضوء وتنتهى مع آخر ضوء للنهار مهما كانت الظروف ولم أتخل عن هذا الإلتزام سوى فترة الـ١٥ شهرا التى أمضيتها فى منحة دراسية ومراسلا للأخبار فى ألمانيا الاتحادية. وخلال هذه الفترة اكتشفت أن القيادة على الطرق ليلا.. هى متعة حقيقية وأن التسهيلات والاضواء الفسفورية على جانبى الطرق تجعلك تقود سيارتك وكأنك فى وضع النهار.

ولأن الانفلات والتسيب من الطبيعة البشرية فى أى مكان فإن الشرطة الألمانية وحرصا منها على أن يسود الانضباط عملية السير على هذه الطرق.. كانت تلجأ إلى وضع بعض سيارات الشرطة فى مفارق الطرق ليلا بأضوائها المتميزة خاصة فى أيام

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٧/٦/٢٨.

الأجازات والغريب أن بعض هذه السيارات كانت تترك خالية من رجال الشرطة لقد كانوا يعتمدون على وازع الخوف من تطبيق القوانين الصارمة لمخالفات قواعد المرور بالاضافة إلى القوة والسطوة الهائلة التى يتمتع بها رجال الشرطة فى تنفيذهم لهذه القوانين وبلا استثناء .ان هذه الممارسة تشير إلى ثقة رجال الشرطة الألمان فى أنفسهم وفى قوانينهم عندما يسندون عملية تنظيم المرور على الطرق لسياراتهم الخالية منهم ويا ويل المواطن الألمانى الذى يهتز التزامه بالانضباط المرورى ويدفعه سوء طالعه إلى السقوط فى أحد أكمنة الشرطة المتنقلة أرضا أو جوا بطائرات الهليكوبتر.

●●●

وقد يتساءل البعض عن السبب الذى دعانى إلى إثارة هذه القضية والحقيقة أننى قدرت أن هذه المقدمة ضرورية قبل أن أتحدث عن تجربة حضارية لها معناها ومغزاها بالنسبة لكل مواطن يشاركنى الانتماء لتراب مصر حدثت هذه التجربة منذ أيام قليلة عندما وجدت نفسى مضطرا للسفر إلى الاسكندرية. كان مطلوبا منى أن أسافر بسيارتى لضمان سهولة التنقل هناك ونصحنى صديق لى بأن أسافر ليلا بالطريق الصحراوى تجنبا للحر وبعد نقاش طويل أقنعنى بأن الوضع على هذا الطريق قد تغير تماما بعد ازدواجه وتزويده بكافة التسهيلات التى تجعله أمانا تماما للقيادة ليلا.

وبالفعل قررت أن أخوض التجربة متخليا عن مقاطعتى للسفر وقيادة السيارات ليلا لأول مرة فى حياتى وقررت بينى وبين نفسى أن أعود أدراجى إلى القاهرة إذا ما أحسست بعدم القدرة على المضى فى التجربة. وبدأت رحلتى فى الساعة العاشرة مساء بعد انتهاء عملى فى الجريدة وأقول الحقيقة أننى كنت متوترا ومتحفزا للعودة بعد أن انتهيت من شارع فيصل بالجيزة ووصلت إلى بداية الطريق الصحراوى وزال توترى رويدا رويدا بعد أن وجدت ملامح الطريق واضحة تماما أمامى وكأنهامضاءة نتيجة استخدام العلامات الفسفورية على الجانبين وفى الجزيرة الواقعة وسط الطريق والحق أننى أحسست بالراحة والرغبة فى استمرار الرحلة وهدأت أعصابى خاصة عندما انساب صوت فريدة الفن العربى الراحلة الخالدة أم كلثوم من راديو السيارة برائعتها الغنائية يا مسهرنى.

ومع نسمات هواء الليل المنعش ومع صوت أم كلثوم الشجى استمرت رحلتى إلى الاسكندرية وتذكـرت وأنا أتابع الأضـواء الفـسـفـورية الملونة على أرض الطريق الصحراوى أننى كتبت عن هذا المشروع عند افتتاحه منذ ثلاث سنوات.. وقلت أنه خطوة حضارية... اقتصادية واجتماعية تعكس الإصرار على مسايره التقدم ورحبت فى هذا المقال بفرض الرسوم على استخدام هذا الطريق رغم الاصوات المعارضة التى ارتفعت فى مجلس الشعب عند مناقشة مشروع هذه الرسوم. قلت أن حصيلة هذه الرسوم ضرورية لصيانة الطريق ونشر الخدمات الحديثة اللازمة لراحة مستخدميه.

●●●

ومضت رحلتى الليلية على الطريق الصحراوى إلى الأسكندرية دون خوف أو ملل.. وان كان تفكيرى لم يتوقف فى متابعتى للجهود التى بذلت للإرتقاء بالطريق خلال الثلاث السنوات الماضية. إن عملية تشجير الطريق أصبحت حقيقة واقعة بعد أن شاهدت الاف الأشجار على جانبى الطريق.. وان كنت أرجو استكمال زراعة باقى الطريق وعدم الإهمال فى رعاية ما تمت زراعته وألا نتكاسل فى عملية التشجير بانتظام كما تم اعداد المرافق الجانبية على الطريق للراحة بدلا من الوقوف فى الطريق وتعريض السيارات القادمة للخطر وأسعدنى جدا هذه العلامات المضيئة التى أقيمت للتحذير من تحويل الطريق بسبب بعض عمليات الاصلاح وهى لا تقل أبدا عما يتم استخدامه على الطرق فى الدول المتقدمة جدا.

وبعد هذه الرحلة الليلية الممتعة التى لم أكن أتوقعها بأى حال ووصولى بسلام الله إلى الاسكندرية بعد حوالى ثلاث ساعات إلا ربع .. يسعدنى أن أسجل النجاح الكامل لمشروع طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى باعتباره إضافة حضارية للاقتصاد القومى وأننى أنتهز هذه الفرصة لدعوة تلك العناصر التى عارضت فرض الرسوم لاستخدام الطريق ومعايشة الاحساس بما حققته الخدمات التى تقدم من تأمين لحياته وحياة عشرات الآلوف من المواطنين ومن المؤكد أن هذا الواقع سوف يجعله على استعداد لدفع أى رسوم مهما بلغت مادام يحصل فى المقابل على كل ما يحتاجه من خدمات وتسهيلات.

وفى جلسة دردشة سريعة تمت بدون ترتيب سابق مع الدكتور على لطفى رئيس مجلس الشورى حاليا ورئيس الوزراء السابق امتد الحديث إلى مشروع طريق القاهرة اسكندرية الصحراوى وكانت مفاجأة لى أن أكتشف أنه لم يستخدم الطريق الصحراوى ليلا سوى منذ عدة أسابيع.. وأنه كان مفاجأة سعيدة جدا، وحذر الدكتور على لطفى من مشروعات الخدمات العشوائية المتواضعة جدا التى بدأت تظهر دون تخطيط على جانبى الطريق وقال أن مشروع طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوى فى حاجة ماسة إلى «ماستر بلان» تخطيط عام يضع فى اعتباره الأولويات والاحتياجات العاجلة مع ضمان مستوى عال للمشروعات الخدمية التى يسمح باقامتها وقال أن هذا التخطيط يجب أن يشمل توزيعا عادلا لهذه المشروعات بطول الطريق وهو ما يعنى عدم السماح بتكدس مشروعات فى منطقة بعينها دون المناطق الأخرى..

وتجنبا لمشاكل تنازع السلطات بين الوزارات والمحليات والتى تعتبر من المعوقات الرئيسية للاستثمار الخارجى والمحلى طالب رئيس مجلس الشورى بضرورة تشكيل لجنة تضم ممثلين للوزارات المعنية والمحافظات التى يمر بها الطريق الصحراوى لاصدار موافقة شاملة لاقامة مشروعات الخدمات سواء كانت مطاعم أو استراحات أو مراكز خدمة السيارات.

وقال الدكتور على لطفى أن رسوم الطريق الصحراوى تحقق حاليا ما بين ٦ ملايين و٧ ملايين جنيه سنويا وأنه لولا هذا الدخل ما استطاعت الأجهزة المسئولة عن الطريق أن تقوم بصيانته وتطويره وإضاءته وتشجيره. وأكد على ضرورة قيام هيئة الطرق الصحراوية بتقديم كشف حساب سنوى عن المشروع يتضمن ما تحقق من دخل وما تم انفاقه على عمليات التطوير وقال أن إعلان الناس بهذه الحقائق سوف يجعلهم يرحبون بأى مساهمة تطلب منهم للحفاظ على الطريق بالشكل الذى يتمنون أن يكون عليه.

إختفاء الأضواء الفسفورية من بعض أجزاء الطريق خاصة أمام مناطق محاجر الرمال المستخدمةفى عمليات البناء.

استخدام سيارات النقل الثقيل المحملة بالرمال للطريق بصورة مكثفة ليلا.. وبعض هذه السيارات لا يلتزم بتغطية حمولته بشكل محكم مما يشكل خطرا على السيارات التى تمر بجانبها وتعرض زجاجها للدمار.

عـدم التزام بعض هذه السيـارات بوجـود أضواء خلفيـة وهو مـا يؤدى إلى وقـوع حوادث مفزعة.

، الاختـفاء الكامل لشرطة المرور الراكبـة المسئولة عن رقـابة الطريق ومـتابعة الالتـزام بقـواعـد الأمن والأمـان فى السـيارات المارة على الطريق وهى من صلب مسئوليتها.. وأستطيع أن أؤكد أننى لم أشاهد أحدا من ممثلى هذه الشرطة سواء فى رحلة الذهاب أو الإياب، ولا يمكن الرد على ذلك بأن الرادار يقـوم بجـانب من هذه المهمة لأن الرادار نفسه لم يعد له وجود على الطريق.

، بعض الموظفين المعينين على بوابات تحصيل الرسوم لا يرتفعون إلى مستوى المسئولية فى التعامل مع أصحاب السيارات.. وأحد الأمثلة على ذلك ما حدث فى مساء الثلاثاء الماضى كانت حركة السيارات كثيفة من القاهرة إلى الاسكندرية ورغم هذا لم يكن يعمل سوى ممر واحد لجميع السيارات.

وعندمـا سألت الموظف المسئـول عن سـبب عدم تشـغيل بوابة أخـرى.. رد على باسـتـهـتـار أن الموظفين ذهبـوا إلى منازلهم ورغم هذا الاسلوب غـيـر اللائق من الموظف.. إلا أن الأساس يرجـع إلى سـوء تقـدير الجـهـاز المشرف على عـمل هذه البوابات.

وأخيـرا لقد كـان من المفـروض أن تتضـمن هذه اليـوميات عـدة فقـرات.. ولكن لأهمية هذا العمل الكبير الذى يمثله طريق القاهرة الاسكندرية الصحـراوى والتـأثير الايجابى الذى تركته٨ فى نفسى الرحلة الليلية فإننى أستطيع الوقوف أمام رغبتى فى استعراض كل الجوانب المتعلقة.. المشروع حقا إنه إنجاز هائل يستحق أن يفخر به كل المصريين.

أنـــا قـــــــــادم مـــن الأنـــدلـس

دمعت *عيناى وأنا أسير بين أطلال الحضارة العربية فى الاندلس.. شاهدت فى غرناطة وقرطبة واشبيلية جنوب أسبانيا صورة لهذه الحضارة التى عاشت ٨٠٠ سنة كاملة!*

وأحسست بالأسى يكاد يمزق صدرى وأنا أسير داخل بقايا القصور والآثار العربية فى مدن الاندلس وكنت أفكر فى الأسباب التى جعلت كل تلك الحضارة بعظمتها وضيائها تنتهى بهذه السهولة ولا يبقى منها سوى هذه الاطلال.. ولولا الفرقة والاصطدامات التى وقعت بين الأمراء والحكام العرب فى الاندلس.. لما إنتهت هذه الدول العربية بهذه الصورة..!

وقد بدأت رحلتى من محطة مدريد.. حيث كان فى توديعنا أحمد أبو زيد قنصلنا فى اسبانيا وكنت أتوقع أن نصل إلى «غرناطة» فى العاشرة صباحاً على الأكثر.. ولكن الليل انقضى وأنا محشور فى المكان الضيق المخصص لى بالصالون..!

ووصلنا إلى مدينة غرناطة فى الساعة الثالثة بعد الظهر بعد أن أمضينا فى القطار الذى لا يختلف كثيراً عن قطارات «الدلتا» عندنا أكثر من ١٥ ساعة كاملة.. وفى الطريق إلى الفندق الذى سننام فيه إكتشفت أن غرناطة مدينة كبيرةشوارعها كلها حركة وحياة. وتركنا حقائبنا فى الفندق ثم نزلنا إلى الشوارع فى جولة سريعة. شاهدنا خلال هذه الجولة بعض البيوت العربية القديمة وقد حجبتها من الشوارع الرئيسية المبانى الاسبانية..!

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٧/٥/١٧.

امام قصر الحمراء

وفى صباح اليوم التالى أخذنا سيارة التاكسى إلى قصر «الحمراء» أشهر الآثار العربية فى الاندلس كلها.. كنت أعتقد أن هذا القصر بناء عادى يشبه القصور العربية القديمة التى شاهدتها فى البلاد العربية التى زرتها.. ولكننى تسمرت فى مكانى وعشت لحظات فى ذهول وأنا أرى عظمة الفن العربى فى بناء قصر الحمراء والذى يدل على مدى ما وصل إليه العرب من حضارة..!

وجدران القصر كلها بالمرمر والرخام عليه نقوش اسلامية بديعة وألوان زاهية مازالت محتفظة برونقها.. وعلى جميع هذه الجدران نقشت آيات قرآنية بينما تتكرر فى كل مكان عبارة «لا غالب إلا الله».. ورغم أنه مضى على إقامة هذا القصر أكثر من ١٠ قرون فإن عمارته ونقوشه تؤكد المستوى الفنى الرفيع الذى كان عليه العرب. ويتجلى هذا الفن فى حمامات القصر التى غطيت جدرانها وأرضيتها بالرخام الذى مازال محتفظاً بجماله حتى اليوم. وفى كل مكان داخل القصر لابد أن تقابلك نافورة مياه على أشكال مختلفة.. ولعل أجمل وأمتع ما فى هذا القصر هو الحديقة الخاصة به. لقد أحسست وأنا أسير فيها أننى فى حلم.. أننى لا أستطيع وصفها إلا بكلمة واحدة.. وهى أنها صورة من الجنة التى كنت أتخيلها.. خضرة وأشجاراً وجبالاً خضراء من كل جانب ومياهها عذبة تنساب حولك من كل جانب. وقد إزداد جنونى بهذه المناظر عندما شاهدت القصر الصيفى الذى كان يقيم فيه أمراء غرناطة العرب فى فصل الصيف. أن حدائق هذا القصر التى مازالت تحتفظ بتنظيمها منذ عهد العرب تدل على الإبداع وتشهد للعقول الخلاقة التى أشرفت على إعداده لقد كانوا يطلقون على هذا القصر اسم «جنة العريف»..!

إن قصر الحمراء فى غرناطة يمثل جانباً كبيراً من تاريخ هذه المدينة العربية التى كثيراً ما قرأت عنها فى كتب التاريخ. وقبل سفرى إلى غرناطة وفى المركز الاسلامى فى مدريد شرح لى الدكتور مكى جانباً كبيراً مفصلاً من تاريخ الاندلس ومن بينها قصر الحمراء. لقد أقيم هذا القصر فى القرن العاشر حيث كانت توجد قلعة تعرف باسم الحمراء. وعندما تغلب محمد بن الاحمر النصرى على غرناطة فى سنة ١٢٣٨ اتخذ

مركزه فى هذا القصر وجعله قاعدة ملكه.. وتتابع الملوك العرب بعد ذلك حيث قاموا بإقامة هذا القصر بمظهره الحالى.. وكان كل ملك يتولى الحكم يتفنن فى توسيعه وزيادة نقوشه.. ولكن التاريخ يقول أن السلطان يوسف أبو الحجاج الملك الشاعر هو صاحب الفضل الأول فيما وصل إليه هذا القصر من عظمة وفخامة. فهو الذى بنى معظم الاجنحة والقاعات. وقصر الحمراء يقع على هضبة مرتفعة طولها ٧٣٦ مترا وعرضها ٢٠٠ متر.. وكان مسجد الحمراء يقع فى وسط هذه الهضبة ولكنه هدم فى سنة ١٥٧٦ بعد سقوط غرناطة فى أيدى المسيحيين وأقيمت مكانه كنيسة سانت ماريا..!

ومملكة غرناطة العربية التى أقيم فيها هذا القصر كانت أصغر الدويلات العربية فى منطقة الاندلس. إنها تقع على واد عميق يمتد من المنحدر الشمالى لجبال سيرا نيفادا ويخترقها نحو نهر «حدرة»، أحد فروع نهر شنيل الذى هو بدوره فرع من الوادى الكبير. وإلى يمين نهر «حدرة» يوجد حى البيازين وهو أكثر الأحياء الاسبانية إحتفاظاً بطابعه العربى حتى اليوم. لقد تجولنا فى هذا الحى أكثر من ساعتين. شاهدنا الطابع الاندلسى الخالص فى حواريه الضيقة.. بل أننا شاهدنا النقوش والزخارف العربية والآيات القرآنية مازالت تزين جدران منازل هذا الحى. ومن العبارات التى قرأناها على جدران هذه المنازل عبارة «الحمد لله على نعمة الاسلام». وهذا الحى الذى تمتد مشربيات منازله ذات الطراز العربى القديم على طول حواريه الضيقة كانت تسكنه مجموعة من الاسر العربية ذات العصبية والجاه فى غرناطة الاسلامية. وبعد سقوط غرناطة فى أيدى المسيحيين أصبح أعظم أحياء الموريسكين «أى المسلمين الذين أرغموا على التنصر بعد الهزيمة». ولقد شهد هذا الحى ثورة اسلامية ضخمة على الحكومة المسيحية فى سنة ١٥٦٧ أيام الملك فيليب الثانى. لقد كانت غرناطة آخر معاقل المسلمين فى الاندلس إذ تأخر سقوطها أيدى المسيحيين حتى ١٤٩٢..

الطريق إلى قرطبة..

وبعد إنتهاء زيارتنا لمدينة غرناطة العربية التى أصبح اسمها بالاسبانية «جراناداه» أخذنا القطار إلى «قرطبة»، واسمها بالاسبانيا «كوردبة».. وسط المزارع الجبلية التى

غطتها أشجار الكروم التى تصنع منها أسبانيا حالياً نبيذها الذى بدأ يغزو أسواق أوروبا..

ومدينة قرطبة تم فتحها بالجيوش العربية فى سنة ٧١١م. فى هذا العام أسند طارق ابن زياد إلى مغيث الرومى مولى الوليد بن عبد الملك قيادة الجيوش التى إتجهت لفتح قرطبة. وتم النصر بعد حصار عنيف وأصبحت قرطبة عاصمة دولة العرب فى الأندلس بدلاً من العاصمة المؤقتة التى كانت فى اشبيلية. بلغت هذه المدينة قمة عظمتها فى الفترة المحصورة بين ٩١٢ - ٩٦١ فى أيام عبد الرحمن الناصر ثم فى أيام ابنه الخليفة العالم الحكم المستنصر. وقد أخذت المدينة فى الاتساع حتى وصل عدد سكانها إلى مليون نسمة.. وهو يساوى بالنسبة للعصور الوسطى العدد الذى يسكن أضخم مدن العالم اليوم كنيويورك ولندن وباريس. وكانت لقرطبة عدة ضواح أشهرها ضاحية الزهراء والزاهرة والعامرية. وقد ظلت هذه المدينة محتفظة بزعامتها للمدن العربية فى الاندلس حتى فتحها المسيحيون فى سنة ١٢٣٦م بقيادة ملك قشتالة فرناندو الثالث..!

وأهم آثار هذه المدينة العربية القديمة هو مسجدها الضخم الذى يعتبر من أكبر المساجد الاسلامية فى العالم كله. وعندما زرت المسجد فوجئت بكل ركن فيه وقد تحول إلى مذبح مسيحى. إن نظرات عينى كانت تتوه بين أرجاء مسجد قرطبة.. والذى كان تنظيم أعمدته عملا هندسيا ممتازاً، لا مثيل له. لقد كان هذا المسجد قبل الفتح الاسلامى كنيسة تسمى «سان فينتى» بقيت حتى سنة ٧٤٨. ولما تزايد عدد الداخلين فى الاسلام خصص نصف الكنيسة للعبادة المسيحية ونصفها الآخر للمسلمين. فلما جاء إلى الاندلس عبد الرحمن الداخل سنة ٧٥٦ وهو أحد أمراء العرب عرض على المسيحيين تحويل الكنيسة إلى مسجد على أن يبنى لهم كنيسة فى مكان آخر من المدينة فوافق المسيحيون وبدأ بناء المسجد فى سنة ٧٨٥.. وقد تم توسيع هذا المسجد على فترات متعددة حتى أصبحت مساحته نحو خمسين فدانا إذ يبلغ طوله ١٨٠ مترا وعرضه ١٣٥ مترا وأشجار البرتقال التى غرسها الاندلسيون مازالت موجودة حتى الآن..!

ويقوم مبنى هذا المسجد على ١٢٠٠ عمود وهى متشابكة فى خط واحد.. إن مسجد قرطبة رغم مرور مئات السنين مازال محتفظاً حتى اليوم بجلاله وعظمته كأعظم أثر إسلامى فى أوروبا كلها..!

قصة المسجد الكبير

وقد ظل المسجد محتفظا بشكله الاسلامى بعد سقوط قرطبة فى أيدى المسيحيين سنة ١٢٣٦ نحو ثلاثة قرون.. والسبب أن أهالى قرطبة رفضوا أن يحولوه تحويلاً كاملاً إلى كنيسة كما كان رجال الدين يريدون، وكان من نتيجة ذلك أن صدر حكم من سلطات الكنيسة بتكفير أهل قرطبة.. وحاولت السلطات المسيحية أن تهدم المسجد بالقوة ولكن أهالى قرطبة وهم من المسيحيين خرجوا عن بكرة أبيهم وأحاطوا بالمسجد على استعداد للدفاع عنه بالسلاح.

وأخيراً تمكنت تلك السلطات فى عهد الامبراطور شرلمان (شارل الخامس) فى سنة ١٥٢١ أن يهدموا بعض الاروقة ويقيموا مكانها مصليات مسيحية مازالت موجودة حتى الآن. كذلك تم بناء الهيكل الرئيسى الذى يتوسط المسجد الآن.

ويقول المؤرخون أن شرلمان حينما شاهد ما حدث للمسجد أحس بالندم واعتبر أن هذا العمل تشويه لأثر فنى خالد وقال للمشرفين على إقامة الكنيسة داخل المسجد (لقد اقمتم هنا ما كان يمكن بناؤه فى أى مكان آخر ولكنكم بفعلكم هذا قضيتم على ما كان أثراً وحيداً فى العالم).. وفى سنة ١٥٩٣ أزيلت منارة الجامع القديمة وأقيم على أنقاضها برج الاجراس الحالى..!

ويحيط بالمسجد الآن مجموعة من الأحياء القديمة حيث أقيمت على مدخل شوارعها البوابات العربية القديمة التى نشاهدها فى منطقة الحسين مثل بوابة الوزير وغيرها. وبيوت الحى العربى فى قرطبة مازال كثير منها محتفظاً بطابعه القديم.. وإن كان أهالى قرطبة ينهجون فى اعادة بناء هذه البيوت الحفاظ على الطابع العربى. وعندما مشيت فى شوارع وحوارى الحى العربى وجدت أن واجهات البيوت مغطاة كلها باللون الأبيض.. ويتدلى من مشربياتها العربية الزرع الأخضر والورود الجميلة.. وقد علمت من المرشد المرافق لى أن بلدية قرطبة تقيم سنويا مسابقة ذات

جوائز ضخمة تمنح لصاحب المنزل الذى يفوق الآخرين فى طابعه فى نقوشه العربية..!

بقايا ليالى اشبيليه

أما المدينة الاندلسية الثالثة التى قمنا بزيارتها فقد كانت (أشبيلية) ويطلقون عليها الآن اسم (سيفيه).. ورغم أن اشبيلية أقل حظاً من قرطبة بالنسبة للآثار الاسلامية إلا أنها كانت من أعظم المدن الاسلامية فى الاندلس.. وقد ظلت تحت حكم المسلمين من سنة ٧١١ حتى سنة ١٢٤٨ حين فتحها فرناندو الثالث. وأشبيلية كانت منافسة لقرطبة ولعل أزهى عهودها هى أيام الدولة العبادية وملكها الشاعر المعتمد بن عباد الذى جعلها من أعظم مدن الاندلس. وفى الوقت الذى كانت فيه قرطبة عاصمة العلم والأدب كانت اشبيلية عاصمة اللهو والفن والغناء.. ورغم مرور أكثر من ٧٠٠ سنة على العصر العربى فى الاندلس فإن المدينتين قرطبة واشبيلية مازالتا تحتفظان بطابعهما الذى عرفتا به منذ عهد العرب. وقد لاحظت هذا عند زيارتى للمدينتين.. فبينما نجد الهدوء والوقار يسيطر على قرطبة نجد الضجة والملاهى والنوادى الليلية والمراقص فى كل مكان فى اشبيلية وشاهدت خلال جولتى فى المدينة أطلال المسجد العربى فى أشبيلية والذى أقيم مكانه كاتدرائية اشبيلية التى تعتبر ثانى كاتدرائية فى العالم بعد كاتدرائية (سان بيتر) فى روما وكل ما بقى من المسجد الآن لا يتعدى مئذنته المعروفة باسم (الخيرالد) وهى تشبه من الناحية المعمارية مئذنة جامع الكيتية بمراكش وبرج حسن بالرباط.. ويبلغ ارتفاع هذه المئذنة ٩٦ مترا ويتم الصعود إلى قمتها من الداخل بواسطة مدرجات منحدرة ويتمكن المؤذن من الصعود إليها راكبا الحصان..!

ومن الآثار العربية فى اشبيلية ذلك القصر الكبير الذى يعرف بنفس اسمه العربى حتى الآن وهو (القصر).. وقد بنى هذا القصر المعتمد بن عباد.. ولما استولى ملك قشتالة المسيحى بدرو على اشبيلية ظل يحافظ على مظهر القصر العربى بل زاد من النقوش العربية التى كان معجباً بها. ومن النقوش التى زادها هذا الملك المسيحى فى القصر آيات قرآنية وعبارات الشهادة. وكان العمال الذين يقومون بعمل هذا النقوش

من العمال المسلمين حتى أنهم كانوا ينقشون عبارات عربية وآيات من القرآن على المبانى المسيحية التى كانوا يكلفون ببنائها ومن بين الآثار الاسلامية التى مازالت موجودة حتى اليوم فى أشبيلية بعض ابراج القصر وأسوار المدينة العربية. ثم (برج الذهب) وهو حصن صغير يقع على ضفة الوادى الكبير!

ومازالت فى اشبيلية حتى اليوم أحياء كثيرة مثل حى سانت كروث.. حيث يلاحظ أن شوارعه ومبانيه عربية خالصة يشبه فى ذلك حى (المدينة) فى قرطبة وحى (البيازين) فى غرناطة.. ومدينة اشبيلية تعتبر الآن من المدن الاسبانية التجارية الهامة..!

هكذا نهاية الخلافات

وبعد أن إنتهت زيارتى للمدن العربية القديمة فى الاندلس بحضارتها وعظمتها تساءلت كيف أنتهت هذه الحضارة بهذه السهولة.. وجاءنى الجواب من الدكتور محمد مكى وكيل المركز الإسلامى العربى فى مدريد. قال لى أن أمراء الاندلس إتجهوا إلى البذخ والتواكل بعد مئات السنين من حكمهم فى الاندلس، وكان من نتيجة هذا خلق التنافس بين هؤلاء الأمراء ففقدت الدولة الاندلسية وحدتها مما أتاح الفرصة للملوك المسيحيين، للعمل على إعادة ملكهم، ووصلت الحالة بعد ذلك إلى درجة أن بعض الأمراء العرب كانوا يستعينون بملوك المسيحية فى قتالهم مع إخوانهم الأمراء العرب تحت تأثير المنازعات والاطماع، وظلت هذه المنازعات والفرقة موجودة بين زعماء الدولة العربية فى الاندلس حتى بدأت فى الانهيار بعد ذلك تحت ضغط هجمات الجيوش المسيحية.

وتحت تأثير التعصب الدينى الأعمى قامت محاكم التفتيش المسيحية بتصفية الاسلام فى هذه المنطقة. كانت هذه المحاكم تحكم بالطرد والموت على كل من يرفض المسيحية!.

ورغم الارهاب المسيحى فى الاندلس فقد ظلت مدن وقرى بأكملها تدين بالاسلام سرا.. ولكن إختفت الديانة الاسلامية بمرور الوقت بعد ذلك.. ولا يعنى هذا أن العرب لم يتركوا آثارا فى الاندلس ولكن معظم العيون والوجوه التى نشاهدها حتى اليوم فى

جنوب أسبانيا هى وجوه عربية ذات شعر أسود وعيون سوداء وبشرة سمراء. إن هذه الوجوه تختلف إختلافا كليا عن باقى وجوه أهل أسبانيا الذين يسكنون فى الشمال ويميل لونهم إلى البياض وشعرهم أصفر اللون. وحتى اليوم مازالت هناك عشرات القرى والأماكن محتفظة بأسمائها العربية. إن الآثار العربية فى الاندلس أصبحت من أجمل الأماكن السياحية التاريخية فى أسبانيا.. ولهذا تقوم الحكومة الاسبانية ببذل كل الجهود حالياً من أجل المحافظة على ما تبقى منها.

. وأخيراً..

لقد أحسست بشعور غريب بعد إنتهاء زيارتى للأندلس وعودتى إلى مدريد.. وتذكرت ما كان يمكن أن يحدث لو أن أمراء الدولة العربية فى الاندلس أفاقوا إلى أنفسهم وإتحدوا.. ويقول المؤرخون أنه لو حدث ذلك لكانت معالم أوروبا الآن جزءاً من الدولة العربية خاصة أن دولة الاندلس وصلت إلى أطراف فرنسا...

إنها عبرة من التاريخ البعيد.. للأجيال القادمة.!

ســـــــويســــــــرا بـــلا ثـلـوج

الأزمة

التى تجتازها سويسرا الآن هى أزمة عدم سقوط الثلج..! لأن موسم الثلج فى سويسرا يعتبر من أهم المواسم السياحية ويساهم فى الرخاء الاقتصادى الذى يعيش فيه ٥ ملايين نسمة. والناس فى جنيف مثلاً لا حديث لهم منذ أيام قليلة سوى المقارنة بين حالة الجو فى سويسرا فى العام الماضى وحالته هذا العام.. ووصلت درجة الحرارة فى العام الماضى إلى ٢٠ تحت الصفر.. بينما لم تتعد هذا العام الـ ٥ تحت الصفر.. بعكس العام الماضى عندما تحولت كل أوروبا إلى ثلاجة دفعت الناس إلى الإختفاء داخل منازلهم.

وكانت نتيجة هذه الموجة الباردة القاسية التى تعرضت لها أوروبا فى العام الماضى تحمل ميزانيات هذه الدول ملايين الجنيهات لإصلاح ما أفسدته الثلوج التى تحولت إلى أحجار ثلجية بسبب استمرار موجة البرد فترة طويلة وأصابت هذه الثلوج الزراعات فى كل أوروبا فتأخرت المحاصيل الزراعية عدة أسابيع جعلت الأسواق تعانى من عدم وجود مواد غذائية وخاصة الخضروات.. وبالنسبة لطرق الاوتو ستراد التى تربط بين كل دول أوروبا.. فقد إعتمدت عشرات الملايين من الجنيهات لإصلاحها بعد أن أكل الثلج الاسفلت والخرسانة المسلحة فى أجزاء طويلة منها، وفى سويسرا بالذات.. وهى الدولة التى يتعيش أهلها فى موسم الشتاء من هطول الثلوج ارتفع الصراخ فى كل مكان بعد أن تعرضت حياة الناس الخاصة للخطر والخسائر. لقد فوجىء أهالى سويسرا نتيجة للموجة الباردة التى تعرض لها بلدهم فى

نشرت هذه اليوميات فى جريدة «الأخبار» ١٩٨٧/٥/١٧.

موسم الشتاء الماضى بالمياه تتجمد داخل المواسير.. ونتيجة لتجمد المياه داخل المواسير إنفجرت أيضاً أجهزة التبريد داخل السيارات. أغلقت المقاهى ودور السينما والنوادى الليلية أبوابها لعدم وجود زبائن. خصص السويسريون جانباً كبيراً من ميزانياتهم لشراء الملابس الثقيلة لحمايتهم من البرد..

كان هذا الحال فى موسم الشتاء الماضى فى سويسرا.. وفى هذا الموسم ومنذ أيام قليلة ادهشتنى ثورة السويسريين وغضبهم على الطبيعة ففى الموسم الماضى كانوا يشكون من البرد والثلج.. وفى الموسم الحالى بدأوا يشكون من الدفء والشمس التى جعلت درجة الحرارة لا تتعدى الـ ٥ تحت الصفر فى أقسى الأيام الباردة. إن الشمس كانت تغمر كل أنحاء سويسرا منذ أيام قليلة. الجو الدافىء دفع الناس إلى الخروج إلى الشوارع.. ودور السينما والمقاهى والمطاعم الخارجية. النوافذ التى كانت مغلقة طوال الموسم الماضى كانت مفتوحة على مصراعيها تستقبل أشعة الشمس. الملابس الثقيلة التى كانت عبئاً ثقيلاً على أجساد السويسريين تحولت إلى ملابس عادية خفيفة تلائم هذا الجو الخيالى. إن الناس هنا فى سويسرا لا يصدقون هذه الشمس.. أنهم لا يصدقون المراصد التى تنقل إليهم درجة الحرارة.. والسبب ما عانوه فى موسم الشتاء الماضى.

. وبسبب هذا الشتاء المشمس الدافىء أعلنت فئة تمثل قطاعا كبيرا من الشعب السويسرى الثورة على هذا الجو الممتع الذى أصابها بخسائر فادحة. ولتوضيح هذا يمكن القول أن الشعب فى سويسرا انقسم بسبب هذا الجو إلى فئتين. فئة سعيدة بسبب هذا الجو الخيالى.. وفئة غير سعيدة أصابها الإفلاس المالى بسبب هذا الجو الخيالى أيضاً. ولكن ورغم هذا التقسيم فإننا يجب أن نقرر أن الشعب السويسرى كله لم يكن سعيدا بسبب عدم هطول الثلج.

الذين خذلهم الثلج

لقد أصبحت هناك فى سويسرا فئة سعيدة وفئة حزينة.. فئة استفادت ماليا وفئة أعلنت إفلاسها.. فئة متفائلة وأخرى متشائمة.. وبسرعة سأحاول أن أعرض لك هنا نماذج متفرقة وطريفة من هذه الفئات. سأحدثك أولاً عن الفئة الأولى.. الفئة

السعيدة.. إنها تضم نماذج كثيرة أهمها أصحاب السيارات.. أصحاب الموتيسكلات.. أصحاب الدراجات.. وأخيراً أصحاب الاقدام.. ففى فصل الشتاء عندما يسقط المطر الذى يتجمد على شكل جليد يغطى الأرض.. فتصبح الشوارع وكأنها غارقة فى اللبن.. عندما يحدث هذا فإن السيارات لا يمكنها الجرى.. ولا حتى الزحف. إن عجلاتها تتكعبل على بعضها.. السائق يفقد سيطرته على عجلة القيادة. الفرامل لا تسعف ولا تنقذ. وتصبح السيارة لا حول لها ولا قوة.. تتراقص هنا وهناك.. وتصطدم بأخرى قادمة.. أو بحائط مقابل.. أو برام أهوج.. نعود إلى مشكلة أصحاب السيارات هنا فى فصل الشتاء فأقول لك إنهم يحاولون مقاومة الجنون الذى يحدث لعجلات سياراتهم بمجرد السير فوق الجليد بعدة اختراعات سريعة ولكنها غالية الثمن فعلا. أولاً يجب تغيير الاطارات العادية وتركيب إطارات بارزة خاصة بالسير فوق الجليد.. فإن هذا البروز يشبه مخالب القطة التى تتمسك بالأرض وترفض كل دعوة للرقص والتزحلق. وبرغم اكتشاف هذه الاطارات فإن الخطر مازال كامنا فوق الشوارع وفى كل مكان يغطيه الجليد. هناك وسيلة أخرى هى وضع سلاسل من الحديد سلاسل ضخمة وسميكة - حول كل إطار من إطارات السيارة. والطبع لن تستطيع السيارة أن تجرى أكثر من عشرين كيلو مترا فقط فى الساعة مادامت السلاسل الحديدية تحيط بالاطارات. وإذا إنتهينا من الاطارات فعلينا أن نتكلم عن الموتور وعن المتاعب التى تؤثر فيه فى فصل الشتاء. ففى فصل الشتاء - وخصوصاً فى الليل - تنخفض درجة الحرارة إلى درجة كبيرة جداً. وفى كل سيارة جهاز للتبريد. وهذا الجهاز يمتلىء عادة بالماء. فإذا إنخفضت درجة الحرارة دون درجة الصفر فإن هذا الماء يتجمد على الفور ويحدث إنفجار.. وكسر هنا وهناك.. ولا يعود كل شىء إلى طبيعته إلا بعد اصلاحات وتغييرات جوهرية تتكلف مبالغ ضخمة جدا.. قد ترى أن الحل فى ضرورة وضع السيارة ليلاً داخل جراج خاص مكيف الهواء. وطبعا هذا الحل هو مجرد كلام فارغ. فالسيارات هنا تنام فى العراء.. فى الشوارع.. وكذلك فإن درجة الصفر لا تقتصر على الليل فقط وإنما فى عز النهار كذلك. إذن الحل العلمى والعملى والوحيد هو وضع سائل، يميل إلى اللون الازرق فى جهاز التبريد مصنوع بطريقة كيماوية تجعله لا يتأثر بالبرودة ولا يتجمد. اسم هذا

السائل العجيب (انتى جيل) . وفى بداية كل شتاء تعود كل صاحب سيارة فى أوروبا أن يذهب إلى أقرب محطة خدمة ويطلب منهم وضع (الانتى جيل) الذى لا يتجمد حتى درجة ١٠ أو ٢٠ أو ٣٠ درجة تحت الصفر.

وبرغم أن المواصلات هنا عظيمة التكييف بمعنى أن درجة الحرارة قد تكون ٢٠ درجة تحت الصفر.

فنجد أن درجة الحرارة داخل الترام أو الترولل باس لا تقل عن ٢٠ درجة فوق الصفر. برغم كل هذا فإن الركاب أصحاب الاقدام لا تسعهم الدنيا لروعة هذا الشتاء. ففى مثل هذه الأيام من العام الماضى كانوا لا يستطيعون السير أكثر من عدة أمتار قليلة وإلا ارتعشت مفاصلهم.. وتشققت شفاههم وتجمدت آذانهم وانوفهم.. فكانوا يركبون الترام بمناسبة وبدون مناسبة كان يركبوه من سينما ريفولى لينزلوا منه عند صيدلية الاسعاف. ولا داعى لأن أقول لك أن أقل تذكرة ترام فى سويسرا ثمنها ٣٠ سنتيما حوالى ٤ قروش ـ أما اليوم فإن الركاب يركبون أقدامهم ويسيرون بها مسافات طويلة بلا خوف من التجمد أو الارتعاش.

الفئة الحزينة.. لماذا؟

فى مثل هذه الأيام من كل عام تعود الناس على رؤية الجليد فى كل مكان. إذا لم يسقط فى جنيف فإنه قطعا فى لوزان. وإذا لم تجده فى لوزان فهو لابد فى مونترو. وإذا لم تجده فى مونترو فلابد أن تسير فوقه إذا صعدت عدة أمتار قليلة فوق مدينة فيفى ومونترو وفيل نوف. وعندما قررنا عمل تحقيق صحفى عن رياضة الشتاء فى سويسرا.. رياضة التزحلق على الجليد أخذنا السيارة من جنيف التى تركناها وشوارعها خالية من الثلج على غير العادة فى مثل هذا الوقت من كل عام. اتجهنا إلى لوزان فوجدنا شوارعها ومنازلها لا تقل نظافة عن شقيقتها جنيف. انطلقنا بالسيارة بعد لوزان إلى فيفى ـ المدينة الصغيرة جدا والتى تقوم بها أشهر صناعات سويسرا.. صناعة الالبان المحفوظة وشيكولاته نستلة الخ ـ ومن فيفى إلى مونترو. وبعد مونترو إنطلقنا نصعد الجبل فى طريقنا إلى فيلار. القرية الصغيرة التى تعتبر من أجمل وأشهر محطات التزحلق فوق الجليد فى سويسرا. الطريق الضيق الملتوى جاف على غير

عادته. لا يوجد أثر واحد - قديم أو حديث - لسقوط الجليد فوقه. اطارات السيارات عادية.

وعادة تقطع السيارات المسافة حتى فيلار فى فصل الشتاء، فى نصف ساعة على الأقل. ولكننا قطعناها فى أقل من هذه المدة بكثير. فالطريق صلب.. وجاف.. وغير مزدحم بالسيارات. رأيت الجبال من حولى جافة هى الأخرى.. والعادة أن تكون مغطاة عن آخرها بالجليد الأبيض. حتى الاشجار كانت خضراء. ورأيت العشب الأخضر فى جهات متفرقة. ثم وصلنا فيلار. القرية صغيرة وعبارة عن مجموعة من الشاليهات الخشبية المتناثرة فى كل مكان. لأول مرة فى تاريخ فيلار يختفى منها الجليد فى شهر يناير. إن الآلاف يطيرون إليها من كل جهات الكرة الأرضية فى فصل الشتاء للتزحلق فوق جليدها الجاف المتراكم طبقات فوق طبقات كنت فى مثل هذا الوقت من الاعوام الماضية لا تجد غرفة واحدة خالية فى شاليهات وفنادق فيلار. اليوم كانت القرية شبه مهجورة. شبه خالية. شوارعها خالية من المارة. إختفت الألوان الزاهية الحمراء والزرقاء والخضراء التى يرتديها الناس على شكل ملابس وبلوفرات.. وطراطير. كانت محلات فيلار تزدحم بالزبائن فى مثل هذه الأيام.. فجلس أصحابها اليوم لا يبيعون ولا يشترون.

وجاء هواة التزحلق ففوجئوا بجفاف الجبال.. وبالشمس الساطعة.. فهجروا فيلار وطاروا إلى محطات التزحلق الأخرى - التى كان نصيبها من الجليد أكثر من فيلار - والشهيرة فى أوروبا وخصوصاً فى النمسا حيث تعتبر محطة تزحلق انسبروك بالنمسا، اشهر محطات التزحلق فى جبال أوروبا.. لعظم ارتفاعها.. وكثافة جليدها.. فاختيرت هدفاً للمسابقات العالمية لأحسن متزحلق ولأحسن متزحلقة.

والتزحلق فوق الجليد هواية مجنونة وخطرة.. والذى يزاولها إما أنه - فى رأيى - مستبيع وإما أنه مجنون. فإن هؤلاء الهواة لم يمنعهم عدم وجود الجليد من مزاولة هوايتهم هذه.. بل امعنوا فى الصعود إلى القمم العالية.. فوق السحاب. وركبنا معهم القطار الجبلى الصغير الذى يرتفع ويرتفع ونحن بجانب الشباك نتطلع إلى الهاوية تحتها.. فنتخيل ونتشاءم ونبدأ فى تلاوة آية الكرسى ونعقبها بالتشهد على أرواحنا. كنا

نرتدى البدلة والبالطو والكرافات.. والاحذية الجلدية القصيرة العادية. وكان الناس من حولنا يضحكون من منظرنا. بالضبط كأنك بملابس الاسموكنج وسط مجموعة من البدو الرحل إنهم يركبون هذا القطار لأنه سينقلهم إلى القمة العالية لعل وعسى يجدون عدة أمتار من الجليد يتزحلقون فوقها. ولذلك نجدهم بملابس التزحلق.. الغريبة.. والمتعددة الأشكال والألوان. وانشغل فاروق ابراهيم بالتصوير. كان يصور كل شيء يراه أمامه.. وبمجرد وقوف القطار عند آخر محطة كان فاروق ابراهيم أول من غادر القطار ليتمكن من تصوير هذا (القطيع) المتلهف على النزول وعلى الزحلقة. كانت القمة العالية مغطاة بالجليد. وبهذا ارتاحت أعصاب الهواة.. وبالتالى وجد زميلى المصور ما يصوره وإنطلق فاروق يجرى هنا وهناك فوق الجليد. ناسيا أنه بالبالطو الذى يصل حتى قدميه.. متجاهلاً الجليد الذى يغوص فيه حتى أعلى ركبتيه.. ولاهيا عن ضحكات الناس من منظره وهو يصطدم بفتاة لم تتمكن من الاحتفاظ بتوازنها فتكعبلت ووقعت فوقه وفوق آلات تصويره. ثم خلع فاروق ابراهيم معطفه والقاه على الأرض وبدأ يصعد مع المتزحلقين ليلتقط صورة جماعية ينوى نشرها على غلاف آخر ساعة. وطال الوقت الذى استغرقه فى الصعود وفى السقوط وفى التصوير وأنا أصرخ فيه لنتمكن من ركوب القطار الهابط وأخيرا استطعنا اللحاق بالقطار وهو على وشك المسير. وبعد وصولنا إلى فيلار مرة أخرى سمعت فاروق ابراهيم يصرخ قائلاً: البالطو بتاعى نسيته فوق.

وداخل القطار الذى يسير على (جنزير) ويتحرك بسرعة ٥ كيلو مترات فى الساعة قابلت عشرات من الجنسيات لقد جاءوا إلى فيلار لممارسة هوايتهم.. هواية التزحلق على الجليد. كان من بينهم الامريكى والبريطانى والفرنسى والباكستانى ومجموعة متعددة من الجنسيات الأخرى. كانوا جميعاً يتحدثون عن هذا اليوم الجميل الذى أمضوه بين أحضان جبل فيلار الذى يرتفع عدة آلاف من الامتار عن سطح البحر. كان بعضهم يحمل معه الزحافات.. والبعض الآخر وضع اجهزته فى العربة التى استخدمها فى الجرى المجنون فوق الجليد الخاصة الملحقة بالقطار لهذا الغرض. والزحافات التى يستخدمها هواة التزحلق على الجليد يختلف ثمنها. إنها تبدأ من العشرة جنيهات وتنتهى إلى الخمسين جنيها. ورياضة التزحلق على الجليد أصبحت

رياضة احتراف أيضاً. ففى أوروبا وخاصة فى النمسا وسويسرا تقام سنويا مسابقات لأبطال هذه الرياضة، ان ما يجرى فى هذه المسابقات وما يقوم به أبطالها يجعلك تخفى عينيك من الرعب والذعر عندما تشاهد المتسابق وهو يقوم بحركاته الجنونية التى تدرب عليها. إن هذه الحركات وخصوصا عمليات القفز فوق الجليد تدفعك إلى الاحساس بأن رأس هذا المتسابق سيدق فى هذا الجليد. ورياضة التزحلق على الجليد لا تفرق رغم قساوتها بين الجنس الخشن والجنس الناعم. فهناك أيضاً عشرات من بطلات التزحلق على الجليد نلن جوائز متعددة فى بطولات هذه الرياضة المجنونة.

حين سقط الثلج

وفى الطريق إلى جنيف شاهدنا عشرات السيارات تأخذ نفس اتجاهنا تحمل على سطحها أجهزة التزحلق على الجليد.. وبعد أيام قليلة أمضيناها فى جنيف المدينة الدولية التى تفوق شهرتها شهرة العاصمة برن فوجئنا بالسماء تمطر ثلجاً. كان منظراً جميلاً ونحن نسير تحت هذا الثلج الهابط من السماء وقد حول ملابسنا إلى شىء يشبه القطن الأبيض واعتقدنا فى بادىء الأمر أن سقوط الثلج سيتوقف بعد ساعة أو ساعتين.. ولكن فوجئنا بأن هطول الثلوج استمر ٢٤ ساعة بصفة مستمرة. وهكذا تحولت شوارع جنيف وكل مدن سويسرا إلى قطع من الشمع ناصعة البياض. البيوت غطتها الثلوج.. السيارات إختفت تماماً أشبه بمرتفعات ثلجية تقف فى الشوارع. بدأت أصوات عجلات السيارات ترتفع بعد أن أحيطت (بالجنازير) لحفظ توازنها أثناء السير.. الأطفال بدأوا يظهرون فى الشوارع يتزحلقون على الجليد!.

وكان من نتيجة هذا أن ارتفعت الروح المعنوية عند التجار وأصحاب الصناعات التى تعيش على موسم الثلج. عمت الفرحة كل مكان فى سويسرا حتى الذين لا يستفيدون شيئاً من الثلج.. وعندما تسير فى شوارع جنيف لابد أن تكون حذراً لتجنب كرات الثلج التى يتقاذفها الناس فى الشوارع تعبيرا عن فرحتهم بالثلج. ومن المناظر المثيرة التى شاهدناها منظر مطار جنيف المغطى بالثلوج والطائرات تقف وقد أحاطت بها هذه الثلوج من كل جانب. وفى نفس الوقت تقوم أجهزة خاصة بإذابة الثلوج الموجودة على الممرات حتى لا تتعرض الطائرات لكارثة التزحلق عند هبوطها أو صعودها إلى الجو، ومن المناظر الجميلة التى تثير النظر أيضاً منظر الأشجار وقد

غطيت أغصانها بالثلوج، وبمناسبة الاشجار والزراعة فإن الثلوج تعتبر من أهم مصادر الثروة المائية فى سويسرا وكل دول أوروبا. وعدم هبوط الثلوج يعنى أزمة فى مياه الرى مما يهدد الزراعات التى تحتل جانبا هاما من المواد التى يعيش عليها الناس كالبطاطس والخضروات، لهذا السبب اشترك كل الناس فى التعبير عن سعادتهم بسقوط الثلج.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٢٣٣ / ٩٩

I. S. B. N. 977 - 01 - 6505 - 0



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل - للشاب - للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

١٢٥ قرشاً

مكتبة الأسرة

1999 مهرجان القراءة للجميع